

أحمد الوائلي

الجنان





رواية

الظل

« حاكم رقعة الشطرنج »

أحمد الزيني



لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا



لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



الكتاب: الظل " حاكم رقعة الشطرنج
المؤلف: أحمد الزيني
تصميم الغلاف: إسلام مجاهد
المراجعة اللغوية: جمال يوسف
رقم الإيداع: 2017 / 26685
الترقيم الدولي: 4 - 099 - 779 - 977 - 978
الإخراج الفني: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبد الله
dreidibrahim@gmail.com



جميع الحقوق محفوظة

وأى اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 10 ش هدى شعراوي، وسط البلد، القاهرة

هاتف: 0227931911 - موبايل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

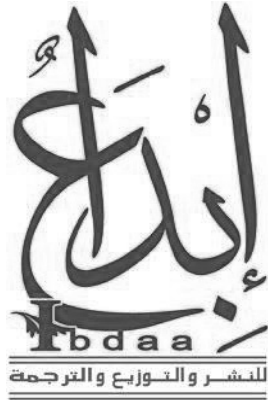
البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

رواية

الظل

« حاكم رقعة الشطرنج »

أحمد الزيني



جميع أحداث الرواية من خيال المؤلف؛ وأي تشابه
بين أحداث الرواية وبين الواقع هو من قبيل الصدفة
البحثة ليس إلا.

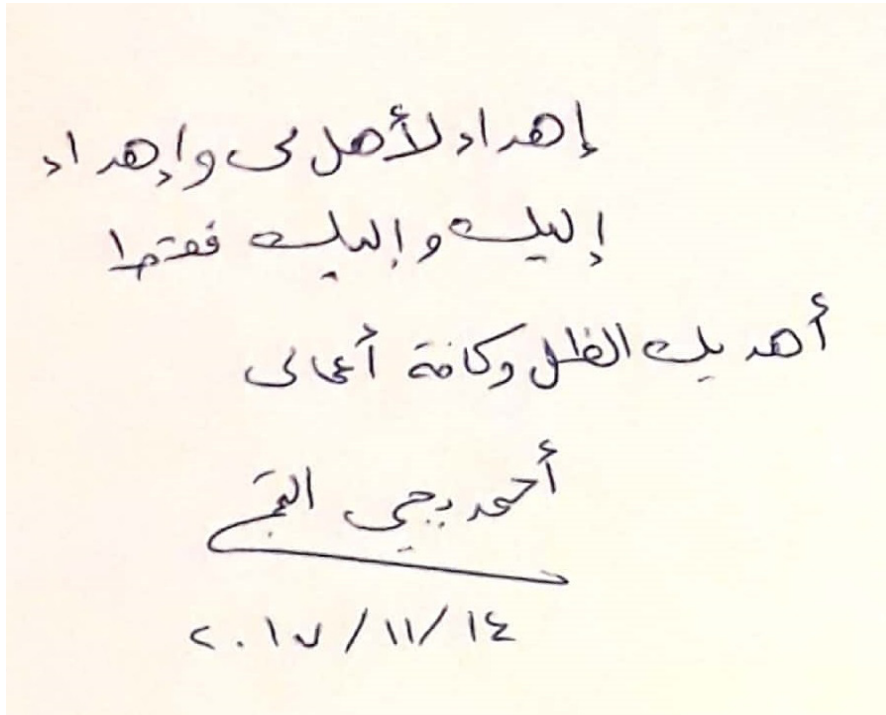
وجميع ما ذكر يُعبر عن رأي الكاتب، دون أدنى مسئولية
على الناشر

إهداء

إهداء إلى أبي وأمي وأخي... إهداء إلى نصفي الآخر، مَنْ حملت معها كل
الآمال أشكرك

إهداء إليك أنتِ خطيبتي / آمال عبد الباسط

أحمد الزيني





إهداء خاص

إهداء إلى أصدقائي

محمود علام - إسلام عبد الله - أحمد خالد مصطفى - محمد راضي - إسلام
مجاهد - إسلام وهيب - أحمد ناصر - محمد عصمت - د. حسين السيد
إهداء إلى محمد سيد - مينا ملاخي - مينا مجدي شنودة «مدارة جروب
ساحر الكتب»

إهداء إلى جروب ساحر الكتب

دمتم أكبر داعم لي، ودمتم أخوة لي



«كلما أصبحت جزءاً من فكرتك، قالوا إنك مُوشِك على الجنون، أما حين
تُصبحها فإنك الجنون نفسه»

إبراهيم نصر الله



«وامنحهم الراحة الأبدية، يا رب، وربما ضوء دائم يلمع عليهم. أنت يا إلهي، وإنشاد الفن في سيون، وإليك يجب أن يتم النذر في القدس. اسمع صلاتي. منحهم الراحة الأبدية، الرب، وربما ضوء دائم يلمع عليهم»
سيمفونية قداس الموت موزارت

الفصل الأول

ميدان التحرير الحادي عشر من فبراير لعام ٢٠١١

الاحتفالات بكل مكان، الألعاب النارية تشتعل، الجميع يحتضن بعضه البعض لا فرق بين مسلم ومسيحي، الجميع يردد هتافات تأييد للجيش والبعض ذهب ليصلي ركعتين شكر لله، المسلم يسجد شكراً لله والمسيحي يرسم الصليب بيديه، ومدركات وعساكر الجيش يحتفلون مع المواطنين.

اللواء عمر سليمان ألقى بيان تنحي الرئيس مبارك.

الجميع يحتفل بأسفل الميدان، ومن أعلى إحدى البنايات بميدان التحرير كانت هناك عين تراقب ما يحدث دون أي شعور، ودون أي اهتمام لما يجري، إنها نفس تعلم القادم جيداً ولا شأن لها بما يحدث الآن.

ترى العينان الميدان بأكمله لمرّة أخيرة ثم يستدير صاحبهما ليختفي في الظلام دون أي أثر له.

١٦ نوفمبر ٢٠١٠

بالمركز الطبي العالمي بطريق مصر الإسماعيلية الصحراوي:

كانت الأمور تبدو هادئة جداً بالمستشفى على الرغم من الحراسة المشددة عليها، حيث يُعالج أحد أهم رجال الحزب الوطني وأحد أهم الرجال بمصر، والذي يُلقب بالرجل الحديدي، السيد جمال الشامي، الظلام يحيط بالمكان والقوات تلتف حول المستشفى بشكل مكثف، الريح عاصفة وعلى الرغم من الأضواء المحيطة بكل الأنحاء، إلا أن الظلام كان ثقيلًا على المنطقة جمعاء، تشعر وكأن رداءً ثقيلًا قد لف المنطقة، خاصة مع الرياح العاصفة والمنقطة النائية.

أما بالأعلى فيمكث المهندس جمال الشامي أحد أهم الأذرع السياسية بمصر كلها، على الرغم من الصدام الحادث بينه وبين الحرس الجديد الخاص بالسيد

جمال مبارك، والذي يرأسه المهندس أشرف عزيز، لكنه لا تزال له السلطة الأولى والأخيرة مع السيد صابر الشربيني مسئول العلاقات العامة بالحزب الوطني، لا يعلم متى بدأت وعكته، لكنه شعر بألم حاد بمعدته منذ ما يقارب الأربعة أشهر، سافر خلالها إلى ألمانيا لكن بقرار خاص منه تحول إلى الولايات المتحدة قرار مبهم منه ساعده فيه وزير الصحة، كان أمراً من رؤسائه، لا يقصد هنا الرئيس مبارك أو من يعلوه شأنًا بمصر، فهو يرى أن لا أحد يعلو فوق شأنه حتى الرئيس نفسه بل رؤساؤه بحق أعلى مكانة، هم الأعين التي تحيط بالعالم بكل مكان، الأعين الساهرة على راحته وعلى العالم أجمع، لا يهم أن تكون ساهرة على راحة العالم، الأهم أنها ساهرة له هو وأنه أحد أعضائها وأحد منظميها بمصر، طلبوا منه توجيه رحلته والعلاج بالولايات المتحدة بدلاً من ألمانيا ولم يرفض، لن يستطيع الرفض، لا أحد يرفض أو يهرب من العين، تحولت وجهته حتى دون علم الرئيس مبارك إلى الولايات المتحدة، وبغربة شديدة جعلت الرئيس مبارك يشعر بالدهشة، لكنه تجاوز ذلك على أنه من الممكن أن يكون قد وجد علاجاً أفضل له بالولايات المتحدة، وهناك قابلهم وأخبروه بما ينتظره، العين قد أخبرته بأن ساعة الصفر قد حانت، العام الجديد سيحمل خريطة التوزيع الجديدة، خريطة تغيير معالم الدولة والسلطة ليس بمصر بل بالمنطقة جمعاء وبما أنه جندي مطيع وخير ذراع للعين بالمنطقة فقد وعدوه بأنه سيكون مهندس هذا التخطيط الجديد عندما يتم علاجه، حينها عاد نشيطاً ينتظر رؤية الحدث الذي سيتزامن مع العام الجديد، الحدث الذي سيكون بداية التغيير.

عاد إلى مصر وقد تجاوز المرض، لكنه شعر بتدهور بحالته الصحية بعد عودته بيومين فقط، اشتد مرضه أكثر من ذي قبل، وشعر أنها النهاية، وُضع بالعناية المركزة، وشعر أفراد عائلته بفقدان الأمل، لكنه تحامل وتجاوز منتظراً الوعد، منتظراً العهد الجديد، عاد الرجل الحديدي مرة أخرى ليتحدى المرض ويتجاوزه، واليوم تحدث معه هاتفياً السيد الرئيس حسني مبارك طالباً منه النهوض بأسرع وقت للترتيب لما هو قادم بعد أزمة الانتخابات البرلمانية الشهيرة، فكما يعلم الجميع هو المخطط والمهندس لمثل تلك العمليات والانتخابات بالحزب الوطني، في ذات اليوم تحدثوا هم معه وأخبروه أنهم ينتظرونه ينتظرون عودته، فالموعد اقترب ولا بد أن يكون شاهداً على عصر

المنطقة الجديد.

كانت لتلك المكالمة مفعول السحر حيث أعطت الرجل الحديدي قوة فوق قوته، ظن البعض أن ذلك من تأثير حديث الرئيس مبارك معه لكنهم لم يعلموا ببواطن الأمور، الأمر أقوى وأهم أيها الحمقى، الأمر يتعدى مجرد انتخابات بلهاء وزعت الأنصاب من قبل حتى أن يتم انتخاب أحد، البطل هو الحزب الوطني والكومبارس هم التيارات المعارضة، لقد مل تلك اللعبة وينتظر الآن اللعبة الأكبر التي يكسب الفائز بها كل شيء بلا استثناء تضاعف تحسن الحالة الخاصة به حتى أن الطبيب المعالج له قد أقر بأنه في حالة استمرار هذا التحسن بالتصاعد فسيكتب له على خروج قريباً.

حان الوقت سيخرج ليكتب تاريخاً جديداً قريباً، هكذا وعده رؤساؤه.

كانت الساعة تتجاوز الواحدة صباحاً وجمال الشامي يغط في نوم عميق حينما استيقظ على صوت نافذة غرفته وهو يفتح عنوة، كان الأمر يبدو كما لو أن أحدهم حاول أن يكسر النافذة للدخول، لكنه عندما أمعن النظر وجد أن ستائر الغرفة تتمايل بشدة من عنف الرياح خارجها.

أطلق جمال سبابه على تلك الممرضة التي لا تعلم كيفية العناية بمرضاها وليس أي مريض بل جمال الشامي فوقف وهو يتنسد ويقول:

-اللعة عليك أيتها الممرضة الحمقاء، غداً صباحاً سأعلمك من يكون جمال الشامي.

قالها وهو يغلق النافذة، عندها سمع جمال صوتاً ضعيفاً بدا لو كانت قطعة من مقاطع الأوبرا العالمية فنظر إلى الغرفة الغارقة في الظلام ليجد أن الصوت قادم من جهاز صوتي حديث بجانب سرير، بدأ جمال يعود ببطء وبحذر باتجاه الصوت قبل أن يجد الضوء بجانب سرير يفتح وصوت يقول:

-ومن سيكون جمال الشامي، مجرد أحدهم، شخص حقير يحتمي بنفوذ، مجرد لص خائن ليس أكثر ولا أقل له عدة رؤساء أحدهم خاطبه اليوم وينتظر أن يخاطبه رئيسه الحقيقي محرکه في أية لحظة.

التفت جمال الشامي حيث مصدر الصوت فوجد شخصاً يجلس نصفه غارق



في الظلام يرتدي بذلة كحلية اللون ممسكاً بمسدس كاتم للصوت يلوح به
بوجه جمال ويقول:

-مفاجأة سيد جمال، أليس كذلك.

بدا الفزع بعيني جمال وهو يتساءل:

-من أنت؟

بدا الجالس هادئاً وهو يقول:

-دعنا من مَنْ أنا، ما رأيك سيد جمال بسيمفونية لقداس الموت رائعة أليس
كذلك؟

بدا الفزع على وجه جمال وهو يقول:

-أنت؟

أغلق الجالس النور مرة أخرى ووقف متجهاً له وهو يقول بصوت ساخر:

-أرى أن الظلام أفضل لك، أنا أعلم أنك تعشق اللعب بالظلام، تعشق أن تكون
مع الظلال، أليس كذلك سيد جمال؟

كان القادم يسير بتؤدة قائلاً رافعاً يديه ويتحرك مستمتعاً بنغم موسيقى
قداس الموت على الرغم من الظلام، لكن كان جمال يرى ظله على ضوء
القمر القادم يقول:

-أنا ملاك الموت بالنسبة إليك يا عزيزي، أنا العين الأخرى التي ترى عيونكم
من حولنا، أنا المنتقم من كل بيدق من بيادقكم وبيادق عينكم.

بدا اللهاث وجمال يشعر بهبوطٍ حاد وهو يحاول التعلق بشيء قبل أن
يسقط فأمسكه الظل القادم قائلاً:

-ليس الآن يا عزيزي ليس الآن قبل أن أعلم ما أريده منك، أنت تعلم عما
أحدث، عن رؤسائك عن محركي بيادقكم برقعة الشطرنج عن عينكم.

ابتسم جمال على الرغم مما يشعر به وهو يشعر بالأم يعتصر قلبه ولكنه

لهث قائلاً:

-اقترب الأمر اقترب يا صديقي، أنت ذاك الظل الذي يبحثون عنه، أعلم أنهم سيجدونك وحينها ستتمنى لو لم تتحداهم.

ابتسم الظل وهو يقرب وجهه من وجه جمال وأصوات الأوبرا من الجهاز تتصاعد ببطء فبدا الفزع على وجه جمال والظل يقول:

-أنتم من ستتمنون لو لم تقفوا بطريقي، سأعدك يا عزيزي أن أقتلع عينكم تلك.

ضحك جمال بتعب قائلاً بصعوبة:

-أنت لا تعلم، لا تعلم مع من تتعامل، نصحيتي لك ابتعد ابتعد وشاهد العلامة فقط عند بداية العام الجديد.

بدا التساؤل على وجه القادم قائلاً:

-ماذا تقصد؟

لم يُجب جمال وقد توقفت أنفاسه معربة عن رحيله إلى عالم آخر، نظر له الآخر بحنق قبل أن يقول:

-ما يحزنني الآن أنني لم أكن السبب المباشر برحيلك عن دنيانا، لم أستمتع حقاً بالحديث معك، كنت أتمنى أن يطول الحديث معك أكثر من ذلك.

صمت وهو يتركه على أرضية الغرفة والستائر ما زالت تنهز فنظر له نظرة أخيرة قبل أن يستطرد:

-لكني أعدك يا هذا ألا أفقد تلك المتعة مع أصدقائك، لقد ذهبت الآن إلى الجحيم وأتمنى أن يروق لك ولا تحزن فلك صحبة مني ستنضم إليك عما قريب، وعدي لك أن أحجز لهم جميعاً مقعداً آخر بالجحيم فالجحيم يتسع لكم جميعاً، ومسئوليتي أن أوصلكم جميعاً إليه.

قالها قبل أن يتجه للكومود بجانب السرير وهو يتابع الجهاز الصوتي واضعاً إياه على مؤقت دقيقة واحدة ثم نظر نظرة أخيرة لجسد جمال الملقى على



الأرض ثم اختفى كما جاء.

ابتلع الظلام الظل وبعد دقيقة دوت موسيقى الأوبرا بصوت صارخ بجميع أنحاء الغرفة

١٧ نوفمبر

بالصحف التابعة للدولة

وفاة الرجل الحديدي، وفاة الرجل القوي بالحزب الوطني المهندس جمال الشامي عن عمر يناهز الثلاثة وسبعين عامًا بعد صراع مع المرض.

تشيع الجثمان من مسجد عمر مكرم اليوم، يتقدمهم سيادة الرئيس حسني مبارك وسيادة رئيس الوزراء أحمد نظيف.

بصحف المعارضة

-توفي جمال الشامي مهندس التزوير بالحزب الوطني.. الشبهات تحوم حول اغتياله.. تغيير قرار علاجه من ألمانيا إلى الولايات المتحدة بقرار مفاجئ من مسئول كبير في «الصحة» يثير احتمالات «الاغتيال».

- خطأ ملحوظ أثناء إجراء العملية أصاب «الشامي» بتسمم في الدم.. و«الرجل الحديدي» خرج من مصر وزنه مائة وثلاثون كيلو جرامًا وعاد خمسة وستون كيلو.

-هل هناك بالفعل من اغتال الرجل الحديدي؟ ولمصلحة من؟ ولماذا؟

١ يناير ٢٠١١ بمنطقة سيدي بشر بالإسكندرية

صراخ الألم الممتزج بصراخ الحسرة والحزن يتعالى، الأشلاء بكل مكان، الأجساد المحترقة، البكاء والدموع تمتزج بالدماء وأشلاء الجثث، لا يعلم أحد كيف بدأت تلك السنة تلك البداية، دقت أجراس الكنيسة فرحًا بقدوم

العام الجديد وبعد قليل ستنتقل أجراس الكنيسة حزنًا على من رحل بداية العام الجديد.

تُغلق الشوارع المحيطة بالكنيسة، يتم فرض كردون أمني حول المنطقة، التساؤل هو ما جدوى تلك الإجراءات الآن، ما ارتُكب قد ارتُكب، مَنْ ذهب ضحية قد ذهب ولن يرجع. يطل الرئيس بعد قليل من الحادث على شاشات التليفزيون يستنكر ما حدث ويعد بمطاردة مرتكبي هذا العمل الآثم لحين تحقيق القصاص. القليل من رجال النظام من لهم مصالح لهذا العمل يسعد ولكنه عند الظهور التليفزيوني يرسم على وجهه أعلى درجات الحزن كأفضل ممثل.

والبعض الآخر ممن ينتمون للتيار الإسلامي يسعد مخبئًا هذا بداخله حتى لا يتهمهم رجال النظام بهذا العمل ككبش فداء دائم. الشعب فقط يرى هذا من شاشات التلفاز حزينًا مهمومًا غاضبًا ينتظر وعد الرئيس أن ينفذ ويتم القبض على مرتكبي الحادث والذي يعلم أنه لا جدوى منه ولن يحدث، سيتم تقديم كبش فداء مثل كل مرة تم تقديم كبش فداء بأي عمل إرهابي مع بعض الإجراءات وبعض حركات التنقل والإقالات التي تنال الصف الثاني والثالث فقط من رجال الداخلية لحماية الصف الأول. أما هو فيسمع تلك الأخبار من محبسه يعلم أن الأمور قد اقتربت يعلم أنهم هنا وأنهم يرون ويحركون كل شيء لقد ظهرت العلامة بالفعل وبدأت لعبتهم هم.

وفي الجهة الأخرى كانت تلك العين ترى ما يحدث مستمتعة تتحكم بكل ما تريد عن طريق رجالها، تحرك الأمور مثل الدمى تتلاعب بهم عن طريق خيوطها التي في يدها، أطلقت كلابها من رجال النظام وفعلت ما فعلت وبدأت المرحلة الأخيرة مما تحلم به وتصبو إليه.

إنها العين الساهرة حول الجميع.

بمنطقة التجمع الخامس بالقاهرة

الساعة تقترب من الثانية بعد منتصف الليل الهدوء يخيم على كل شيء...

الجو بارد في اليوم الحادي عشر من فبراير لعام ٢٠١١....

على الرغم من الاحتفالات الصاخبة بميادين القاهرة جميعاً احتفالاً بسقوط نظام الرئيس حسني مبارك ونجاح ثورة الخامس والعشرين من يناير، لكن لم يكف ذلك لإزالة برودة الجو من منطقة التجمع الخامس. فتظل تلك المنطقة بعيدة عن القاهرة بمشاكلها وفرحها وحزنها، منطقة اجتمع بها معظم رجال الأعمال، رجال السياسة، صفوة البلاد للابتعاد عن الباقين.

جعلوا لهم تلك المنطقة كمحمية طبيعية تبتعد كل البعد عن أهل مصر والقاهرة كما لو كانوا ليسوا بشراً، كما لو كانت القاهرة غابة وسكانها أصبحوا بعض الحيوانات والحشرات من الممكن سحقهم بسهولة عندما يريد البعض من هؤلاء الصفوة. لكن الحال قد انقلب الآن، نجحت الثورة وأصبح السجان سجيناً، أصبح المطارد طريداً، أصبح هؤلاء الصفوة البعض منهم مطلوباً تحت ذمة بعض القضايا، والبعض الآخر مطلوب من الشعب كافة حتى وإن كان قد نجح بترتيب أوراقه وأموره أمام الجهات المختصة بالبلاد.

لكن لقد حان وقت الحساب من الجميع.....

وبأحد تلك المنازل أغلقت الأنوار ووضعت الحراسات الخاصة على الأبواب، جميعهم تكوينهم الجسدي الضخم واضح للأعين لا يستطيع أحد مخالفتهم فقد تم انتقاؤهم بعناية لغرض الحماية وسط ثورة الانتقام بعد الانتهاء من ثورة يناير. الجميع بلا استثناء يتحدث عن انتقام الشعب ممن أرهقوه واستغلوه طوال الفترة الماضية، الجميع يتحدث عن الطوفان القادم الذي سيبتلع الأخضر واليابس من هؤلاء الصفوة.

ترى الحراس يتحركون يميناً ويساراً اثنان أمام البوابة الخارجية واثنان داخل حديقة المنزل ذاته واثنان أمام البوابة الداخلية للمنزل وآخران بالساحة الخلفية للمنزل.

يتحرك المسئولان عن الساحة الخليفة يميناً ويساراً وقد بدا الملل عليهما فاقتربا يشعلان السجائر ويتحدثان عما يحدث بالبلاد وهما يمتصان أعواد التبغ لعلهما يتدفآن بتلك الشعلة الصغيرة المشتعلة.

وأثناء الحديث سمعا صوت ارتطام بسيط كارتطام الحديد ببعضه باتجاه الباب الخلفي من المنزل فأسرع واحد منهما يتجه للباب حينها انطلق الدم من جانب رأسه يندفع كنهز صغير من السائل الأحمر المتدفق فأسرع الآخر يستل مسدسه من جرابه وقبل أن يمسك بجهاز اللاسكلي الخاص به انطلقت رصاصة أخرى صامته تخترق مقدمة رأسه وأسكتته على الفور.

تحرك الظل سريعاً دون أن تصدر منه أي حركة باتجاه مقدمة المنزل وقبل الوصول للمقدمة اختبأ وهو ينظر للمكان بشكل عام وهو يرى ستة حراس آخرين يشبهون الاثنيين السابقين فاقترب سريعاً وهو يدوس على زناده لتخترق رصاصته رأس القريب منه ويبيده الأخرى أخرج سكيناً حاداً وأطلقه باتجاه الواقف الآخر أمام الباب، رأى الاثنان بالحديقة ما يحدث وقبل أن يستلا مسدسيهما أخرج الظل عبوتين صغيريتين وأطلقهما عليهما فانطلق الدخان من خلالهما وشعر الحارسان اللذان أمام البوابة بذلك فدخلا على الفور ولكن الدخان لم يسمح لهما بالرؤية وقد انطلقت الدموع من أعين الحراس وهو يسعلون بشدة.

أما الظل فظل ينظر إلى الجميع وهو يرتدي في ذات الوقت شيئاً ما على رأسه جعله أقرب لكائن فضائي يختلف تماماً عن تلك البدلة الأنيقة الكحلية اللون التي يرتديها وهي تغطي كل رأسه قبل أن يصل الغاز المسيل للدموع له فانطلق وسط الدخان بخوذته المانعة للغاز وهو يطلق رصاصه الصامت فيخترق الرؤوس ويحصدها بدون توقف.

انقشع الدخان بعد دقائق واختفى الظل تاركاً خلفه ست جثث تروي دماؤهم حديقة المنزل.

يرى النيران أمام منزله بكل مكان، يحاول فتح الباب وهو يحترق، يقتحم المنزل المحترق، بكل مكان اللون البرتقالي وسخونته، بكل رقعة بالمنزل، الدخان لا يمكن الرؤية من خلاله، لكنه يتجاوز كل ذلك ويصعد لأعلى محاولاً الوصول لمبتغاه يطلق ساقيه ويقفز كل درجتين بدرجة ليصل إلى غرفة يفتحها فيصرخ بكل قوة وهو يبكي، ينسى وجوده وسط هذه النيران ويجثو



على ركبتيه يبكي يقف ليدخل الغرفة والنيران أمامه وهو يرى ضحاياها
أمامه ثلاث جثث محترقة يحاول الوصول إليهم ليرى صوتاً ينظر لأعلى
ليجد جزءاً خشبياً من السقف مشتعلاً وهو يسقط.

تسمع صرخات الألم تمتزج بصرخات الحزن، ثم تلتهم النيران الأصوات أيضاً
كما التهمت كل شيء بالمنزل.

ويطبق السكون.

الفصل الثاني

الثانية عشرة ظهرًا، اليوم السادس عشر من يناير عام ٢٠١١م.....

تردد صوت خطوات أنثوية ناتجة عن الكعب المميز والتي تأسر الرجال دائماً وهي تتردد بالممر الطويل لصاحبها التي ترتدي ملابس منمقة، بذلة كلاسيكية رمادية اللون مع قميص أبيض وجيبة تصل لركبتيها مع عطر أخاذ جذب انتباه وحواس كل من قابلها بالممر، وقد ربطت شعرها الأشقر بطريقة دائرية مع نظارتها الطبية والتي زادت سحرها الأخاذ.

تلك هي الدكتورة آمال الورداني، الدكتورة بمستشفى الأمراض النفسية بالقاهرة، على الرغم من جمالها وارتباطها بعائلة رجل الأعمال المعروف صبري الورداني إلا أنها ارتبطت بالعمل بتلك المصحة على الرغم من إلحاح والدها عدة مرات بإقامة، ليس عيادة خاصة بها بل مستشفى بكامله، ولكنها كانت دائماً ما ترفض وترى أنها ترغب في تحقيق ذاتها بعيداً عن أي مساعدة سواء كانت مادية أو معنوية من والدها، كما أنها دائماً ما كانت تكره أموال والدها للشبهة الدائمة حول تلك الأموال.

إذا رأيته تتعجب كيف لملاك مثلها ذات جمال ساحر أن تكون بذلك المكان! ولكن هذا التعجب سيزول عندما تجد أنها بعمر الثانية والثلاثين عاماً قد حصلت على الدكتوراة بالطب النفسي من الخارج. كانت تسير منطلقة وهي تحمل ملفاً من الكارتون أحمر اللون باتجاه إحدى الغرف والتي وقف أمامها حراسة من شرطييين من القوات الخاصة وهما يمسكان بسلاحهما على صدريهما وبوضع الاستعداد دائماً، وقد أغلقت الغرفة باب حديدي كما لو أنها غرفة بأحد السجون وليست غرفة بمستشفى الأمراض النفسية والعصبية.

كشفت الدكتورة آمال عن هويتها لحارسي الشرطة من خلال «كارنيه» المستشفى فقاما بفتح الباب الحديدي مصدراً صوتاً قوياً، وقد دلفت الدكتورة للداخل وهي تنظر للشخص الجالس أمامها بالغرفة وتطلب من حارسي الشرطة إغلاق الباب خلفها.

تردد الحارسان ولكنها طلبت ذلك مرة أخرى، وأمام إصرارها لم يكن على الحارسين إلا أن يغلقا الباب وأحدهما يقول:

-إن حدث أي شيء فليس عليكِ سوى أن تناديننا أو تطرقي الباب فقط؟
وافقته بإيماءة برأسها وقد أغلقت الباب ثم نظرت للداخل مرة أخرى.
كانت الغرفة بسيطة ليس بها سوى منضدة بيضاء اللون ومقعدين على طرفي
المنضدة وبأحد تلك المقاعد جلس هو....
جلست الدكتورة آمال أمامه وهي تنظر إليه أو تنظر بالأحرى لرسمه على
وجهه...

كان أمامها شخص يرسم على ملامحه تنكر جمجمة يُخفي وضعيته ملامحه
المشوهة بشكل كامل ولا يبرز سوى عينيه الزرقاوين وشعره الأسود وقد
وضح أن ذلك الرسم لا يمكن زواله وقد اتخذ من الوشم سمة لصعوبة إزالته
وقد بدا مخيفاً وغامضاً وهو ينظر إليها مبتسماً وقد أمسكت يده عن طريق
تقييدهما بقميص مستشفى الأمراض العقلية الشهير. جلست الدكتورة آمال
وقد شعرت ببعض الرهبة على الرغم من كونها قد اعتادت مثل تلك الأمور
فوضعت الملف الأحمر أمامها قبل أن تضع جهازاً صوتياً على المنضدة
وتشغله على مقطع من مقاطع الأوبرا وهي تنظر إليه وقد حاولت الابتسام
لتخفيف حدة رهبتها أخذاً بمقطع الأوبرا جانباً من المساعدة وهي تنظر
لعنوان الملف وتقول:

«أبادون»

-اسمك أبادون؟

ابتسم وهو يقول دون النظر إليها:

-اممممممممممم أوبرا زواج فيغارو، رائع يا دكتورة، ألفها موتسارت في
عام ١٧٨٦ وقصتها مستوحاة من قصة (زواج فيغارو) للكاتب الفرنسي الشهير
بومارشيه، اختيار رائع حقاً.

كان أبادون يتمايل مع مقطع الأوبرا كما لو كان في عالم آخر، فابتسمت
آمال وهي تقول:

-علمت من ملفك حبك الدائم للأوبرا وما تتركه خلفك دائماً من مقاطع أوبرا

عند قيامك بفعلة ما.

ابتسم كاشفاً عن أسنان قد بدا عليها الإصفرار دليل على عدم العناية وهو يتحدث بصوت له بحة صوت مميزة قائلاً:

-الموسيقى غذاء الروح يا دكتورة وليست أي موسيقى بل موسيقى الأوبرا ذلك الفن المختلف، الفن الذي يختلف محتواه عن أية فنون أخرى، يحمل بين طياته قصة وعبرة ولمحة دائمة.

أومات الدكتورة آمال برأسها وهي تعدل من وضع نظارتها قائلة:

-أرى أن لديك فلسفة جديرة بالاحترام حقاً يا أبادون أليس هذا اسمك؟

بدا أبادون منشغلاً وهو يستمع لأوبراه قبل أن يقول:

-نعم يا دكتورة أنا أبادون، وذات يوم ستحمل مقطوعة من الأوبرا اسمي أيضاً فتذكره جيداً حينها.

صمتت آمال دون أن تجيب فنظر للكارت الذي ترتديه حول عنقها وهو يضيق عينه بشكل بدا مخيفاً وأكمل:

-دكتورة آمال، هل هذا اسمك؟

ابتسمت الدكتورة آمال وهي تحاول كسر حالة التوتر بداخلها قائلة:

-نعم أنا الدكتورة آمال المسئولة عن حالتك، ولكن من الممكن لك مناداتي بآمال فقط دون أية ألقاب، لكن عن اسمك أنت أبادون ما معنى أبادون؟

قالتها في محاولة منها للتعرف على اسم له تستطيع التعرف منه على أي شيء يكشف عن هويته، فصمت وهو ينظر إليها طويلاً قبل أن يقول مبتسماً:

- أبادون مجرد اسم كأبي اسم مكتسب يمكن أن يكون له معنى ومن الممكن ألا يكون له معنى.

نظرت له آمال وهي تحاول أن تستشف أكثر مما لديه وهي تقول:

-لكن جميع الأسماء لها معنى أي اسم إن بحثت عنه ستجد له معنى.

ضحك أبادون ضحكة قصيرة وهو يقترب أكثر منها بوجهه قائلاً:

-إذا فلتبחי أنت عن معنى اسمي فلا اهتمام لديّ لذلك أو من الممكن أنني أعلم جيداً معنى الاسم وأريد منك أن تبחי عنه بنفسك فالمعرفة المكتسبة بالبحث تظل بالذاكرة دائماً يا دكتورة.

نظرت آمال له مصدومة، فكيف لشخص مثله وبخطورة هذا الملف أن يكون حديثه مكتسباً ذلك العمق والفكر قبل أن تسأل:

-هذا عن اسمك وأعدك أن أقوم بالبحث عنه، لكن ماذا تعمل، ما هي مهنتك؟
تراجع أبادون لكرسيه مبتسماً:

-ألم تقل لك الشرطة أن مهنتي هي حصد الأرواح.

حاولت استكشاف عالمه الداخلي أكثر فقالت في محاولة منها أن تكسر حاجز الثلج:

-حصد الأرواح؟ حصد الأرواح ليست مهمة بل هي فعل يُعاقب عليه القانون، أبادون أتمنى أن تضعني بموضع مختلف لديك، أنا لست شرطية، لست هنا لاستجوابك ولا أريد إثبات أية تهمة عليك، على العكس تماماً أنا أتمنى مساعدتك وأحاول فعل هذا بقدر الإمكان، أتمنى أن تساعدني في هذا فكلارك حتى الآن ليس له أية عقلانية على الرغم من احتوائه على العمق والقدر الكافي من الثقافة والتي تعطي لي خلفية عمّن أتحدث معه، فالواضح أنني أتحدث مع شخص مختلف تماماً عن أية تركيبة جاءت لي هنا من قبل، لذلك أريد أن أمد لك يد المساعدة فساعدني لذلك.

صمت أبادون قليلاً ثم قال:

-هل تعلمي يا دكتورة ما هي وظيفة الأسماء في هذا العالم؟ الأسماء ما هي إلا أداة تعريفية لنا يستخدمها الغير أكثر منا على الرغم من خصوصيتها لها، وعن طريق تلك الأسماء تتميز بها الحقوق والالتزامات منذ بداية النشأة، أما عني أنا فليس لديّ حقوق، اسمي يعبر عن صفتي، أنا لديّ التزامات فقط أقوم بها والتزامي هو حصد الأرواح.

تفاجأت الدكتورة آمال بتلك الإجابة فقالت مستفسرة:

-ماذا تعني بأن التزامك هو حصد الأرواح؟ وماذا تعني بأنه ليس لديك أية حقوق؟

ضحك أمامها كثيراً قبل أن يقول وهو ينظر لأعلى وهو يبتسم بلهجة مسرحية تتناسب مع شدة صوت الأوبرا بذات اللحظة:

-تتلخص مهمتي في هذا العالم في حصد أرواح الفساد، في أن أقتلعه من جذوره، مهمتي تنفيذ العدل في الأرض أوقف الظلم وأبسط العدل.

-لكن تلك هي مهمة الشرطة؟

قالتها الدكتورة آمال وهي تنظر إليه، فقال بصوته المميز:

-الشرطة؟ أين الشرطة في حياتنا؟ تلك الشرطة المتوغل بها الفساد من قمتها حتى قاعها، أم تلك الشرطة التي يقيد بها القانون بالأغلال، أم تقصدين تلك الشرطة التي تخشى قيادتها وتتنظر الأوامر وما يُملى عليها فقط؟ أية شرطة تستطيع تنفيذ العدل يا دكتورة وهي ذاتها تفتقر للعدل؟ ثم لدي سؤال أريد منك التفكير فيه ملياً: ما الذي يجعلني أثق في بشر مثلي ومثلك لتحقيق العدل لي؟ أنت لا تعلمين الشرطة كما أعلمها أنا يا دكتورة.

-لكن قولك يتعارض مع مهتمك كما تقول، أنت بشر مثلنا أيضاً، ورغم ذلك تدّعي أنك منفذ العدالة الآن؟ كيف لي أن أثق فيك أنا الأخرى لتنفيذ العدالة، ليس هذا كما يقول مبدؤك.

كان جابجواب أبادون هادئاً بارداً تلك المرة وهو يقول:

-ومن أوحى لك يا دكتورة أنني بشر؟ أنا فكرة، أنا العدالة، لكن يختلف أن العدالة فيّ قد تجسدت في هيئة بشرية، ولقد تنحيت عن كافة حقوقي لا أريد أية حقوق التزم فقط بالتزاماتي، هل رأيت يوماً بشرياً مثلي يرفض حقوقه ويلتزم فقط بالتزاماته؟ لذلك أنا فكرة، مجرد فكرة قد تجسدت في هيئة بشرية.

سكتت آمال قليلاً وهي تتفحصه من خلف نظارتها وتحاول أن ترى ملامحه.

على الرغم من التنكر والأصباغ التي لونت وجهه وجعلته أشبه بالجمجمة، إلا أن ملامحه قد بدت بها الوسامة و.....

- ما بك يا دكتورة، هل هناك قول خاطيء فيما قلته لك الآن؟

قالها حاصد الأرواح وهو ينظر مبتسمًا كاشفًا عن أسنانه الصفراء، فأخرج آمال من تفكيرها، والتي حاولت إبعاده بقولها:

- سأقف معك وسأقتنع بما قلته الآن، لكن ألا ترى ما قلته الآن وأفعالك قد تزيد من العنف؟ ألا ترى حتى لو كانت فكرتك سامية أن تكتفي فقط بتسليمهم للسلطات المختصة والسلطات حينها تتخذ ما تراه مناسبًا؟ لكن أن تتصرف بمفردك ومن تلقاء نفسك، أن تكون ذاتك الحاكم والجلاد، فما الفرق بينك وبين من تقول عنهم فاسدين؟!

ابتسم أبادون وهو ينظر إليها متفحصًا عينيها، الأمر الذي دفعها لا إراديًا أن تنظر باتجاه الباب المغلق بخوف، ثم قال:

- سيدتي الجميلة من أتعامل معهم لا تستطيع سواء الشرطة أو غيرها التعامل معهم، الأمر أكبر من أن تستوعبينه.

صمتت آمال وقد بدأ الحديث يتخذ جانبًا آخر، لا تعلم هل الفضول قد تغلب على خوفها أم ماذا؟ فسألته وقد بدا الفضول واضحًا على تعابير وجهها وهي تقول:

- من تلك الجهات ومن هؤلاء الناس؟ وما السبب لكي تقوم بما تقوم به معهم؟ أمامي الملف الذي يخصك، وعند قراءتي له وجدت أنك متهم بقتل أناس ينتمون لجهات مختلفة، فعلى سبيل المثال أنت قتلت ضباط شرطة ورجال أعمال ورجال سياسة حتى بعض الشيوخ المعروفين بالوقار والاحترام بين الجميع، شباب ليس لهم أية أخطاء سوى انتماءهم لتيارات فكرية مختلفة، ما الشبهة حول كل هؤلاء وما الرابط بينهم لكي يكون العقاب لديهم واحدًا منك؟ وما الفعل الذي ارتكبه لكي تقتلهم؟

ابتسم أبادون قائلاً:

- أترين أن الفساد ليس سببًا كافيًا لما أفعله يا دكتورة؟

تخرجت الدكتورة آمال من الرد الذي جاء غير متوقع من أبادون فحاولت تلافِي ذلك بإظهار تعديل خصلة شعر من على وجهها قائلة:

-من الممكن أن أتفق معك أن هناك بعض ضباط الشرطة فاسدين وأيضاً رجال أعمال ورجال السياسة لكن الشيوخ والشباب لديهم أنشطة مختلفة تماماً فما الداعي لقتلهم على يدك؟

أجاب أبادون بكل هدوء عكس الحديث السابق:

-الأمر مثلما أخبرتك يا دكتورة أكبر مني ومنك بشكل لا تتخيلينه، لذلك لا جدوى من أن أخبرك بما يحدث ذلك أفضل لك؟

حاولت آمال تغيير الحوار لاتجاه آخر قائلة:

- لنترك كل ذلك جانباً فهو بالملف الخاص بك وسأقرأه بروية لكن أريد سؤالك أنت كيف ترى أبادون كشخص؟

ضحك أبادون ضحكة ساخرة وهو يقول:

-أنا أبادون، أنا الملاك الحاصد، أنا كلمته في الأرض... أنا عزرائيل البشري..... أنا يد التنفيذ هنا له.

تفاجأت آمال بما قاله أبادون والذي لم يعطها الفرصة فابتسم وتركها وهو ينظر لشعاع الضوء من النافذة كما لو كان يخبرها بأن وقتها قد انتهى معه، وبدون أن تدري وجدت نفسها تلملم أوراقها والملف أمامها وهي تقول:

- أكتفي معك بهذا القدر من الحوار الشيق يا أبادون اليوم، أتركك اليوم حتى لا أضغط عليك وسأكتفي بحديثي الشيق معك حتى الآن وأتمنى أن تضع صوب عينيك أنني هنا معك لمساعدتك فلست شرطة أو ضدك، ولذلك أريد منك أن تخبرني بأي شيء جديد يطرأ معك أو تحب أن تخبرني به.

نظرت له فوجدته ساكناً ينظر لشعاع الضوء ويتمايل مع مقطع الأوبرا فتركت آمال الجهاز له دون أن يهتم هو بها أو بالجهاز يستمع فقط لموسيقاه وهو في عالم آخر، فاتجهت نحو الباب وهي تطرقه عليه ففتح أحد الحارسين

تلك المساحة الصغيرة التي تسمح له برؤية ما بالداخل، وبمجرد أن وجد أنها الدكتوراة آمال قد أنهت جلستها فتح الباب، وأستوقفها أحد الحراس سائلاً عن هذا الجهاز وتلك الموسيقى فأجابت له أنه جزء من العلاج النفسي له فسمح لها الحارس بالخروج وهي تنظر نظرة أخيرة لأبادون الذي ما زال يتمايل مع موسيقاه أمامها فابتسمت قبل أن يغلق الحارس فتحة الرؤية مرة أخرى.

بعد يوم يُعد طويلاً ومرهقاً للدكتوراة آمال عادت إلى منزل والدها الكائن بمنطقة التجمع الخامس وهو ما يعكس ثراء والدها، وعلى الرغم من محاولاتها المستمرة للاستقلال عن والدها ولو بشكل جزئي واتخاذ شقة سكنية خاصة بها، إلا أن ذلك كان يُقابل بالرفض التام من جانب والدها، وما ساعدها على الاستمرار مع والدها هو وجوده وحيداً ورفضه الكامل الإرتباط مرة أخرى بعد والدتها. كان ما يضايقها بالتحديد هو الشعور الدائم بشبهات الفساد حول والدها وثروته وعلاقته ونفوذه برجال السياسة وما جعله يعد وجبة دسمة دائمة على المحطات الفضائية تتحدث حوله بشكل دائم وبشبهات علاقته بالنظام السياسي القائم في مصر.

لم يكن ذلك كل شيء، لقد حاول والدها أيضاً العديد من المرات إقناعها بالزواج من أحد كبار رجال السياسة بالدولة تارة، ومن أحد أبناء الوزراء تارة أخرى، ولكنها كانت ترفض دائماً ذلك. وعلى الرغم من كون أن إحدى تلك الزيجات كانت ستعود بالإيجاب على نشاط والدها، إلا أنه كان دائماً ما يحترم رغبتها ويغلق باب الحديث حول ذلك الأمر.

لم تكن آمال ترفض لمجرد الرفض، أو لمجرد أنها لا تريد الإرتباط، فهي بداخلها كأي فتاة تبحث عن فارس الأحلام أيضاً، ولها طبيعة كباقي البشر تخفيها خلف جديتها الشديدة وإغراق نفسها بالعمل، إلا أنها تتمنى أن تجد الشخص الذي يخفق قلبها له.

عادت آمال بعد يوم مرهق طويل بالمستشفى كالعادة، وكالعادة أيضاً تعرضت للعديد من المناوشات والمضايقات سواء من الزملاء أو حتى المارة عند عودتها للمنزل.

كانت آمال تعلم جيدًا أنها جميلة بمقاييس الرجال، سواء ملامحها الهادئة التي تجعل منها أيقونة كأفروديت، أو جسدها المتناسق، وشعرها الأشقر الطويل، ولكنها ترفض ذلك، ودائمًا ما ترى أن الجمال لابد أن ينبع من الداخل قبل الخارج وترفض في بعض الأحيان جمالها كرفضها نفوذ والدها فيا لسخرية القدر ما يحسدها عليه زملاؤها أو عامة الناس ترى أنه نقمة، ودائمًا ما كانت تتمنى لو أنها فتاة عادية، ودائمًا ما تحاول أن تخفي ذلك الجمال ضمن منظر الجدية وخلف النظارة والشعر دائم الربط من الخلف.

بمجرد أن دخلت آمال للمنزل وجدت والدها جالسًا على الكرسي وهو يتحدث في الهاتف المحمول في شيء يبدو عليه الجدية فلم تتلفت لعلمها بطبيعة والدها الدائم الحديث عن الأعمال بذلك الشكل ويده الأخرى يمسك السيجار الكوبي الضخم وهو يلوح به، فنظرت له ملوحة بيديها له بتحية باردة، فلوح لها هو الآخر، وأكملت طريقها للصعود نحو غرفتها.

فتحت آمال باب الغرفة وبدون أي وعي تركت جسدها يستلقي على السرير الخاص بها وهي تنظر لسقف الغرفة مفكرة.

كانت تفكر بأبادون ذلك الشخص الغامض، الحالة الجديدة التي تتجه بخطوات ثابتة نحو حكم الإعدام.

كان من الغريب أن ذلك الشخص يعد بكامل القوة العقلية بل ويتحدث بفلسفة لم تجدها ضمن أشخاص آخرين أكثر علمًا وعقلًا، فعلى الرغم من عدم تمكن شخص بالعلم بهويته الصحيحة إلا أنه من الواضح مستوى تعليمه وتفكيره وذكائه. أخرجت آمال جهاز الحاسب الخاص بها وفتحته على مقطع أوبرا زواج فيغارو قبل أن تخرج الملف الأحمر الوردي الخاص به من حقيبتها وهي تنظر للعنوان على غلافه المكتوب بالحبر الأزرق:

«أبادون»

نظرت إليه قليلاً ثم ألقته جانبًا واتجهت لكي تبدل ملابسها في الحمام المرفق بالغرفة وجاءت مرتدية ملابس منزل بيضاء اللون وقد تركت لشعرها الذهبي حرية أن ينساب على كتفيها فأعطاها ذلك ملامح ملائكية زادتها

جمالاً ورونقاً وقد استلقت على السرير متكئة برأسها على مقدمة السرير وهي تفتح الملف وتنظر للورقة الأولى به.

كانت الورقة الأولى هي صورة الفيش الجنائي الخاص بأبادون وعليه صورة من البصمات الخاصة به وقد كتب عليه «لم يُستدل على هويته»، فعبرت تلك الصفحة للصفحة الأخرى وكانت صورة خطية من محضر الشرطة والنيابة العامة وهي تعدد الجرائم الخاصة بأبادون.

كانت الجرائم متعددة تتجاوز الثماني حالات قتل وتختلط كما لاحظت من قبل بعدة شخصيات مختلفة، البعض تحوم حوله شبهة الفساد حقاً سواء من رجال الأعمال أو السياسة أو الشرطة، أما الوضع المحير هو بعض الشباب وأصحاب الفكر الديني، حتى وإن كانوا يتبعون منهجاً سياسياً مغايراً، إلا أنهم يعيدون كل البعد عن شبهات الفساد وهو أمر محير.

كما قرأت تقرير سلوكه خلال فترة إيداعه الحبس الاحتياطي ووجدت أن التقرير لا شبهة خروج عن النص فيه، إلا في حالات قليلة جداً، وكانت تأتي رد فعل ليس أكثر، وهو ما يدل على الاتزان النفسي لأبادون.

اتجهت بعد ذلك لمنطوق القرار الصادر من محكمة النقض والذي أقر بإيداع المتهم بالمصحة النفسية لمدة خمسة وأربعين يوماً للملاحظة وذلك حتى تنتطق محكمة النقض بالحكم البات والذي لا رجعة فيه.

عادت آمال مرة أخرى للصفحة الأولى من الملف واتجهت صوب عينيها صورة أبادون الغريبة والمختلفة ورأت عينيه الموجودتين بالأبيض والأسود بتلك الصورة وتذكرت كم هما زرقاوين، وعلى الرغم من كونها صورة إلا أنها شعرت بأن نظرتة بالصورة تتفحصها بشكل حاد.

أخرجها من تفكيرها رنين هاتفها فجاءت به من على الكومود بجانب سريرها ونظرت به فوجدته الدكتور كريم زميلها في العمل والدائم مغازلتها ومحاولة التقرب منها بشكل واضح جداً، وأحياناً كان ذلك يصل لحد القذارة بالحديث، ولكن كان ذلك يقع مع غيرها من الزميلات، أما هي فكانت لها حصانة خاصة لقوة ومركز والدها بالدولة والذي يخشاه الجميع دائماً.

ودائمًا ما تحيط بكريم أيضًا العلاقات المشبوهة سواء بالنساء أو حتى بعمله، فكان يُشاع عن كريم أنه دائمًا ما يلجأ له الأشخاص المحكوم عليهم باتهامات خطيرة لإعطائهم شهادات الخلل العقلي مقابل مبالغ مالية ضخمة، ولكن لم تُثبت عليه أي اتهامات حتى الآن.

على الرغم من رغبتها في عدم الرد، إلا أنها أطفأت موسيقى الأوبرا قبل أن تجيب على الرنين خشية أن يكون الاتصال ناتجًا عن شيء هام بالمستشفى، على الرغم من تأكدها دائمًا من نوايا الدكتور كريم.

أجابت بتثاقل كما لو كان غلبها النعاس:
-ألو.

وجدت صوت كريم قادمًا من على الطرف الآخر يقول بسخافته المعهودة:

-مساء الخير عليك يا آمال كيف حالك؟

أجابت آمال بشكل تحاول فيه أن تبدو حازمة وبجدية كبيرة:

-هل هناك شيء ما يا دكتور كريم؟

حاول كريم تلطيف الأجواء وهو يقول:

- هل لابد أن يكون هناك شيء لكي اتصل بك؟ أردت فقط الاطمئنان عليك.

أجابت بشيء من العصبية:

-لكن ليس من الطبيعي أن تتصل بي قرب منتصف الليل وترى أن الأمر شيئًا عاديًا.

تحدث كريم وقد بدا على صوته الاضطراب وهو يقول:

-وما الخطب أن أتحدث معك يا آمال الآن؟

أجابت آمال بصوت حاد مشوب بالعصبية:

- اتصالك بمثل هذا التوقيت وانت ترى أن الموضوع ليس به أي إزعاج وطبيعي هذا شأن يخصك، لكنه غير طبيعي بالنسبة لأي شخص عاقل

ويحمل لحرماً للآخرين، وأرجو منك عند الحديث معي مرة أخرى أن تلقبني بالدكتورة آمال وليس مجرد آمال.

قالتها وهي تغلق الهاتف دون أن تدع مجالاً له للرد ثم عادت تنظر لملف أبادون مرة أخرى قبل أن تعيد تشغيل مقطع موسيقى الأوبرا وتفتح متصفح جوجل وتكتب اسم أبادون.

كان أول ما ظهر لها موقع ويكيبيديا فتحته على الفور لتجد ما كُتب عن أبادون كالتالي:

وُجد مفهوم الموت ككيان محسوس في العديد من المجتمعات منذ فجر التاريخ. ففي الإنجليزية، غالباً ما كان يطلق على «الموت» حاصد الأرواح ومنذ القرن الخامس عشر إلى يومنا هذا، كان يظهر على شكل هيكل عظمي يحمل منجلاً كبيراً ويرتدي عباءة سوداء مع قلنسوة. وكان يطلق عليه أيضاً ملاك الموت أو عفريت الموت أو ملاك الظلام والضوء (ملاك هامافيت «الموت»)، وهو اسم مشتق من الإنجيل وعلم التلمود. ولم يشير الإنجيل نفسه إلى «ملاك الموت»، ومع ذلك، كانت الإشارة إلى «أبادون (Abaddon)» (المدمر)، وهو الملاك المعروف باسم «ملاك الهاوية». وفي علم التلمود، وُصف بـ الملاك الرئيسي سامائيل.

في بعض الحالات، يكون «قابض الأرواح» قادراً على التسبب الفعلي في وفاة الضحية مما أدى إلى الحكايات التي تروي إمكانية رشوته أو خداعه أو الاحتيال عليه من أجل الحفاظ على الحياة، مثلما هو الحال في قصة سيزيف. بينما ترى المعتقدات الأخرى أن «شبح الموت» ما هو إلا مرشد الأرواح يمضي كرباط بين الروح والجسد وتوجيه الميت إلى العالم الآخر دون وجود أي رقابة على حقيقة وفاة الشخص. في العديد من اللغات (بما فيها اللغة الإنجليزية)، يتم تجسيد «الموت» في شكل ذكر، بينما في اللغات الأخرى، يعني شخصية نسائية (على سبيل المثال، في السلافية واللغات الرومانسية).

أما بأحد المواقع الأخرى وبه معتقدات دينية أخرى حول أبادون فقد كتب:

نهاية العالم في المعتقدات الدينية:

-تؤمن الكثير من الحضارات باختلاف معتقداتها الدينية بمجيء يوم لم يسبق للبشرية أن شهدته طوال تاريخها، ولقعد وضعت أغلب الأديان سيناريوهات لهذا الحدث وما يسبقه من علامات وأحداث، فنجد في المعتقد المسيحي واليهودي تشابهاً كبيراً فيما يخص نهاية العالم ويتلخص ذلك في نزول المسيح المنتظر وقيام معركة هرمجدون وهي المعركة الفاصلة بين الخير والشر وبين أتباع الله وأتباع الشيطان وعلى إثرها تكون نهاية العالم ليحكم المسيح بعدها بسعادة أبدية ويرفعون للسماء مع المسيح وتتدمر الأرض ويحدث هذا بعد سماع النفير السادس من بين الملائكة السبعة وبعد سقوط الختم السابع.

وبحسب أحد التفسيرات المسيحية لنهاية العالم فإن المسيح يعود للأرض ويهزم الدجال عدو المسيح أو الوحش ومعه الشيطان في معركة هرمجدون وسيلقي الشيطان في الهاوية أو الجحيم لمدة ١٠٠٠ سنة تعرف باسم عصر الألفية، وبعد انقضاء تلك المدة سيتحرر الشيطان من الهاوية ويجمع أتباعه من قوم يأجوج ومأجوج من مختلف جهات الأرض ليحاصروا الأماكن المقدسة ومدينة القدس (أورشليم) لكن ناراً سيشعلها الرب وتنطلق من السماوات تلتهم يأجوج ومأجوج ومن سيبقى من الشيطان وأتباعه حينها سيغرقون ببحيرة من الكبريت.

وعلامات آخر الزمان تتمثل في:

ذكر في سفر الرؤيا الذي كتبه يوحنا اللاهوتي جزء هام من رؤى المسيح خلال تلك الأيام وذكر سبعة أحداث عظيمة تسبق نهاية العالم أي أنها أشراط الساعة بالمعتقد المسيحي. وتتمثل تلك الأشراط في الأختام السبعة فكلما اقتربت نهاية العالم سقط ختم وازداد الدمار أكثر. ويطلق على الأختام الأربعة الأولى «أختام الفرسان الأربعة»، الختم الأول يؤدي لظهور المسيح الدجال، والثاني يؤدي لقيام حرب عظيمة والثالث يؤدي لظهور مجاعة، والرابع يسبب الطاعون ومزيداً من الحرب والمجاعة، والخامس يخبر عن الذين سيكونون شهداء لإيمانهم بالمسيح في آخر الزمان والرب يسمع صراخهم بالعدالة ويقدمها لهم بالختم السادس وعندما يُزال الختم السادس سيحدث زلزال يؤدي لاضطراب هائل ويسبب دماراً رهيباً.

وعندما يسقط الختم السابع والأخير يكون هناك سبعة ملائكة يحمل كل منها بوقاً وينفخ كل منهم بدوره.

أتمت آمال قراءة ما قرأته وقد أيقنت أن الشخص الذي لديها بهذا الملف ليس مجرد شخص عادي مريض كما تقول التقارير، أو مجرم حتى غير مريض، بل هو شخص على قدر عال من الثقافة والعلم بل هو صاحب فكر، حتى وإن كان فكره خاطئاً، لكن مَنْ يكون على تلك الدراية لعمل مثل هذا الإسقاط بين ملاك قابض للروح مثل أبادون والشخص الذي أمامها فليس بالشيء الهين.

أغلقت الحاسب الخاص بها وقررت أن تنزل لأسفل تجلس مع والدها قليلاً، وحين نزلت السلالم الأولى وجدته قد أنهى حديثه وأغلق هاتفه وهو يجلس يدخلن سيجاره ويشاهد التلفاز بقناة إخبارية ما فأرادت أن تشاركه الأمر لعلها تخرج من دائرة التفكير في أبادون قليلاً.

حين رآها أبوها بدت عليه علامات السعادة فعلى الرغم من العلاقة المتوترة بينهما لما يقال عنه، إلا أنه يعشقها، يراها ابنته الصغيرة المدللة حتى وإن رفضت هي هذا التدليل، سوف يظل يراها طفلة الصغيرة، وهو يعلم جيداً حبها له هي الأخرى حتى وإن توترت العلاقة بينهما ببعض الأوقات.

جلست على الأريكة بجانبه تشاهد التلفاز وهي ترى وزير الخارجية المصري وهو يلقي بياناً مسجلاً، ويرى من خلاله أن مصر ليست كتونس والوضع المصري مختلف تماماً عن الوضع التونسي فليس هناك داعي للقلق، فسألت آمال والدها قائلة:

-ماذا هناك يا والدي، أرى التوتر يجوب الأنحاء، الجميع يتحدث عن احتجاجات سوف تحدث بعد ما حدث بتونس، والآن يُقال من المسؤولين إنه لا مجال لتلك الاحتجاجات بمصر، فهي ليست كتونس، ماذا عنك يا أبي كيف ترى الوضع؟

نفث أبوها دخانه قائلاً:

-انظري يا ابنتي بعيداً عما أعلمه أنا من داخل المطبخ السياسي المصري،

فمثل هذا القول من وزير الخارجية غير مطمئن.

تساءلت آمال:

-ولكن ماذا قال، كل ما قاله أن مصر ليست تونس، أي ما حدث بتونس لا مجال له أن يحدث في مصر.

اعتدل والدها وهو يقلل درجات صوت التلفاز ليتمكن من الحديث معها جيداً:

-انظري يا آمال، إن كنت تسيرين في الطريق الصحيح وحدثت بعض الكلمات من بعض الأشخاص حولك، فمن الخطأ أن تلتفت له وتحاوريه حول رأيه، فكما يُقال واثق الخطوات يمشي ملكاً، لكن إن توقفت وجادلته فهذا يعني أنك تشعرين بالتقصير، أو أن ما يقال حولك صحيح، حينها تكون بداية السقوط.

نفث دخاناً آخر من سيجاره قائلاً وهو يشير لوزير الخارجية وحديثه:

-سقطت ذلك التصريح أنه جعل الحكومة تلتفت لما يُقال، وهذه شهادة كبيرة بل ودافع لما يُقال ليجعل الأمر نداءً لند، لكن الصحيح أن تترك ما يُقال، وحتى إن كان جدياً تستعد له دون الإدلاء بأي تصريحات، لكن هذا التصريح شهادة بأن هناك ما سيحدث خلال الأيام القليلة القادمة.

تساءلت آمال:

-أتقصد الخامس والعشرين من يناير وما يقال عنه.

أوماً والدها قائلاً:

-نعم، وأدعو الله أن يمر هذا اليوم بخير، أنا أعلم جيداً ما يحدث داخل المطبخ السياسي المصري، وقربي من صناع القرار بمصر يؤكد لي أن ما يتم التجهيز له ليس مجرد اضطرابات أو احتجاجات، بل الأمر أسوأ بمراحل.

غمغت آمال بشيء من القلق بعد قول والدها قائلة:

-أتمنى أن يمر الأمر بخير.

قالتها وسكتت فنظر إليها والدها متسائلاً:

-ما بك؟ أنا أعرفك جيداً عند وجود ما يشغل بالك، وأستطيع القول أن هناك ليس فقط ما يشغل بالك، لكنه متحكم في تفكيرك بشكل كامل، أتستطيع البنت الصغيرة أن تخبر أباهما بما بها؟

تنهدت آمال ثم قالت:

-الأمر ليس سوى حالة جديدة لدينا بالمشفى ولكنها حالة لم تمر عليّ من قبل، شخص متهم بعدة جرائم قتل لكن تلك الحالة لم تمر عليّ من قبل.

بدأت قسمت وجه والدها تأخذ الجدية وهو يطلق دخان سيجارته:

-ماذا تعنين؟

لم تكن تعرف كيفية وصف ما تشعر به تجاه تلك الحالة ولكنها قالت:

-شخص تشعر بإيمانه الشديد بكل كلمة يقولها، يرى أن ما يفعله كالرسالات السماوية لا غبار عليها ولا يستطيع أحد مراجعته، زاهد في الحياة، لا يريد أي حقوق، ويرى أن ما عليه سوى الالتزامات في الأرض، يرى أنه تجسيد ليد الله في الأرض لتطهيرها من الفساد وما يتعلق به، وعند سؤاله عن لماذا لا يترك هذا الأمر لرجال الشرطة بمصر يرى أنه لا وجود لتلك السلطة في يد بشرية، أما هو فهو مجرد فكرة، فكرة تجسدت للتنفيذ.

بدا على وجه أبيها الارتباك وهو يطفئ سيجارته متسائلاً بصوت بدا مهزوزاً:

-قلت لي ما اسم هذا الشخص؟

أجابته سريعاً:

-أبادون، اسمه أبادون.

شعرت آمال حينها لوهلة أن أباهما كاد يُسقط طفاية السجائر من الارتباك الذي حدث له عند سماع هذا اللسم، وقد وقف وهو يحاول التقاط أنفاسه، فحاولت آمال الاقتراب منه سريعاً متسائلة:

-بابا هل بك شيء؟

طمأنها بإشارة من يده وهو يقول بهدوء مصطنع:

-لا لا يا بنيتي أنتِ تعلمين داء السكر وما يفعله بي، أشعر فقط بهبوط لا تقلقي.

أسندته آمال بيدها وهي تسأله بقلق:

-أتريد مني الاتصال بالدكتور؟

رفض والدها قائلاً:

-الأمر لا يصل لذلك يا آمال الأمر كله مجرد بعض التعب والإرهاق ليس أكثر، سأصعد لأعلى لأستريح فقط لا تقلقي.

لم تكف كلمات والدها لجعلها تشعر بالاطمئنان وهي تراه يصعد لغرفته وحاولت المكوث بمكانها قليلاً إلا أنها لم تستطع أن تجلس بعدما شعرت بالقلق علي والدها فرأت أن تصعد لتطمئن عليه وبعد ذلك تقرأ بملف أبادون قليلاً.

صعدت إلى غرفة والدها وهمت بطرق الباب ولكنها توقفت وهي تستمع لما يقوله والدها بحدة لشخص ما على الهاتف:

-لم أكن أعلم أن الأمر سيسير هكذا، ماذا تريدون مني، ولم أدخلتم ابنتي باللعبة، ألم تجدوا أي دكتور آخر يوافق على مراقبة «أبادون» سوى ابنتي، أنتظر منكم سحب تلك الحالة من ابنتي وإلا سأهدم المعبد على الجميع، واعتبر أن ما صدر مني تهديدًا مباشرًا.

وأغلق الهاتف.....

يفتح عينيه ببطء لينظر إليها فيجدها تعبت بشعره قائلة:

-صباح الخير يا حبيبي.

الفصل الثالث

اليوم السابع من يناير الساعة السابعة صباحًا

ترددت خطوات حذاء لأرجل تسير برصانة متأنية بذلك المبنى التابع لإحدى الجهات السيادية بالقاهرة والذي لا يحمل أي لافتة تدل على كنهه، كل ما هنالك تلك الحراسة المشددة، والحديث حول أن ذلك المكان كما لو كانت مدينة كاملة بداخله، وهنالك من يتحدث عن وجود طوابق متعددة تمتد لأسفل الأرض، بل امتدت الأساطير التي نسجها حوله الشعب المصري كالمعتاد إلى أنه يحتوي على ممرات تحت الأرض لتصل إلى وسط المدينة، بخلاف العديد والعديد من الأساطير الأخرى. وعلى الرغم من عدم معرفتهم بماهية هذا المكان، إلا أن الجميع أجمع على أنه مبنى تابع لجهاز المخابرات العامة، فجميع الدلائل تؤكد ذلك، وعلى الرغم من أن الأمر يكاد يشبه تخمينهم، إلا أن هذا المبنى يختلف كليًا وبيتعد تمامًا عن جميع تخيلاتهم.

كان صاحب تلك الخطوات يكاد يقترب من الخمسين من عمره، بدأ الشيب يسري بشعره، لكن قسمات وجهه تُفصح عن وسامة صارخة، متأنق بشكل واضح وجلي، ويحمل بين يديه ملفًا، ويدخل مكتبه الذي تتسع مساحته بشكل يشغل طابقًا كاملًا من حيث المساحة، وعلى الرغم من اتساعه لا يحتوي إلا على مكتب ومنضدة اجتماعات صغيرة أمامه مع أريكتين على مقربة من الباب، أما على الحائط فقد تراصت أكثر من عشر شاشات صغيرة تنقل جميع المواقع الإخبارية حول العالم، والمكتب أمامه جهاز حاسب مكتبي ضخم وجهاز حاسب آخر محمول، تقدم هذا الشخص باتجاه أحد الأركان والذي تواجد به مصعد آخر، وقد وقف أمامه القادم وهو يضغط على شاشة تواجدت بجانب المصعد بإبهامه فانفتح المصعد وهو يدلف بداخله فأغلق باب المصعد وتحرك باتجاه أسفل دون أن توجد به لوحة إشارة للطوابق كما لو كان هذا المصعد مخصصًا لطابق بعينه، إلى أن وصل المصعد لطابقه المنشود فتوقف وخرج منه القادم ليجد بابًا آخر وبجانبه لوحتان إحداهما خاصة ببصمة الإبهام فترك لها بصمته، والأخرى أعلى قليلًا فصوب عينيه تجاهها لتأخذ بصمة قزحية العين، فوجد الباب يُفتح أمامه فدلف للداخل ليجد شخصًا قد تجاوز الستين من العمر يحمل وجهه شاربًا

قد جاوزه الشيب ورأس قارب على الصلح مع وجود الشعر على جانب الرأس وقد انتشر بهما الشيب يجلس أمامه على مكتبه وهو ينظر للشاشات معلقة أمامه ويرى بعينه ما ينقله العالم عن الوضع القائم بمصر، ودون أن ينظر الجالس للقادم قال له:
-تفضل يا عزت اجلس.

جلس العقيد عزت أمامه على المكتب وهو ينظر بدوره للافتة المكتب التي تحمل اسم « اللواء صلاح الششتاوي» ثم ينظر بدوره هو الآخر للأنباء الواردة حول مصر من وكالات الأنباء العربية والعالمية، إلى أن وجد اللواء صلاح يستدير له وينظر إليه وهو يكشف عن سيجاره الذي يشعله ليأخذ منه نفسًا عميقًا وهو يسأل:

-كيف هو الوضع الآن يا عزت؟ كيف ترى التقارير حول ما سيحدث بالخامس والعشرين من يناير؟

ناوله العقيد عزت الملف بين يديه وهو يقول بهدوء:

-الوضع غير مطمئن على الإطلاق يا سيدي. الأمور مشتتة، وتكاسل الجهات الأمنية غير مبرر على الإطلاق، وعدم تصرف سيادة الرئيس مبارك وتلك السياسة التي ينتهجها لن تؤدي بالأمور إلى خير.

نفث اللواء صلاح دخانًا آخر قبل أن يطفئ سيجارته ويقوم من على مقعده ويده خلفه ينظر للشاشات التي أمامه وهو يتحدث:

-الأمر لا تعيه أنت يا عزت بشكل كامل، اثنان فقط يعلمان ببواطن الأمور هنا، سيادة اللواء عمر سليمان منشيء هذا الجهاز، وتلك الجهة التي لا يعلمها سوانا نحن، ومن يعمل معنا بدائرة محدودة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، حتى سيادة الرئيس مبارك وقيادات الجيش والشرطة لا يعلمون سوى أن هذا المبنى تابع للمخابرات العامة المصرية فقط، وهذا خير لنا ألا يعلم أحد آخر شيئًا عن هذا الجهاز، وهو ما يعطي لنا الحرية للتعامل والتدخل بالتوقيت المناسب دون إملاء أية توجيهات أو اتباع أية جهات والعمل لمصر فقط ليس إلا.

تساءل عزت قائلاً وهو يقف هو الآخر لينظر لأخبار الوكالات العالمية عن الوضع المصري:

-وماذا عن رأي سيادة اللواء عمر سليمان فيما يحدث؟
نظر له اللواء صلاح قائلاً:

-اللواء عمر سليمان يرى أن ما يحدث لا يبشر بخير، هي مطالب الشباب، ويعلم جيداً شرعية أن يطالب الشباب بما يريدون حتى لو كانت الظروف لا تسمح. كما أنه يعلم جيداً أن الفساد قد أصبح متوغلاً في كثير من القطاعات المصرية، وسيطرة رأس المال وتزواج السلطة بالمال وزيادة الاحتكار بالقطاعات الإنتاجية الهامة بمصر سيؤدي بلا شك لكارثة. كما أن الرئيس مبارك يشغله حالياً كيفية إيصال ابنه جمال لسدة الحكم، وأيضاً بطريقة ديمقراطية ليصبح أول رئيس مدني مصري منتخب وهنا يتعارض ذلك مع رغبة بعض من قيادات الجيش المصري والتي ترى أحقيتها في الحكم وألا يخرج حكم مصر من عباءة الجيش المصري، وتلك المواجهة ستؤدي لكارثة كبرى طالما حذر منها سيادة اللواء للرئيس، لكن الرئيس مبارك لديه رؤية أخرى لم يستطع سيادة اللواء سوى أن يحترمها فبعيداً عن كون هذا الجهاز قد أنشئ لإدارة مصر وتوجيه الدفة لما يريد، لكن يظل أنه بعيد عن الإدارة السياسية هو يحاول مجابهة ما يحاك ضد مصر، لكن الإدارة السياسية يظل لها رجالها ولم نتدخل بها حتى الآن.

-لذلك فاللواء عمر سليمان يخشى مما سيحدث غداً، خاصة بعد بعض الأنباء التي وردت إلينا بشأن استغلال بعض الجهات الداخلية والخارجية لما سيحدث غداً. ولذلك يجب أن نكون على تواصل دائم مع سيادة اللواء سواء أنا أو أنت بأي أخبار قد ترد إلينا في أي توقيت، فسيادة اللواء يرى أن غداً هو اليوم الحقيقي لاختبار مدى كفاءة الجهاز الذي أنشأه في إدارة الأزمات.

قالها وهو ينظر للشاشات مرة أخرى ويقول:

-وليكن الله في عوننا جميعاً.

جلست آمال تنظر لأبادون الذي كان على النقيض تمامًا من أمس لا يبتغي حديثًا معها، حاولت التحدث معه عدة مرات خاصة أنها تريد معرفة الصلة بينه وبين والدها، ما الذي يجعل والدها يتحدث هكذا عنه؟ هل هناك علاقة تربطهما معًا، هل تعامل أبادون مع والدها سابقًا، أم أن الأمر أكبر من ذلك. كان أبادون صامتًا ينظر للنافذة بالخارج، حينها قامت آمال بالاتجاه للجهاز الصوتي قبل أن تعيد تشغيله على مقطع أوبرا زواج فيغارو محاولة منها لكسر حاجز الصمت وهي تقول ممازحة:

-أتعلم يا أبادون، منذ أمس وأنا أسمع بعض المقاطع السيمفونية، يبدو أن بك عدوى لحب الموسيقى.

قالتها وهي تتجه للمقعد أمام أبادون الذي تحدث لأول مرة قائلاً:

-الموسيقى، وخاصة الأوبرا، إن أصبحت عدوى بيننا لاختلف الكثير والكثير في حياتنا يا دكتورة، الموسيقى هي الحرية تتجسد بصوت.

ابتسمت آمال لنجاح محاولتها بجعل أبادون يتحدث وهي تقول:

-كلام رائع وله فلسفته الخاصة، ما رأيك بمفهوم الحرية يا أبادون؟

-ما رأيك أنتِ يا دكتورة حول مفهوم الحرية؟

نظرت له آمال محرّكة كتفيها قائلة:

-الحرية هي ما الفطرة التي وُلد عليها الإنسان، فالإنسان بالأصل ولد حرًا باختياراته طالما لا تزعج الآخرين، لكن البعض منا يضع لنفسه قيودًا تغل تلك الحرية.

نظر أبادون لآمال وابتسم ابتسامة واسعة أظهرت أسنانه الصفراء وهو يقول:

-هل ترين أن هذا المعنى كافٍ للحرية، ألا ترين أن الإنسان لا يولد حرًا مطلقًا؟ أنتِ مثلاً، هل اخترتِ أبيكِ أو جنسيتكِ أو حتى دينكِ؟

صُعقت آمال من السؤال وهي تقول مبهوتة:

-لا.

ضحك أبادون جيداً وهو يقول:

-إذا هذا لا يعطي سبيلاً لتعريفك معنى الحرية، أترين ذاك الآن؟ أترين شخصك؟ أنت بما تسمينه حرية، الآن لديك وظيفتك وتستطيعين الخروج وقتما شئت، لكن أنا ها قابع بتلك الزنزانة ومحاط بكل تلك الحراسة ولا أستطيع حتى أن أبرح مكاني، برأيك من منا حر، أنت أم أنا؟

صمتت آمال دون أن تجيب فأكمل أبادون هامساً:

-أنا من أملك الحرية الحقيقية أما أنت فحررتك زائفة، تعملين بوظيفة رتيبة يومياً لتعودي إلى منزل ووالد لم تختاري أن تعيشي معه، وكثير من أمور حياتك فرضت عليك سواء من أهلك، أو مجتمعك، أو دينك؟

حرك أبادون مقعده وهو يهّب واقفاً ويبسط يديه جانباً وهو يقول بلهجة مسرحية:

-أما أنا فأنا الحرية ذاتها لا يوجد سقف لدي، أعمل ما شئت، لا نوجد لدي قواعد، مبادئ هي ألا قواعد، أعمل ما أحب، وأعاقب من أحب، أتحكم بمصائر من يستحق ذلك.

قالها وهو يشير بإصبعه ويكمل:

-فقط من أتحكم بمصائرهم يستحقون ذلك.

قالها وهو يجلس مرة أخرى، ودون أن يعطي لآمال أن تستفيق من تلك المحادثة قال لها متسائلاً:

-هل من الممكن أن أسالك عن أحوال البلاد الآن، كيف هي مصر وأنا أسترق السمع بوجود توتر بالخارج؟

تنحنت آمال وهو تحاول أن تستعيد رباطة جأشها وتبعد ما قاله عن تفكيرها قائلة بصوت مهزوز:

-يتكلم الجميع عن بعض التوتر بين هنا وهناك وبعض الاحتجاجات التي ستقام يوم الخامس والعشرين من يناير لكن الحكومة تؤكد أن كل شيء

على ما يرام.

ضحك أبادون بشدة وهو يحاول الحديث من الضحك الهيستيري الذي أصابه إلى أن هداً وهو يقول:

- كل شيء على ما يرام؟ لا شيء على ما يرام يا دكتورة، الاحتجاجات ستندلع وهم يعلمون ذلك تماماً وينتظرونه منذ زمن، لكن صبر الشعب المصري الجميل كان طويلاً على ذلك النظام، والآن ستندلع الاحتجاجات ولن تتوقف ستتصاعد، وإن كانت في طريقها للتوقف أو الهدوء ستعود لتندلع مرة أخرى من جديد، إن الأمر مخطط له يا دكتورة منذ عدة سنوات ولن يستطيع أحد الوقوف أمام التخطيط أو توقيفه مهما كان الأمر.

نظرت له آمال من خلف نظارتها وهو تقول:

-ماذا تقصد؟

-غداً ستعلمين.

قالها أبادون وقبل أن تكمل آمال حديثها وجدت الباب يُفتح ويدلف الدكتور كريم للداخل وهو يقول:

-أرى أنك تستمتعين بوقتكِ مع هذا المريض يا دكتورة آمال.

قالها بسخرية، فنظرت له آمال نظرة غاضبة قبل أن تقف وتقول:

-دكتور كريم كيف لك أن تدخل أثناء جلستي مع مريض خاص بي؟.

-لم يعد هذا المريض ضمن اختصاصاتك يا دكتورة، تم نقل هذا المريض لرعايتي أنا، وأنا من سأكتب التقرير الخاص به.

قالها كريم بهدوء مستفز قبل أن تجيب آمال بغضب:

-من سمح لك بذلك، سأعترض للدكتور نبيل على تدخلك و.....

قاطعها كريم:

-الدكتور نبيل ذاته هو من طلب نقل اختصاصات هذا المريض إلى

اختصاصاتي أنا.

توقفت آمال عن الحديث وهي لا تعلم ماذا تفعل، أما كريم فقد تحرك بسخرية تجاه الجهاز الصوتي قبل أن يمسكه قائلاً بسخرية:

-جميل جداً، أرى أن العلاج تطور كثيراً حتى أصبحنا نعرض على المرضى موسيقى الأوبرا التافهة تلك.

لم يكذب يقول تلك الجملة حتى تحرك أبادون، واقفاً بسرعة تاركاً كرسيه يسقط خلفه وهو يمسك بعنق كريم بيده وهو يقول:

- امممممممم أرى أن هناك بيننا من لا يحترم المعنى الحقيقي لموسيقى الأوبرا بل ويسخر منها باللحن، عيب عليك أن تكون دكتوراً نفسياً ولا تعلم أهمية الموسيقى بحق.

قالها وهو يضغط على عنقه بيده فبدا كريم بغاية الذعر بوجه أحمر وهو لا يستطيع التنفس، أما آمال فقد وقفت مندهشة، فلأول مرة ترى هذا الأسلوب العدائي من أبادون، وعلى الرغم من كراهيتها للعنف إلا أنها كانت مستمتعة بما يحدث لكريم الذي قال بذعر وبصوت لاهث مختنق:

-آمال دعيه يتوقف عن ذلك.

قبل أن تتحدث آمال وجدت الباب يُفتح ويدخل منه ضابط شرطة ومن خلفه يتبعه اثنان من العساكر، وعندما رأى الضابط ما يحدث أمسك سلاحه على الفور وهو يقول:

-اتركه حالاً وإلا أطلقت النار.

ابتسم أبادون وهو يرفع يديه عالياً تاركاً الدكتور كريم الذي وقع على الأرض ممسكاً بعنقه وهو يحاول التنفس، فطلب الضابط من أحد الحراس مساعدته قبل أن يتساءل:

-ماذا يحدث هنا؟

ردت آمال محاولة نفي أي اتهام عن أبادون:

-لا شيء حضرة الضابط، كل ما هنالك أننا كنا بجلسة علاج أنا ومريضي قبل أن يأتي الدكتور كريم مستفزاً له دون أن يعي كيفية التعامل مع هذا المريض.

قال كريم بصوت مختنق:

-لم يعد مريضها الخاص سيادتك، بل أصبح المريض تحت مسؤوليتي أنا طبّقاً لأمر مدير المستشفى.

تنهد الضابط وهو ينظر لأبادون الذي ما زال يبتسم تلك الابتسامة المستفزة قائلاً:

-يؤسفني أنه لم يعد مريض أياً منكم، لقد قررت السلطات نقله إلى مكان آخر.

بدت الدهشة على آمال قائلة:

-مَن سيادتك، ومن أين أتى هذا الأمر؟

أجاب الضابط:

-الرائد علاء عبد الرحمن أمن دولة، لديّ أمر بإحضار من يُدعي أبادون لسجن أبو زعبل والاكتفاء بتلك الفترة التي قضاها بتلك المصحة.

تفاجأت آمال من ذلك وهي تتساءل:

-كيف لكم أن تأخذوه وهو لم يُكمل المدة القانونية بالمصحة، مدة الخمسة وأربعين يوماً تحت الملاحظة قبل النطق بالحكم.

تفاجأت آمال بقيام الرائد علاء بإصدار الأمر لمن معه بإحضار أبادون، فأسرعوا بإمساكه والرائد علاء يقول لها بهدوء بارد:

-مدة الخمسة وأربعين يوماً هي المدة القانونية بالأجواء العادية، لكن الأمور مختلفة الآن، وأظن أنك على دراية بما يحدث، أبادون مطلوب لتحقيق جديد ليس له علاقة بما عليه من أحكام، وأعدك يا دكتورة أن ننهي معه التحقيق وسنعيده لك كاملاً دون المساس به، أبادون سيكون ضيفاً عزيزاً لدينا الايام

القادمة.

هنا أفلتت الأعصاب من آمال وهي تقول بحدة:

-ولكني لن أسمح لك....

قاطعها أبادون بهدوء قائلاً:

-لا تقلقي يا دكتورة، صديقي العزيز الرائد علاء صديق سابق وهو يريد التحدث معي بالوضع الآن والأخذ بمشورتي، سنتباحث سوياً وسأعود على الفور.

قالها وهم يصطحبونه، فنظر لها أبادون مبتسماً غامزاً بعينه وهو يقول:

-لنا لقاء آخر يا دكتورة لا تقلقي قريباً جداً وسيكون بعيداً عن هنا، وتذكري يا عزيزتي فقط من أتحمكم بمصائبهم يستحقون ذلك.

قالها وهو يخرج بهدوء مع الرائد علاء ومصطحبيه تاركاً خلفه آمال في حيرة دون الإجابة على سؤالها الذي كانت تود أن تسأله:

ما علاقتك بصبري الورداني؟

يفتح باب المنزل ويسير بهدوء فيجدها تجهز الطعام كما توقع وظهرها له، يسير على أطراف أصابعه ويحتضنها من ظهرها فتتفاجأ به فيقبلها على جبينها قائلاً:

-أحبك.

بعد ثلاث ساعات بسجن أبو زعبل:

جلس الرائد علاء بغرفة التحقيق المظلمة إلا من ضوء أبيض صغير يتدلى من سقف الغرفة وهو يتلاعب بقداحته الكلاسيكية بفتحها وغلقها، إلى أن فتح باب الغرفة الشبيهة بالزنزانة والفارغة سوى من منضدة معدنية وأمامها

كرسيان معدنيان ليدلف شخص ضخم يبدو أنه من العاملين بالسجن ولكنه يرتدي ملابس عادية وهو يمسك بأبادون الذي أحطيت يده بالكلابشات وهو يجلسه على الكرسي الفارغ أمام الرائد علاء والذي بدوره ابتسم مرحبًا بأبادون قائلاً:

-أبادون، يا لي من مشتاق لرؤيتك مرة أخرى يا رجل، عودًا حميدًا.

بادره أبادون بابتسامته الغريبة بوجهه المشوه المغطى بتنكر الجمجمة وهو يقول:

-الشوق متبادل يا صديقي، ألا يوجد هنا أي جهاز تسجيلي لسماع بعض مقاطع الأوبرا؟ أنا أسعد بسماع الأوبرا مع أصدقائي يا صديقي.
ضحك علاء قائلاً:

-للأسف يا أبادون أنا أعلم ولعك الخاص بالأوبرا، لكن اعذرني هذه الرفاهية ليست متاحة هنا للأسف.

ابتسم أبادون ابتسامة صفراء قبل أن يقول:

-ستتاح قريبًا يا عزيزي صدقني عندما يمتليء هذا السجن بالعظماء، دعنا من ذلك، أخبرني كيف حال السجن الآن، هل استعدادتم جيدًا ليوم الخامس والعشرين من يناير؟.

نظر له علاء وهو يأخذ سيجارة ويشعلها بقداحته والتي ظل يتلاعب بها حتى بعد إشعال سيجارته وهو ينفث دخانه في وجه أبادون ويجيب:

-يا رجل اعتقدت أنك أذكى من ذلك، لن يحدث في هذا اليوم شيء، الأمر مجرد كلام مجرد من أي فعل، أنت تعلم طيبة هذا الشعب، ما يمكن فعله فقط هو الحديث ليس إلا.

تراجع أبادون على مقعده وهو يضع يديه المغلولتين على المنضدة وهو يقول:

-هذا هو ما أخبرك به من تنتمي إليهم حقًا يا صديقي.

ظهر التوتر على وجه علاء وهو يطفئ سيجاراته بعصبية ويسأل:

-مَن تقصد بمن أنتمي إليهم؟

تنهد أبادون وهو يجيب:

-ألا تعلم يا صديقي من أقصد، المنتظرين لحدث الخامس والعشرين من يناير.

قالها غامزاً بعينه ثم ضحك وهو يطرق على المنضدة وهو لا يزال يضحك بهستيرياً وينفخ بفمه كمحاولة منه للهدوء ثم أكمل:

-لا عليك يا صديقي مجرد كلمة صدرت بحديثي ليس إلا، أنت تعلم أنني قد أكون مريضاً نفسياً أو مصاباً بعقلي، والدليل أنك أتيت بي من المصححة الآن، دعنا من كل ذلك الهراء، هل لي من طلب يا صديقي.

أوماً علاء برأسه وهو يمسح عرقه قائلاً:

-تفضل.

تقدم أبادون بوجهه لمنتصف المنضدة وهو يهمس:

-أريد منكم الاعتناء ببذلتى الكحلية جيداً خلال تلك الفترة فسأحتاج إليها خلال الفترة القادمة وأنت تعلم كم هي راقية.

نظر له علاء وهو لا يستطيع استيعاب ما قاله أبادون لوهلة ثم انفجر ضاحكاً بتوتر قائلاً:

-لا تقلق، لا تقلق يا عزيزي بذلتك الثمينة وجميع متعلقاتك بأفضل ما يكون وبأمانات السجن، دعنا من هذا الحديث الممتع، ولديّ أنا عندك تساؤل.

أجابه أبادون محرّكاً يديه بالمواقفة وهو يقول:

-تفضل يا صديقي.

قام علاء من مقعده وهو يدور حول المنضدة ثم ذهب ليقف بجانب العسكري الضخم الواقف بجانب الباب، والواضح أنه وسيلة التهديد الخاصة

لأبادون، فابتسم أبادون وهو يرفع حاجبيه للعسكري كعلامة للترحيب به، فطرق علاء بيده على كتف العسكري وقد بدا أنه يحاول الوصول لكتفه لطول العسكري، نوع من ممارسة الضغط النفسي على من يتم التحقق معه وهو ما يعلمه أبادون، فتنهد علاء قائلاً:

-أنت قلتها يا أبادون منذ قليل، هناك ما سيحدث خلال الخامس والعشرين من يناير، ونحن كل ما نريده معلومات صغيرة قليلة عن ذلك اليوم، وأثق أن ما لديك سيفيدني كثيرًا، لذلك ما رأيك بأن نتعاون، أعدك بالمحافظة على البذلة الخاصة بك في مقابل أن تعطني بعض المعلومات الصغيرة عما تعرفه. قالها وهو ينفث دخان سيجارته، فنظر أبادون له قليلاً قبل أن يقول له مبتسمًا:

-إذاً هناك شرط واحد أيضًا لأخبرك ما لديّ.

تهلل وجه علاء فرحًا وهو يقول:

-تفضل.

نظر أبادون وهو يشير لعلاء قائلاً:

-أرجو أن تكون بذلتي جاهزة أيضًا خلال الأيام القادمة عند موعد خروجي من هنا.

صمت علاء قليلاً من مفاجأة ما قاله أبادون ثم نفث دخانًا آخر واقترب من أبادون وهو يربت على كتفه ويقول:

-لك ذلك يا صديقي، لكن أخبرني ما لديك.

اقترب أبادون بوجهه مبتسمًا وهامسًا:

-سأدلك على كنز من المعلومات، كل ما هنالك أن تذهب لمن يصدقون عليك بالأموال الآن لمعرفة المعلومات، ولا أقصد بذلك الدولة، لكن من الممكن أن أخبرك عن مقصد من تلك الأماكن تعلمها جيدًا، ما رأيك بأندية الليونز والروتاري لتمرح قليلاً وتعلم ما تريد من رؤسائك هناك أيضًا؟



لم يتمالك علاء نفسه وصفح أبادون على وجهه صفة قوية أعقبها سيلان
الدماء من فم أبادون الذي ضحك بهيستيريا قائلاً:

-ماذا يا سيادة المقدم، ألا تتوق لمقابلة رؤسائك الحقيقيين؟ من تنتمي
إليهم؟

فتح علاء باب الغرفة وهو ينظر لأبادون والضخم الواقف بجانب الباب ليقول:
-لا، أرى أنك من تتوق لمقابلة جابر، سأترككما بمفردكما قليلاً لتتعارفا.

قالها وكأنه كمن يكون قد أصدر أمراً لجابر الذي طقطق ذراعيه ورأسه فأغلق
علاء الباب، واقترب جابر من أبادون الذي ارتسمت على وجهه ابتسامة قائلاً:
-أهلاً يا جابر.

أغلق أنوار المنزل وذهب ليطمئن على صغيرين، طفل وطفلة، كل منهما
بغرفته يفتح باب غرفة الطفل ليجده غارقاً في بنومه محتضناً دُباً قطنياً
صغيراً، يذهب ويقبله دون أن يشعر به الطفل، يعود ويغلق الباب ليذهب
ويطمئن على طفلته الصغيرة فوجدها نائمة هي الأخرى فيسير إليها ويقبلها
على جبينها.

تفتح عينيها ببطء وهي يغلبها النعاس وتقول:

-أحبك يا أبي.

بيتسم ويطلب منها أن تعود للنوم فتعود للنوم على الفور، فينظر إليها
ويغلق الباب.

كان علاء بقمة ثورته وهو يسير متجهاً لمكتبه ويكاد عقله أن ينفجر من
التفكير.

جلس علاء على مكتبه غارقاً بعدد من التساؤلات.

-كيف لأبادون أن يعلم كل هذا؟

-ما الذي يعلمه عن العين؟ هل يعلم كل شيء أم البعض فقط؟ وحتى إن كان يعلم البعض، كيف له أن يصل لكل هذا؟ من هو أبادون ذلك؟

-حتى عندما تم القبض عليه من قبله لم يعلم أي شيء، هويته لم يتم الكشف عنها، لا وجود لبصمات أو بطاقة هوية أو حتى بصمات الأسنان، وتحليل الجينات الوراثية لم يفض إلى شيء، حتى القبض عليه تم بطريقة مبهمه، مجرد تليفون أخبر بتواجد من قام بعدة سلاسل قتل لرجال أعمال ورجال سياسة لا غير، وعند اقتحام المكان وُجد أبادون بكامل حلته وزينته مرتدياً بذلة كلاسيكية جالساً أمام باب ذلك المنزل المهجور والمترامي على بداية طريق مصر الإسكندرية الصحراوي، وعند دخولهم رحب بهم كما لو كان ينتظرهم.

مَنْ هذا الشخص؟ أكان يعلم بقدمهم للإمساك به، هل كان يخطط لذلك، هل كان يعلم بما سيحدث بمصر والمنطقة العربية؟.

تساؤلات كثيرة لم يستطع عقل علاء الإجابة عنها فأمسك رأسه وهو يتألم ثم أمسك هاتفه المحمول وهو يضغط على رقم خاص وانتظر عدة ثوانٍ قبل أن يجيب باحترام:

-ألو، آسف يا سيدي على الإزعاج لكن الأمر يختص به بأبادون، إنه معي الآن مثل ما أمرتم لكنه يأبى أن يفصح عما لديه.

صمت قليلاً وهو يستمع للطرف الآخر للهاتف قبل أن يجيب:

-لا يا سيدي لم أفقد براعتي في الاستجواب بعد، أنت تعلم لديّ أساليبي الخاصة وأعدك أنه خلال الأيام القليلة القادمة سيكون كل ما تريدون لديكم، لكن مَنْ هو ذلك الشخص، إنه يعلم الكثير والكثير.

حينها سمع علاء الرنة المميزة لإغلاق الهاتف فطرق مكتبه بقوة من الغيظ والاحتقان وأمسك مسدسه وهو يهب واقفاً ساباً أبادون ومتوعده بأقوى عمليات التعذيب لمعرفة ما لديه، وانطلق شبه راكض باتجاه غرفة التحقيق وقد فتح له العسكري الواقف على باب الغرفة الباب حين رآه قادماً، وبمجرد دخول علاء للمكتب توقف مصدوماً مما رآه.

فعلى بعد أمتار قليلة وجد جابر ملقى أرضاً مغشياً عليه كما لو كان فارق الحياة لكن أنفاسه تعلو وتهبط أمام علاء وأبادون جالس على كرسيه بدون حراك وما زالت الكلبشات بيديه وهو يتسم ويقول بهدوء:
-كان تعارفاً وحواراً مميّزاً بشخصية مثل جابر انضمت لقائمة أصدقائي، أشكرك يا علاء.

يقود سيارته وبجواره زوجته تحمل ابنتها الصغير وابنته في الخلف تقول له زوجته:
-كل سنة وانت طيب يا حبيبي لكن ما يحزنني أنك لن تقضي العيد معنا وبدلاً من ذلك نذهب لنقضيه مع أمي.
يجيب:

- أنا آسف يا عزيزتي أريد منك فقط أن تستمتعي بوقتك، وانت تعلمين أن عملي يفرض عليّ في بعض الأوقات التضحية براحتي الخاصة، لكن أعدك أن أنهي تلك المهمة وسأصطحبك أنت والأولاد في إجازة طويلة بالإسكندرية.
-أنا أعلم حبك الشديد للإسكندرية، لكن هل من الممكن أن تكون تلك المرة بشرم الشيخ؟
تساءل ضاحكاً: لماذا؟

تجيب وهي تضع يدها على يده الممسكة بمحرك السيارة:
-لأنني أريد مكاناً هادئاً بعيداً عن صخب المدن نستمتع به أنا وأنت فقط.
ينظر إليها قائلاً:

-أحبك.

تجيب:

-أحبك.

الفصل الرابع

اليوم الرابع والعشرون من يناير لعام ٢٠١١

جلس العقيد عزت بمكتب اللواء صلاح الذي لم يكن متواجداً حينها فظل يتابع ببصره الحديث لدى أغلب الوكالات العربية والأجنبية عما سيحدث بمصر غداً والجميع يتحدث بإيقان عن قيام ثورة بكافة ربوع مصر إلى أن دخل اللواء صلاح فاعتدل العقيد عزت بجلسته وقد جلس أمامه اللواء صلاح وهو يبدو عليه التوتر قائلاً:

-أخبرني يا عزت ما لديك.

أمسك عزت ملفين بيده وهو يقول:

-كما طلبت سيادتكم تابعت تحركات الدخول والخروج من منافذ القاهرة الملاحية سواء الجوية أو البحرية أو حتى البرية وجميعها كانت تظهر دخول شخص أو اثنين أسبوعين لمصر خلال تلك الفترة، جميعهم ينتمون إما لشركات متعددة الجنسيات أو منظمات وجمعيات أهلية أو المنظمات الحقوقية، ولكن الغريب أنه لم يجتمع أو يتصادف دخول أي من الأسماء الموجودة لديك بذات اليوم، لابد أن يتناوبوا الأدوار، واحد مقيم والآخر غير متواجد، إلى أن يسافر المقيم ويحضر الشخص الجديد وبأسلوب منظم واضح جداً.

أمسك اللواء صلاح الملف يتطلع إلى ما فيه وهو يتهمك بسخرية:

-ما شاء الله من الواضح أن رجال المخابرات لم يكن لديهم الوقت الكافي للقيام بتلك التحريات كان الله بعونهم وانشغالهم بملف انتخابات مجلس الشعب الأخيرة وإجراءات مرور التوريث.

لم يعلق عزت وهو يُكمل:

-أما الملف الآخر فيه أخطر الجمعيات والتي تشكل علاقات للتأثير على الدول وسياساتها واقتصاداتها كما أنهم يتخذون من الشركات المتعددة الجنسيات والجمعيات الأهلية والمنظمات الحقوقية سائراً للقيام بأعمالهم

وينتمي إليهم كبار السياسيين بكل دول العالم تقريباً وكبار رجال الاقتصاد. أمسك اللواء صلاح الملف الآخر وهو يفتحه ويُشعل سيجارة ليقراً ما جاء به: والذي كان يوضح ماهية تلك الجمعيات وتصنيفها:

١- جمعية «الجمجمة والعظام»، التي تشكلت عام ١٨٣٢ في جامعة «بيبل» الأمريكية بمبادرة من أشهر أساتذتها، على رأس هذه اللائحة، وكان من أبرز أعضائها الرئيس الأمريكي السابع والعشرون وليام هوارد تافت الذي تولى الرئاسة من عام ١٩٠٨ إلى عام ١٩١٢.

المعروف أن العضوية في الجمعية كانت متاحة للمنحدرين من أسر نبلاء أمريكيين من الأصل الأنجلوسكسوني البروتستانتية فقط. ووفقاً لتقاليد الجمعية، ظل أعضاؤها على التواصل فيما بينهم طول حياتهم بعد التخرج من الجامعة. وشغل أعضاؤها مناصب مهمة في شتى المجالات.

ومن أشهر أعضائها الحاليين وزير الخارجية الأمريكي جون كيري، والرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب ونجله جورج دبليو بوش.

ويتهم مؤيدو نظرية «المؤامرة» هذه الجمعية، بأنها مسؤولة عن صناعة القنبلة النووية وإلقائها على اليابان، واغتيال الرئيس الأمريكي الأسبق جون كيندي، إضافة إلى العديد من الحوادث العالمية الأخرى.

٢- أما جماعة «المتنورين» فهي في المركز الثاني في قائمة أخطر الجمعيات السرية التي تدير العالم، التي تأسست في ألمانيا عام ١٧٧٦ على يد آدم إيزهاوبت، بهدف خلق مجتمعات علمانية في أوروبا، ومقاومة التمدد الديني آنذاك.

وتضم الجمعية في عضويتها حالياً العشرات من السياسيين العالميين ونجوم الفن والمجتمع ومن أبرزهم الرئيس الأمريكي الحالي باراك أوباما، ونجوم الفن جاي زي، ومادونا، وبيونسيه.

ويقول أصحاب نظرية «المؤامرة» إن «المتنورين» تسللوا إلى صناعات الإعلام والترفيه والموسيقى لاستخدامها في غسل أدمغة الجماهير، وهي المتهم الرئيسي وراء عشرات الحروب والثورات الدامية التي شهدتها العالم.

٣- جمعية «الماسونيين» أو «البنائين الأحرار»، والتي تشكلت في بريطانيا عام ١٧١٧. هي الجمعية الأم التي تفرعت منها كل الجمعيات السرية السابقة واللاحقة التي تتحكم في العالم.

ومن أشهر أعضائها السابقين الرئيسان الأمريكيان السابقان جورج واشنطن وبنجامين فرانكلين، ورئيس الوزراء البريطاني الأسبق ونستون تشرشل، والموسيقار العالمي الشهير موزارت، والممثل الأمريكي هاري هوديني الذي اشتهر بلقب أستاذ فن الوهم.

٤- جمعية «البوستان البوهيمي» وهي في المرتبة الرابعة في القائمة. وقد تشكلت في عام ١٨٧٢ على يد مؤسسها هنري إدواردز في منطقة مونتي ريو بولاية كاليفورنيا الأمريكية.

ومن أشهر أعضائها رؤساء أمريكا السابقين ريتشارد نيكسون، ورونالد ريغان، وبييل كلينتون، وزوجته هيلاري كلينتون المرشح الرئاسي الأوفر حظا في الانتخابات الرئاسية الأمريكية الحالية.

٥- جمعية «بيلدر بيرج» التي تشكلت في هولندا عام ١٩٥٤، بواسطة العائلة المالكة هناك فهي الأقوى على حد قول الصحيفة البريطانية، وتعتبر حكومة العالم السرية لأنها تضم أكثر من ١٥٠ شخصا من كبار القادة والسياسيين ورجال المال والاقتصاد في أوروبا وأمريكا.

وكان الهدف من تشكيلها الجمع بين القادة الأمريكيين والأوروبيين لتعزيز العلاقات والتعاون في القضايا السياسية والاقتصادية والدفاعية.

ومن أشهر أعضاء الجمعية أو النادي، المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، وهنري كيسنجر، وتوني بليير، وديفيد كامرون، ورئيسة الوزراء البريطانية الراحلة مارجريت تاتشر.

ويعتقد أن جمعية «بليدر بيرج» هي التي تخطط وتضع سياسات النظام العالمي الجديد، وتحاول فرض حكومة عالمية واحدة.

بجانب كل هذا توجد شركة أكاديمي للحراسة والتي تتعامل معهم منذ زمن بعيد منذ أن كانت تدعى البلاك ووتر ومن قبل ذلك فرسان مالطا.

انتهى اللواء صلاح من قراءة الملف فأكمل عزت الحديث قائلاً:

-وهذا ملف آخر بتاريخ فرسان مالطا ومن بعدهم البلاك ووتر سيادة اللواء والغريب أن تلك الجمعيات لم تجتمع جميعها مطلقاً من أجل مصالحها على الرغم من أن أهدافهم واحدة تقريباً، إلا أن كلاً منهم يعمل بمفرده ولكن الفترة الأخيرة وجدنا بعد بحث وتحقيقات من قبلنا أن تلك الجمعيات قد بعثت مندوبين بالمنطقة العربية خلال الفترة الأخيرة وبالأخص سوريا تحت أيضاً غطاء الشركات المتعددة الجنسيات ولكن تلك المرة لم تكن الزيارات دورية بين الأطراف بل جميعهم ألتقوا هناك.

أطفاً اللواء صلاح سيجارته بتوتر وهو يقول:

-فعلاً يا عزت لقد كنت الآن بمقابلة مع سيادة اللواء «عمر سليمان» جميع ما قلته صحيح بل وقد اكتشفنا وجود أذرع لتلك الجمعيات بمصر ولديهم رجالهم هنا أيضاً ولكن للأسف تم اكتشاف ذلك مؤخراً بعد كل ما حدث.

حاول عزت تخفيف التوتر قائلاً:

-سيدي لم يحدث شيء حتى الآن.

قام صلاح من على مكتبه وهو يسير بالمكتب ويقول كما لو كان يفكر بصوت عالٍ:

-انتهى الأمر يا عزت، لقد تم رص رجالهم سواء داخل البلاد أو خارجها كقطعة شطرنج وأصبحت الدول العربية كلاعب ينتظر كلمة كش ملك، الأمر أصبح محاصراً والدول العربية أصبحت كقطع الدومينو سقطت تونس وسيسقط خلفها العديد من الدول، تونس ليست نهاية المطاف يا عزت.

أشعل صلاح سيجارة أخرى وهو يكمل:

-اللواء عمر سليمان يرى أن الوضع متأزم، وهو يحاول التأثير على الرئيس مبارك إما بتغيير الوزارة أو على الأقل الإطاحة ببعض الوزراء ليرضى الشعب قليلاً كوزيرى الداخلية والمالية لكن الرئيس يرفض ذلك قطعاً وهو الأمر الذي يزيد الأمر اشتعالاً فالرئيس مبارك يرفض تماماً التصديق أن الأمر سيتجاوز

بعض المناوشات والوقفات الاحتجاجية ومن حوله يرددون ذلك لكنه لا يعي
الخطر الحقيقي.

تساءل عزت قائلاً:

-لكن ألم يُطلع السيد اللواء «عمر سليمان» سيادة الرئيس على حقيقة ما
يحدث؟

نفث اللواء صلاح دخاناً من سيجاره قائلاً:

-أطلع بالفعل ولكن على البعض، حتى الرئيس ليس له الإطلاع على كامل ما
يصل له جهازنا، لكن حتى ما أُطلع عليه الرئيس يرفض تصديقه، ليكن الله
في عوننا غداً.

قالها وهو يصمت ويحدق بالشاشات أمامه ثم نظر لعزت وهو يشير بسيجاره
ويتساءل كما لو كان تذكر شيئاً هاماً:

-أخبرني هل هنالك تحركات مريبة من بعض رجال تلك المنظمات بمصر
سواء مصريين أو غير مصريين؟

صمت عزت قليلاً قبل أن يقول:

-في الحقيقة هناك بعض التحركات على الجانب الشرقي الحدودي لمصر،
كما أن هناك بعض التحركات الداخلية الغربية لبعض رجال تلك التنظيمات
بمصر، أهمها تحرك رائد يُدعى علاء عبد الرحمن، رائد بأمن الدولة ولكنه
أوفد خلال الفترة الأخيرة لقسم أبو زعبل من تعليمات قيادية عليا بأمن
الدولة مباشرة للتحقيق مع متهم يُدعى «أبادون».

بدا على وجه اللواء صلاح الانزعاج وهو يكرر الاسم قائلاً:

-أبادون؟

أكمل عزت حديثه:

-أبادون شخص اتهم بقتل رجل الأعمال كامل هاشم وهو رجل أعمال على
علاقة ببعض رجال منظمة بيلدر بيرج، كما قتل الموفد الدبلوماسي عمرو

عبد الرؤوف الموفد بواشنطن وقتله أثناء إجازته بمصر. وللعلم أن السيد عمرو عبد الرؤوف كانت له علاقة مباشرة ببعض رجال الجمجمة والعظام، وقتل أربعة أشخاص آخرين لديهم علاقات غير مباشرة مع المنظمات السابق ذكرها على الرغم من انتماءاتهم المختلفة سواء الحزب الوطني الحاكم أو الجماعات الإسلامية أو حتى التيار المستقل الحر، الغريب أن أبادون كان تحت الملاحظة بمصحة نفسية قبل النطق بالحكم عليه بتلك القضايا ولم يتخط مدة الخمسة وأربعين يومًا القانونية قبل أن يقوم الرائد علاء باقتحام المصحة وإعادة أبادون لسجن أبو زعبل.

كانت يد اللواء صلاح تداعب ذقنه مفكرًا وهو لا يزال يتحرك قبل أن يتساءل:
-ومن الذي ألقى القبض على أبادون؟
أجاب العقيد عزت قائلاً:

-هو ذاته الرائد علاء، على الرغم من كونه يعمل بأمن الدولة إلا أن قضية أبادون قد كانت من اختصاص أمن الدولة طبقًا لخطورة القضايا المتعلقة بأبادون وكونها أمرًا هامًا بأمن الدولة، والأمر الغريب أن القبض على أبادون قد تم باتصال غريب أخبر الرائد علاء بمكان تواجد أبادون حينها بمكان ناء بمنزل مهجور ببداية طريق مصر الإسكندرية الصحراوي وعند وصول القوات لم تبد على أبادون أية مقاومة واستسلم على الفور.

بدا الاهتمام الشديد لدى اللواء صلاح عند سماع تلك المعلومات فترك يديه خلف ظهره وهو يتحرك عاقدًا حاجبيه وهو يغمغم:

-ما تقوله الآن أمر محير، فمن هو ذلك الغريب الذي قام بذلك الاتصال وكيف لشخص يقوم بمثل جميع جرائم القتل التي سردتها حاليًا لا يبدي مقاومة عند الإمساك به، من أبادون هذا؟ هذا هو التساؤل المهم الآن.

أمسك اللواء صلاح الملفات التي أمامه وهو يستطرد:

-تلك المعلومات التي قلتها الآن يا عزت بغاية الخطورة ولا بد من أن يقوم اللواء عمر سليمان بالاطلاع عليها، ولا أعلم هل سيكون ذلك متاحًا أم لا في تلك الأيام فسيادة اللواء الآن كظل الرئيس لا يتركه، كما أن ما قلته الآن

من معلومات عن من يُدعي أبادون وما فعله وتحرك رجل من رجال تلك المنظمات بالداخلية هذا معناه أن هذا الرجل له أهمية قصوى، أريد منك مراقبة الرائد علاء هذا وأبادون، أريد منك مراقبة شديدة للثنين وإن كان الرائد علاء توصل لأي شيء، أريد منك أن تخبرني إياه على الفور.

أوماً العقيد عزت برأسه وهو يستأذن الانصراف فسمح له اللواء صلاح بالانصراف قبل أن يعقد كفيه أمامه ويسند رأسه عليهما مخمغماً:

-مَن أبادون هذا؟

عادت آمال لمنزلها ليلة يوم الرابع والعشرين من يناير، وخلال تلك الفترة لم تستطع العمل بتلك الكيفية التي يعلمها عنها الجميع، لم تكن تستطيع التركيز في كافة ما تفكر به، فقط هو أبادون، أين هو الآن، وما الذي يجعل الشرطة تخالف القانون وتوقف مدة الخمسة وأربعين يوماً تحت الملاحظة المنصوص عليها قانونياً قبل إبداء أي حكم هل لمكالمة والدها يد في ذلك؟ أم أن الأمر فقط لما تمر به البلاد.

كانت الأنباء الواردة عن ما سيحدث غداً قد جعلت معظم جهات الدولة سواء الحكومية أو غير الحكومية تعلن أن يوم الخامس والعشرين من يناير إجازة للجميع، وعلى الرغم من أن يوم الخامس والعشرين من يناير يوم عطلة رسمية للجهات الحكومية إلا أن المصحة التي كانت تعمل بها آمال لم تكن تعطي ذلك اليوم عطلة لمعظم العاملين بالمصحة، لكن آمال رفضت ذلك ورأت أنه ليس من الداعي حتى بعد تلك الأنباء التوقف عن العمل، على الرغم من إصرار مدير المستشفى الدكتور نبيل عبد الصادق صديق والدها على إعطائها تلك الإجازة بجانب إجازة أخرى مدفوعة الراتب خلال الفترة المقبلة، لكنها رفضت ذلك تماماً خاصة بعدما شعرت بيد والدها يطلب تلك الإجازة.

عادت آمال لمنزلها وعند دخولها للمنزل وجدت والدها ينتظرها بالبهو ينظر إليها نظرة مستنكرة فألقت عليه آمال التحية وأكملت طريقها للصعود

لغرفتها ولكنها وجدت والدها يوقفها قائلاً:

-آمال أريد الحديث معك.

تنهدت آمال فهي تعلم ما سيتحدث والدها معها بشأنه، ولكنها عادت لتجلس بجانبه وهي تقول:

-ما بك يا أبي؟

نظر لها والدها قائلاً:

-لماذا رفضت طلب الإجازة من الدكتور نبيل؟

زفرت آمال أنفاسها قائلة:

-أبي سبب سؤالك الآن هو سبب رفضي، لا أريد لأحد أن يكون وصياً عليّ خاصة بمجال عملي، وأنت تعلم ذلك جيداً، وسبب رفضي لتلك الإجازة هو تأكدي أنك من طلبتها من الدكتور نبيل، تأكد لو أن الإجازة فعلاً كان لا دخل لك بها كنت قبلتها.

تصاعدت حدة صوت والدها وهو يقول:

-لا أعلم بم تفكرين، لماذا تسعين وراء التعب، أستطيع أن أجعل تعيينك بأرقى المصحات النفسية داخل أو خارج مصر، بل أستطيع بناء مصحة كاملة باسمك وأنت ترفضين ذلك، أتمنى أن أستطيع فهم ما يدور ببالك.

أجابت آمال:

-لقد تحدثنا عدة مرات بذلك الشأن وأنت تعلم جيداً ما هو السبب ومنعاً للخرج لن أتحدث عنه مرة أخرى.

بدا الانزعاج والاضطراب على وجه والدها وهو يقول بتردد:

-أعلم أن السبب ما يقال عني وما يتردد حول أعمالي وعلاقاتي برجال الدولة، جميع رجال الأعمال تحوم حولها تلك الشائعات، لكن أنت ابنتي، من المفترض أن تكوني بجانبني تدافعين عن سيرتي أمام الجميع، لكن ما

تقومين به يزيد الأمر، ولكني أعود وأقول إن تلك هي حياتك العملية لك ما تريدن فيها، لكن عندما يصل الأمر لسلامتك فأنا قد أستخدم القوة لمنعك من تصرفاتك تلك.

وقفت آمال وقد زاد انفعالها مع زيادة حدة صوتها وهي تقول:

-ما معنى ذلك؟ أتعني أنني سأكون تحت الإقامة الجبرية منك، ومَن سيمنعني؟ هل هؤلاء الثيران الذين قمت باستئجارهم لحمايتك سيمنعونني من الخروج؟ ثم ممن تخاف؟ هل تخاف من ثورة الشعب حقاً أم من أبادون؟ صدم والدها وقد جاءت كلمات ابنته كما لو كانت سهمًا أصاب الحقيقة، إلى أن استجمع ذاته مرة أخرى فقال بقوة:

-أنا لا أعلم عمن تتحدثين، لكن ما أقوله سينفذ من الآن فصاعدًا، حتى مرور تلك الفترة لن يكون هناك خروج من هذا المنزل إلا بمرافقتي وهؤلاء الثيران هنا لحمايتك وسيمنعون خروجك بالقوة إن لزم الأمر.

قالها متجهًا إلى غرفته تاركًا إياها خلفه تكاد تشتعل غيظًا دون أية إجابة على أسألتها.

هل يقوم والدها بذلك خوفًا من ثورة شعب، أم خوفًا من أبادون؟

الثالث والعشرين من يناير ٢٠١١ (الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل)

مكتب اللواء صلاح الششتاوي

جلس اللواء صلاح الششتاوي بمكتبه المظلم إلا من إضاءة خافتة تأتي من المصباح الموجود على المكتب أمامه وظلال دخان سيجارته يتراقص على ضوء المصباح معطيًا أشكال ظلال متداخلة، أما اللواء صلاح فقد بدأ يفتح ملف فرسان مالطا أو البلاك ووتر للبحث بتفصيل أكثر عن تاريخهم الكامل، وقد بدأ القراءة من البداية:

-فرسان مالطا تاريخهم القديم:

تاريخ جماعة فرسان مالطا

بداية الأمر كانت في التزايد الكبير في أعداد الحجاج المسيحيين إلى مدينة القدس في بداية القرن الحادي عشر لاتجاه بعض التجار الإيطاليين للحصول على حق إدارة الكنيسة اللاتينية من حكام المدينة المسلمين وكان يلحق بهذه الكنيسة مستشفى للمرضى والحجاج يسمى مستشفى القديس يوحنا الأورشليمي، كذلك استطاع تجار مدينة أمالفي ١٠٧٠ م تأسيس جمعية خيرية في بيمارستان قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس للعناية بفقراء الحجاج، ومن اسم المستشفى أطلق عليهم اسم فرسان المستشفى أو التي حرفت إلى الهوسبتاليين في اللغة العربية، ولم يلبث أولئك الهوسبتاليون أن دخلوا تحت لواء النظام الديرى البندكتي المعروف في غرب أوروبا، وصاروا يتبعون بابا روما مباشرة بعد أن اعترف البابا باسكال الثاني بتنظيمهم رسمياً في ١٥ فبراير ١١١٣ م، وهكذا أصبح نظامهم يلقي مساندة من جهتين: تجار أمالفي، وحكام البروفانس في فرنسا.

وعندما قامت الحرب الصليبية الأولى ١٠٩٧م وتم الاستيلاء على القدس أنشأ رئيس المستشفى جيرارد دي مارتيز تنظيمًا منفصلاً سماه رهبان مستشفى قديس القدس يوحنا، وهؤلاء بحكم درايتهم بأحوال البلاد قدموا مساعدات قيمة للصليبيين وخاصة بعد أن تحولوا إلى نظام فرسان عسكريين بفضل ريموند دو بوي خليفة مارتيز الذي أعاد تشكيل التنظيم على أساس عسكري مسلح باركه البابا أنوست الثاني ١١٣٠، حتى قيل إن الفضل في بقاء مدينة القدس في يد الصليبيين واستمرار الحيوية في الجيوش الصليبية يعود بالأساس إلى فرسان الهوسبتاليين بجانب فرسان المعبد.

وقد كان تشكيل تنظيم الهوسبتاليين ينقسم إلى ثلاث فئات:

-عنصر فرسان العدل الذين هم من أصل نبلاء وأصبحوا فرساناً.

-القساوسة الذين يقومون بتلبية الاحتياجات الروحية للتنظيم.

-إخوان الخدمة، وهم الذين ينفذون الأوامر الصادرة إليهم.

فضلاً عن الأعضاء الشرفيين ويسمون الجوادين الذين يساهمون بتقديم الأموال والأموال للتنظيم، وبفضل عوائد هذه الأملاك وكذلك الهبات والإعانات، عُشر دخل كنائس بيت المقدس كان مخصصاً لمساعدة فرسان القديس يوحنا، أخذ نفوذ الفرسان ينمو ويتطور حتى أصبحوا أشبه بكنيسة داخل الكنيسة.

بعد هزيمة الصليبيين في موقعة حطين عام ١١٨٧ م على يد صلاح الدين الأيوبي هرب الفرسان الصليبيون إلى البلاد الأوروبية.

وبسقوط عكا ١٢٩١ م تم طرد الصليبيين نهائياً من الشام واتجهت هيئات الفرسان إلى نقل نشاطها إلى ميادين أخرى؛ فاتجه الفرسان التيوتون نحو شمال أوروبا حيث ركزوا نشاطهم الديني والسياسي قرب شواطئ البحر البلطقي، ونزح الداوية أو فرسان المعبد إلى بلدان جنوب أوروبا وخاصة فرنسا حيث قضى عليهم فيليب الرابع فيما بعد ١٣٠٧: ١٣١٤ م.

أما فرسان الهوسبتالية الذين ظل وجودهم حتى اليوم فقد اتجهوا في البداية إلى مدينة صور ثم إلى المرج في ليبيا حالياً ومنها إلى عكا ثم ليماسول في قبرص ١٢٩١ م.

ومن قبرص استمروا في مناوشة المسلمين عن طريق الرحلات البحرية ومارسوا أعمال القرصنة ضد سفن المسلمين، إلا أن المقام لم يطب لهم هناك فعمد رئيسهم وليم دي فاليت للتخطيط لاحتلال رودس وأخذها من العرب المسلمين وهو ما قام به أخوه وخليفته توك دي فاليت في حرب صليبية خاصة ١٣٠٨ - ١٣١٠ ليصبح اسم نظام الفرسان الجديد يسمى النظام السيادي لرودس أو النظام السامي لفرسان رودس.

وفي رودس أنشأ تنظيم الهوسبتاليين مراكزه الرئيسة وازدادت قوته ونفوذه خاصة بعد أن تم حل تنظيم فرسان المعبد وآلت بعض ثرواته للهوسبتاليين.

ولأن أرض رودس كانت بمثابة نقطة استراتيجية هامة، فقد عمد الأتراك المسلمون بدورهم للاستيلاء عليها خصوصاً مع تزايد قرصنة الصليبيين لسفنهم وذلك بعد حصار وضغط متواصلين وكان أهم حصارين في ١٣١٠، ١٤٨٠ مما أجبر رئيسهم فيليب دي ليل آدام على الاستسلام في ١٥٢٢

والهجرة عن الجزيرة في أول يناير ١٥٢٣ بين عدة مدن منها سيفليل إسبانيا وكاندي سيلان وروما إيطاليا إلى أن منح الملك كارلوس الخامس للهوسبتاليين السيادة على جزيرة مالطا في ٢٤ مارس ١٥٣٠.

وبجانب سيادتهم على مالطا بوثيقة كارلوس الخامس كانت لهم السيادة كذلك على عدة جزر مثل دي جوزوا وكومين بجانب مدينة طرابلس التي كانت تتبع عرش صقلية. وقد صدق البابا كليمنت السادس على ذلك في ٢٥ إبريل ١٥٣٠ ومن ثم أصبح النظام يمتلك مقرًا وأقاليم جديدة أدت إلى تغيير اسمه في ٢٦ أكتوبر ١٥٣٠ م إلى النظام السيادي لفرسان مالطا ومنذ ذلك الوقت أصبحت مالطا بمثابة وطنهم الثالث، ومنها استمدوا اسمهم فرسان مالطا واستطاع رئيسهم جان دي لافاليت أن يقوي دفاعاتهم ضد الأتراك العثمانيين مصدر خوفهم وأن يبني مدينة فاليتا - عاصمة مالطا حاليًا - التي أطلق عليها اسمه وكان مما ساعد على ترسيخ وجودهم في مالطا وقوع معركة ليبانت البحرية ١٥٧١ م، بين الروم والعثمانيين مما أبعدهم عن الأتراك ووفر لنظام الفرسان جواً من الهدوء.

وقد تميز هذا النظام منذ إقامته في مالطا بعوائده المستمرة للمسلمين وقرصنته لسفنهم حتى كون منها ثروة ولاسيما في الحصار التاريخي ١٥٦٥ الذي انتهى بمذبحة كبيرة للأتراك، كما توسع النظام كثيراً حتى إن الملك لويس الرابع عشر تنازل له في ١٦٥٢ عن مجموعة من الجزر في الأنتيل منها:- سان كيرستوف، سان بارتليمي، وسان كوزوا، وصدق على ذلك في ١٦٥٣ إلا أن صعوبة المواصلات مع هذه الجزر اضطرت النظام للتنازل عنها لشركة فرنسية ١٦٥٥ وظل النظام في مالطا تحت حماية إمبراطور الدولة الرومانية والكرسي الرسولي وفرنسا وإسبانيا وانتشر سفراؤه في بعض الدول وهو ما كان يعني اعترافاً بالسيادة الشخصية للسيد الكبير للنظام أو رئيس الفرسان.

وبقيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩ وغزوها إيطاليا فقد الفرسان الصليبيون ممتلكاتهم وامتيازاتهم في فرنسا وإيطاليا وانتهى بهم الأمر بفقد مقرهم في جزيرة مالطا نفسها وطردهم منها على يد نابليون أثناء حملته على مصر عام

١٧٩٨ م، فأقاموا بصفة مؤقتة في ترسيتا في إيطاليا تحت ضغط من بلاط فيينا، وعندما استولى الأميرال نلسون على مالطا من الفرنسيين أقرت اتفاقية الأمنيس عودة الجزيرة للفرسان ١٨٠٢، إلا أن كونجرس فاليتا عاصمة مالطا أسند إدارة الجزيرة للإمبراطورية البريطانية وبالتالي انقطع اتصال الفرسان نهائياً بمالطا - دولة مالطا الحالية ليست هي فرسان مالطا - وانقسموا بين البلاد حيث اتجه العديد منهم إلى سان بطرسبرج وبالتالي أصبح نظامهم الكاثوليكي الروماني الذي يحظى برعاية البابا يخضع لقانون الإمبراطورية الروسية الأرثوذكسية!! واتجه جزء آخر إلى كاتانيا وفيرارا وروما، وفي هذه الأثناء اختير توماكسي ١٨٠٢ ليكون آخر الرؤساء الكبار للتنظيم.

وبحلول ١٨٠٥ أصبح الفرسان بلا رئيس حاكم، ومنذ ١٨٣٤ ونظام الفرسان يمارس شئونه من روما بصفة رسمية باسم العمل الخيري وفي نطاق المستشفيات عملهم الأول وقت إنشائهم حتى أصبح نظامهم أشبه بهيئة خيرية لا تزال تسيطر عليها الروح الصليبية، وأخذت في التوسع حتى فتحت جمعية لها في الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٢٦ م.

أما في فرنسا فقد استمرت محاولات إحياء النظام، وإن كان إنشاء التنظيم لم يكن له اتصال عضوي بالتنظيم القديم والذي استقر نهائياً في الفاتيكان، كما انتقل بعض أفراد هذا النظام إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعاشوا فترات الحروب الأهلية وقد أصبح رمز نظام القديس يوحنا هو صليب أبيض معلق بحبل أسود ولذلك أصبح فرسان الهوسبتالية يعرفون بفرسان الصليب الأبيض.

منظمة مالطا ذات السيادة وهي جماعة كاثوليكية مقرها في العاصمة الإيطالية روما يعترف بها القانون الدولي ككيان ذي سيادة، وتتمتع بالتالي بحق إصدار جواز سفر خاص بها، إضافة إلى طوابع بريدية، وقطع نقدية ذات قيمة معنوية لا تستخدم كعملة. تجمع هذه المنظمة بين الحالة الرهبانية والفروسية بما يجعلها المؤسسة الدينية الوحيدة ضمن الكنيسة الكاثوليكية التي تضم فرساناً ارتبطوا منذ تأسيسها بالندور الرهبانية الثلاثة وهي: الفقر والعفة والطاعة.

تقيم المنظمة علاقات دبلوماسية مع ١٠٣ دول منها ٨ دول عربية (الأردن،

السودان، الصومال، جزر القمر، لبنان، مصر، المغرب وموريتانيا) وما يزيد عن ٢٨ دولة إسلامية. علمًا بأن منظمة مالطا لا تقيم علاقات دبلوماسية مع دولة إسرائيل.

للمنظمة بعثات دائمة لدى كل من:

منظمة الأمم المتحدة في نيويورك، جنيف وفيينا.

الأونيسكو في باريس.

الفاو في روما.

برنامج الغذاء العالمي برنامج الأغذية العالمي في روما.

منظمة الصحة العالمية في جنيف.

مفوضية الأمم المتحدة السامية للاجئين في جنيف.

مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان في جنيف.

اليونيدو UNIDO في فيينا.

الوكالة الدولية للطاقة النووية، الوكالة الدولية للطاقة الذرية في فيينا.

كما تنتدب منظمة مالطا موفدين وممثلين عنها لدى المنظمات الدولية الآتية:

المجموعة الأوروبية في بروكسل.

المجلس الأوروبي في ستراسبورج.

المنظمة الدولية للهجرة IOM في جنيف.

المعهد الدولي لتوحيد القانون الخاص UNIDROIT في روما.

الهيئة الدولية للطب العسكري ICMM في بروكسل.

الهيئة الدولية للصليب الأحمر ICRC في جنيف.

الاتحاد الدولي لجمعية الصليب الأحمر وجمعية الهلال الأحمر في جنيف

المعهد الدولي للقانون الإنساني في سان ريمو وفي جنيف.

بنك التنمية IDB في واشنطن.

المجموعة اللاتينية في سانتو دومينجو وباريس.

يحكم المنظمة ميثاق دستوري بالإضافة إلى ما يعرف برمز الجماعة. وهي تنقسم إلى ستة أديرة رئيسية وستة فرعية و٤٧ جمعية وطنية. يرأسها الرئيس الأعلى وهو ينتخب لمدة الحياة ولديه صفة أمير ورئيس ديني. وقد انتخب الرئيس الحالي الأمير الأخ ماثيو فاستينج في ١١ آذار ٢٠٠٨ من قبل المجلس العام، بعد وفاة سلفه أندرو بيرتي في ٧ شباط ٢٠٠٨. تتكوّن الهيئة الناخبة في المنظمة من أعضاء المجلس السيادي، الذي يعاون الرئيس الأعلى والذي هو بمثابة حكومة المنظمة، ومن بعض أصحاب المناصب وممثلين عن الأعضاء في هذه الجماعة. بعيد العام ١٩٩٠، سمح بدخول أعضاء جدد من غير النبلاء. والجدير بالذكر في هذا السياق، أن العضوية في منظمة مالطا تتم بناءً على مقارنة شخصية، تفترض في المقابل أن يتقدم المرشح بطلب انتساب إليها ويتعهد بالالتزام بمبادئ المنظمة وأهدافها. تضم منظمة مالطا ثلاث فئات من الفرسان: الفئة الأولى تضم فرسان العدل (أو الفرسان الناذرون) والقساوسة التقليديين الذين أبرزوا نذور العفة والطاعة والفقر والذين على رغم تدينهم ليسوا مضطرين على العيش في حياة جماعية، ومن هذه الفئة ينتخب الرئيس الأعلى. - تلتزم الفئة الثانية من الفرسان قسم الجماعة المبني على الطاعة وتعيش وفق المبادئ المسيحية ومبادئ المنظمة. - تتكون الفئة الثالثة من فرسان علمانيين ولا يبرزون قسم الطاعة، ولكنهم في المقابل أوفياء لتعاليم الكنيسة والمبادئ العامة لمنظمة مالطا.

أما عن النشاط بالنشاط الظاهري هي رعاية جرحى الحروب وتقديم المعونات الخيرية عن طريق دور الاستشفاء ومراكز طبية ومستوصفات وطواقم إسعاف والمؤسسات الخيرية التابعة لها. ترفع منظمة مالطا شعار «خدمة أسيادنا الفقراء والمعوزين» في نشاطاتها الإنسانية ولا تولي العرق والدين والانتماء السياسي أية أهمية. ومن أهم أوجه أعمالها الخيرية، عمليات الإسعاف الفوري والطارئ عند وقوع كوارث طبيعية، وفي الميادين التي

تشهد نزاعات مسلحة، فتبادر المنظمة في هذه الحالات على إرسال الفرسان والمتطوعين لتوزيع الأدوية والمياه والمواد الغذائية الضرورية وللمساهمة في كل أعمال «الإغاثة». عند وقوع كارثة التسونامي في إندونيسيا، وعند حصول هزات أرضية في شمال باكستان والهند وأندونيسيا مطلع هذا القرن، ولمواجهة شح المياه والجفاف في أفريقيا الغربية، ولمساعدة المنكوبين عند اندلاع الحروب في أفغانستان والسودان ولبنان والعراق.

أما فيما يخص النشاط الخفي فهو الجناح العسكري لها والمعروف باسم شركة البلاك ووتر.

شركة أكاديمي للحراسة أو بما يسمى البلاك ووتر:

أكاديمي هي شركة أمن أمريكية عسكرية خاصة يقع مقرها الرئيسي في ولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة، تأسست عام ١٩٩٧ من قبل ضابط البحرية الأمريكي السابق إريك دين برنس وفق القوانين الأمريكية التي تسمح بمصانع وشركات عسكرية خاصة عرفت سابقاً باسم بلاك ووتر ثم أعيدت تسميتها إكس اي للخدمات عام ٢٠٠٩، وتعرف حالياً باسم أكاديمي منذ عام ٢٠١١ بعد أن حصلت الشركة على مجموعة من المستثمرين الخاصين.

تعتبر الشركة واحدة من أبرز الشركات العسكرية الخاصة في الولايات المتحدة حيث تمتلك أكبر موقع خاص للرمية في الولايات المتحدة والممتد على مساحة ٢٤ كيلو متراً مربعاً في ولاية كارولينا الشمالية.

تعمل الشركة في جميع أنحاء العالم، وتقدم خدماتها الأمنية من تدريب وعمليات خاصة إلى الحكومة الاتحادية للولايات المتحدة والأفراد على أساس تعاقدية. حيث قدمت أكاديمي خدماتها إلى وكالة الاستخبارات المركزية منذ عام ٢٠٠٣، بما في ذلك عقد بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار عام ٢٠١٠. كما تلقت الشركة عام ٢٠١٣ عقداً بقيمة ٩٢ مليون دولار تقريباً لحراس أمن وزارة الخارجية الأمريكية. ويبلغ معدل الدخل اليومي للعاملين في هذه الشركة بين ٣٠٠ و ٦٠٠ دولار.

تعرضت الشركة لانتقادات واسعة بعد نشر كتاب «بلاك ووتر - أخطر منظمة سرية في العالم» للمراسل والصحفي والكاتب السياسي الأمريكي جيريمي

سكاهيل الذي ذكر عدة معلومات موثقة ضد الشركة أبرزها دعمها للجيش الأمريكي بالعراق مقابل خضوع جنودها للحصانة من الملاحقات القضائية. كما حصلت أكاديمي على شهرة واسعة النطاق في عام ٢٠٠٧، عندما أدين مجموعة من موظفيها بقتل ١٤ مدنيًا عراقيًا في ساحة منصور، ببغداد، أدين منهم أربعة حراس في محكمة أمريكية.

أعلن المؤسس والرئيس التنفيذي للشركة إيريك برينس ورئيسها جاري جاكسون، استقالتهما في ١ مارس، ورغم ذلك بقي برينس عضوًا في مجلس اكس اي حتى محاولة تفكيك المجموعة في أغسطس ٢٠١٠. لكن اقتناء الشركة من قبل منافستها شركة تريبل كانوبي حال دون تفكيكها، لتصبح شركة أكاديمي في عام ٢٠١٤ تحت لواء مجموعة كونستليس القابضة إلى جانب شركة تريبل كانوبي وشركات أمن أخرى كانت نتيجة لعملية إستحواذ مجموعة كونستليس.

قام حراس شركة بلاك ووتر الأميون بإطلاق نار عشوائي في ساحة النصور ببغداد في سبتمبر عام ٢٠٠٧ مما أدى إلى مقتل ١٧ عراقيًا وجرح آخرون وتقول الشركة إن إطلاق النار كان ردًا على هجوم تعرض له موكبها في حين تنفي مصادر أخرى هذا الإدعاء وتقول إن الحراس أطلقوا النار بشكل عشوائي وبدون سبب. وعلى إثر هذا الحادث طالبت الحكومة العراقية شركة بلاك ووتر بوقف فوري لأعمالها في العراق والخروج منه باستثناء المتورطين في الحادث الذين يراد محاسبتهم. ثم تم تغيير الطلب إلى تعويض قيمته ٨ ملايين دولار أمريكي على كل قتيل. إثر هذا الخلاف فتحت الحكومة الأمريكية تحقيقًا في الحادث وأرسلت لجنة خاصة للعراق للتحقيق. وفي تاريخ ١١ أكتوبر ٢٠٠٧ رفعت قضية رسمية في محكمة أمريكية ضد شركة بلاك ووتر بخصوص حادثة ساحة النصور ببغداد نيابة عن الضحايا العراقيين.

أما خدمات «بلاك ووتر»، فهي لا تنحصر بالحماية المسلحة، بل توفر بشكل أساسي التدريب التكتيكي على الأسلحة والمهارات الخاصة للجيش والحكومات وأجهزة الأمن العامة والخاصة على السواء، حيث يتدرّب بحسب أرقامها الرسمية أكثر من ٤٠ ألف شخص سنويًا.

وبموازاة التدريب، تقدّم الشركة خدمات أمنية تنفيذية واستشارية، منها ما يتعلق بوضع الخطط الأمنية وتقويمها وتنفيذها، ومنها ما يتعلق بوضع خطط مواجهة الأزمات والكوارث الطبيعية وتنفيذها وتقويمها، ومن ضمنها تأمين مراكز إدارة الأزمة وإنشاء مناطق آمنة من النزاع وتنفيذ مهمات إنسانية.

ولا تقتصر مهمات «بلاك ووتر» على البر، فهي توفر خدمات بحرية للحكومات والشركات الخاصة على السواء، تتمثل بوضع برامج مضادة للقراصنة والإرهاب وتدريب طواقم السفن عليها وتنفيذها.

وجوياً، تدير «بلاك ووتر» شركتين للطيران (الخدمات الجوية العالمية والخطوط الجوية الرئاسية) تختصان بتقديم خدمات الصيانة والدعم اللوجيستي ونقل البضاعة. وتمتلك الشركة أسطولاً عريضاً من المروحيات العسكرية من طراز «جن شيب»، كالتي يراها العراقيون يومياً في بغداد.

ومن متفرّعات «بلاك ووتر»، «مجموعة رايفين للتطوير»، المتخصصة في بناء المنشآت العسكرية والتدريبية والمطارات. وهناك أيضاً شركة «جرايستون» المحدودة المختصة في تجنيد المرتزقة من دول العالم الثالث للعمل في الخارج.

أغلق اللواء صلاح الملف متنهداً وهو يفكر أن الأمر بالفعل قد أصبح ساحة حرب علنية حتى وإن لم ير البعض ذلك، ولذلك إن كان للعين رجالها وجناحها العسكري لابد أن يكون لهم رجالهم وجناحهم العسكري، لكن من سيقع عليه هذا الاختيار لابد أن يكون بعيداً كل البعد عن السلطة بمصر.

مَنْ إذاً يكون هذا الشخص؟

مَنْ؟

مساء الرابع والعشرين من يناير بسجن أبو زعبل

يجلس علاء على مكتبه وهو يكاد ينفجر من التفكير، فقد أصبح مهدداً ممن يتواصل معهم بكف أيديهم عنه، وذلك يعني سقوطه القريب، فالأمثلة التي حدثت للعديد والعديد ممن عملوا معهم ونالوا غضبهم ما زالت بذهنه ورفع

أيديهم عنه يعني سقوطه، هم يحكمون مصر تقريباً بل يحكمون العالم أجمع، ومَن هو ليواجه غضبهم وكل ذلك بسبب هذا الأبادون الذي يرفض الكشف عما يخفيه، والغريب أن وسائل التعذيب التي تجعل أي إنسان على وجه الأرض يعترف بما قام به وحتى ما لم يقم به لم تؤت ثمارها، بل أصلاً لم يستطع أحد الاقتراب منه منذ ما فعله بجابر، وحتى عندما أطلق عليه عدة رجال وهو بمفرده مكبلاً لم يستطع أحد المساس به، وهؤلاء يريدون منه أن يتكلم ويبوح بما يعلم، لكنه لم يستطع حتى الآن، بسبب ذلك المجنون الذي يرفض الحديث سيخسر كل شيء.

لا مجال أمامه سوى أن يتحدث مرة معه محاولاً عقد صفقة، تلك الصفقة التي وافق عليها من يريدون المعلومات، وطالما وافقوا على الصفقة فهذا معناه الضوء الأخضر له للتفاوض معه بأعلى سقف.

جلس علاء فاتحاً جهاز الحاسب الخاص به على بعض سيمفونيات الأوبرا ولم تكد تمر دقائق معدودة حتى طرق الباب فسمح علاء للقادم بالدخول فدخل جابر ممسكاً بأبادون المكبل المبتسم كعادته تلك الإبتسامة التي تثير حنق علاء، ابتسامة الثقة والاستهزاء معاً، لكن علاء تجاهلها، التعليمات لديه واضحة الحديث بشكل ودي وعقد الصفقة دون إثارة أية مشاكل.

طلب علاء من أبادون الجلوس فجلس على الكرسي أمامه وأمر علاء جابر بالانصراف فانصرف جابر ونظرات الحقد على أبادون لا تفارقه وهو لا يعلم لماذا يعامله رئيسه بمثل هذا الشكل، مثل أبادون كان يُقتل برصاصة لا تساوي العشرة جنيهاً ولا يعلم عنه أحد شيئاً، خاصة وأنه لا أوراق لديه ولا أية مستندات وهو ما سيسهل الأمر كثيراً، لكن لرئيسه رأياً آخر وهو لا يستطيع مساءلة رئيسه.

ابتسم أبادون وهو يستمع للموسيقى قائلاً:

-رائع لم أكن أظن أن السجون تتغير سريعاً هكذا، فعلاً مصر تتطور لكن في السجون فقط يا عزيزي.

قالها أبادون غامزاً لعلاء الذي لازم الصمت دون أن يُعقب على ما قاله أبادون

قبل أن يقف من على كرسيه ساحبًا علبة سجائره وهو يجلس على الكرسي المقابل لأبادون ثم يسحب سيجارة ليعطيها لأبادون الذي رفض فأمسك علاء بالسيجارة وهو يشعلها ويقول:

-أتعلم يا أبادون على الرغم من أن عملي يجعلني أقابل الغريب والغريب دائمًا، حتى أنني فقدت حاسة الإعجاب والاندھاش من أي شيء، لكنني أرفع لك القبعة، أنت من أعقد المهمات التي وكلت إليّ ولذلك وتحية مني لك أنت هنا لعقد صفقة معك.

حرك أبادون رأسه بشكل دائري مستمتعًا بموسيقى الأوبرا وهو يقول:

-رائعة تلك المقطوعة يا علاء حقًا أنت موفق باختياراتك، «فيديليو» يا لها من أنشودة للحرية والحب والإنسانية: «فيديليو» الأوبرا الوحيدة التي كتبها بيتهوفن، أنت حر يا علاء؟

تجاوز علاء عن مناداة أبادون له بدون ألقاب كما تجاوز عن سؤاله قبل أن يقول:

-الصفقة التي أشير إليك بها هي صفقة ستغير حياتك تمامًا يا أبادون.

بهدوء وعلى وجهه ذات الابتسامة الواثقة تساءل أبادون:

-ومن الذي أمرك بعقد تلك الصفقة؟ رؤساؤك بجهاز أمن الدولة، أم العين؟ سحب علاء دخانًا آخر من سيجارته وبهدوء شديد قال لأبادون وهو يضع رجلًا على أخرى:

-هل هذا يحدث فارقًا معك؟

قال أبادون:

-حتى أعلم مع من أعقد الصفقة على الأقل.

رد علاء بهدوء وهو يداعب قداحته ويتغاضى عن النظر بعيني أبادون:

-هم، ليسوا رؤسائي المباشرين، لكنهم العين رؤساء الرؤساء أنفسهم، أنت تعلمهم وهم كذلك يعلمونك لا أعلم كيف؟ هل عملت معهم من قبل، هل

كانت لديك علاقات معهم، لكن الأمر جاء مباشرةً لي، دون أي أحاديث أخرى
نكشف الأوراق جميعها ونتعامل بأسلوب صريح دون أية مبهمات.

طرق أبادون بأصابعه على المكتب وهو يسأل:

-هل لي أن أعلم بتلك الصفقة؟

هنا حاول علاء جمع انفعالاته ولكن محاولته باءت بالفشل فاتضح عليه
الانفعال الشديد والحماس وهو يقول:

-أنت شخص غير معروف، ليست لديك أوراق أو هوية وهو ما سيسهل
عملية هروبك يمكن لنا أن نخرجك من هنا، نعمل هوية جديدة، نجعلك
شخصاً آخر تماماً، تستطيع أن تبدأ حياتك من جديد بدون أية أحكام أو
سوابق، نستطيع تأمين خروجك من مصر وكل ذلك مقابل مبلغ مالي جيد
تستطيع البداية به في أي مكان جديد.

لم تبدِ على أبادون أية علاماتٍ على وجهه عند سماع هذا الحديث، فاقترب
ممسكاً بقداحة علاء وممسكاً بسيجارة من علبته وهو يشعلها ويأخذ منها
نفساً على الرغم من يده المكبلة وقال وهو يضع رجلا على الأخرى أيضاً
قائلاً:

-والمقابل؟

على الرغم من التعليمات أن يكون هو من يمسك بدفة تلك المقابلة لكن
بداً من الواضح أن أبادون هو من يتحكم بوضعية تلك المقابلة، فضعف علاء
خوفاً على حياته وعمله ومستقبله جعله كالطفل أمام أبادون. وقد تضاعف
حماس علاء فأجاب:

-المقابل بسيط، نريد منك معرفة ما تعلمه، بعض المعلومات الصغيرة عن
أي طرف حتى عنهم هم ذاتهم، أية معلومة يريدونها منك، وإن كنت تريد أن
تنضم إليهم سواء داخل مصر أو خارجها بهويتك الجديدة فهذا عرض آخر لك،
هم يقدرونك حق قدرك والمقابل بسيط بعض الكلمات تتفوه بها في هذا
الحديث الودي، حياة جديدة تماماً، مبلغ مالي ضخم، هوية جديدة، وظيفة
مرموقة معهم إن أردت وكل ذلك مقابل بضع كلمات فقط، رأيت الأمر سهل.

قالها علاء بحماس شديد ناظرًا لأبادون كانت نظرتة مستعطفة كمن كان يستجديه لإنقاذه فسحب أبادون دخانًا من سيجارته ثم قال:

- بما هددوك يا علاء؟ وظيفتك؟ عائلتك؟ كشفك أمام الجميع؟ أم حياتك؟
نظر له علاء مبهورًا، فأكمل أبادون:

-علاء، الشعب المصري بل والعربي يظن معظمه أنه يعيش أشد أيام الحياة سوادًا، لكنه لا يعي القادم، إن كانت تلك الأيام سوداء طبقًا لما يرونه فالحقيقة أنه يشبه ضوء غروب الشمس مما هو قادم، القادم ليل حالك الظلمة قد يطل على مصر بصورة شبه دائمة، هم يريدون ما أعلمه للتأكد من حلول الظلام الدائم على المنطقة العربية جمعاء، تلك الخطة منذ قديم الأمد وتقسيم المنطقة تم التخطيط له منذ زمن بعيد، أذكر عند سقوط بغداد وسقوط العراق قراءتي لعنوان بجريدة التايمز وهي تضع صورة لجمال مبارك وتخط عنوانًا «انسوا العراق.. التغيير يبدأ من هنا»، ما قيل إن مصر تعد الكعكة الكبرى، ومع وصول الحزب الديمقراطي لسدة الحكم، وأنا أعلم أن ذلك اليوم اقترب، الحزب الديمقراطي هو خير واجهة لأعمالهم، يقسم الكعكة بطريقة سلسلة، يخلق دائمًا المشكلات ويظل هو بعيدًا، وما حدث بتونس وعلى الرغم من كونها ثورة حرة إلا أنها وُضعت كقطع الدومينو بحركة صغيرة من يدك ستستقط الدول العربية واحدة تلو الأخرى.

كان علاء منصتًا بشدة له فأكمل أبادون وهو يطفئ سيجارته:

-ما أعلمه هو الفجر، هو الأمل لصباح بعد الظلام الذي سيأتي، وللأسف لن أستطيع أن أبيع لك مستقبل المنطقة العربية، صفقتك مرفوضة يا عزيزي.

بدا علاء مبهورًا وهو يقول:

-مَنْ أنت بحق السماء؟

ابتسم أبادون وهو يقول:

-أنا أبادون، أنا ملاك الجحيم.

أفاق علاء من صدمته وهو يقول بصوت حاد:

-أنت أحمق؟ أتظن أن ما لديك سيوقفهم؟ سيوقف خطتهم؟ أنت قلتها
الخطة وضعت منذ قديم الأزل ولن يستطيع أحد إيقافها أو الوقوف أمامها،
أقبل بالصفقة وانضم إليهم، خذ حريتك، وخذ مكانتك التي تستحقها؟
هز أبادون كتفيه وهو يقول:

-الصفقة مرفوضة بلا رجعة يا عزيزي، وعمّا إذا كنت أستطيع الوقوف أمامهم
أو إيقاف خطتهم فما أقوله فقط انتظر وشاهدني.

صرخ علاء وهو يضرب مكتبه بكل قوته منادياً على جابر وهو يقول:

-أقسم لك أنني سأجعلك تتكلم، سألقي بما أخبروني به عرض الحائط وسأتبع
معك أسلوباً جديداً آخر حتى لو أدى ذلك لموتك، لا يهمني فلتذهب أنت
وما تعلمه للجحيم.

حينها دخل جابر للمكتب فأمره علاء قائلاً:

-خذ هذا الأبله بالحبس الانفرادي مجدداً وأغرق زنزانته بالماء وأنا سأشرف
على تعذيبه بنفسي.

ابتسم حينها أبادون وجابر يجذبه بشدة فسار أبادون معه وقبل أن يخرج
نظر لعلاء قائلاً:

-أرجو منك فقط ألا تنسى طلبي، جهز لي بذلتي فخروجي أصبح وشيكاً وقد
قارب وقت الاحتفال.

قالها وهو يخرج وجابر يغلق الباب خلفه مما زاد حنق علاء فقذف الباب
بإحدى الأدوات المكتبية وهو يقول منفعلًا:

-أقسم بحياتي أن أجعلك تتحدث.

يطرق الباب فيسمع من الداخل يأمره بالدخول فيدخل ملقياً التحية
العسكرية له، فيقول الجالس الذي يحمل رتبة لواء:

-جميلة تلك التحريات التي قمت بها يا سيادة المقدم، أنا أعلم جيداً

مجهوداتك وأنتك من العناصر المميزة بجهاز المخابرات العامة ولكنني قد أطلعت الرؤساء على تلك التحريات ووجدت منهم عدم الإكتراث ومنهم من يرى أن نظرية المؤامرة تسيطر على تفكيرك سيادة المقدم، لذا أرجو منك نسيان ما قدمته والاهتمام بما يوكل لك فقط.

-لكن يا سيدي تلك ليست نظرية المؤامرات، هناك أدلة على وجود ما قدم لسيادتك بهذا الملف.

-سيادة المقدم طالما قد جاءت الأوامر العليا بوقف تلك التحريات فلتتوقف تلك التحريات.

قالها غالباً الملف والموضوع تماماً.

الثلاثاء الخامس والعشرين من يناير

بمكتب اللواء صلاح الششتاوي جلس اللواء صلاح والعقيد عزت يتابعان ما يجري بالميادين من خلال الشاشات ومواقع التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية، كما كان هناك خط دائم بين اللواء صلاح واللواء عمر سليمان للإطلاع على المستجدات، وخط آخر بين العقيد عزت ورجاله الموجودين بمعظم ميادين مصر.

أمام أعينهم مئات الآلاف بل الملايين بالشوارع في مسيرات بكل المحافظات بكل الميادين، الشوارع، حتى الأزقة الصغيرة، خرجت الجموع ينادي بعضهم بالإصلاح، وبرحيل النظام للبعض الآخر.

القنوات المحلية تحاول تفادي الحديث عن ذلك وتنقل ما يحدث كما لو كان الأمر مجرد وقفات احتجاجية بسيطة، أما بعض الوكالات العربية والوكالات العالمية هناك منهم من ينقل ما يحدث بالفعل على أرض الواقع عن كونها ثورة حرة من شعب حر والبعض الآخر يزيد بتضخيم الأمور بل وينقل أرقام وإحصاءات عن أعداد القتلى التي تتزايد طبقاً لما ترى هي تلك الوكالات.

تأفف اللواء صلاح قائلاً:

-ما أراه الآن هو قمة الانحطاط الإعلامي سواء من القنوات المحلية المصرية أو من تلك الوكالات التي توهم الناس بوجود حرب شوارع الآن.

طرقت يده لوحة مفاتيح جهاز الحاسب الذي أمامه وهو يسأل العقيد عزت:

-ما العدد الحقيقي للضحايا حتى الآن يا عزت؟

أجاب عزت:

-العدد حتى الآن ثلاثة قتلى من متظاهري السويس وسقوط عسكري مجند من الشرطة بالإضافة إلى عشرات المصابين ومئات المعتقلين بكافة أنحاء مصر، هذا بخلاف بعض التليفات المادية.

تنهد اللواء صلاح وهو يضع يديه أسفل ذقنه قائلاً بصوت يحمل ثقلاً من الهموم:

-الأمر لن يتوقف بل سيزداد وكل ذلك بسبب أن الرئيس وحكومته قد أخفقوا في إصابة كبد الحقيقة، تعنتوا في موقفهم وعادوا الشعب، وتلك هي النتيجة، بل الأمر سيزداد، جمعية العين التي تشكل أقوى تشكيل للمنظمات المؤثرة على سياسات العالم تقود الإعلام الخارجي بشكل صحيح وهي تعلم جيداً التأثير الإعلامي على أحداث مثل تلك، أذكر جيداً تأثيرها على إسقاط بغداد وكيف أنها أوهمت جنود الجيش العراقي بأخبار كاذبة عن سقوط المطار العراقي ووزارة الإعلام والتليفزيون هناك، حينها علم الجميع أن الدولة قد سقطت واستسلم الجنود العراقيون للأمر وسقطت بغداد وبالتالي سقطت العراق في غضون ساعات على الرغم من أن ذلك لم يحدث، مجرد خبر كاذب صغير أسقط دولة، ونحن للأسف لا نملك ما يوجه تلك القوة الإعلامية الكبرى، نحن أمام عدة قنوات محلية تصرخ بالنطاق المحلي فقط، وللأسف لا تكسب تعاطفاً مع الشعب ولا تنقل الأخبار الحقيقية الأمر الذي يجعل الشعب يطلع على أخباره من تلك الوكالات الخارجية التي يحمل بعضها تخطيطاً خاصاً يريد تنفيذه من جمعية العين، والقليل فقط ينقل الحقيقة بعيداً عن مخطط العين أو فقد بصيرة الدولة من القنوات المحلية.

ارتفع رنين هاتف مكتب اللواء صلاح فأجاب على الفور:

-أهلاً بحضرتك، كيف الوضع الآن؟ كما توقعت الأمور ستزيد سوءاً والأمر لن يتوقف.... بالتأكيد سنكون على جاهزية دائماً بأي جديد.

أغلق اللواء صلاح الهاتف وهو يقول:

-اللواء عمر سليمان، كما توقعت الأمور ستزداد سوءاً، سيتم قطع وسائل الاتصال عن ميدان التحرير.

قالها وصمتا ينظران لما يجري أمامهما على الشاشات.

الخميس السابع والعشرين من يناير ٢٠١١

بصالة الاجتماعات بمبنى المخابرات التابع لمكتب اللواء صلاح الششتاوي يجلس اللواء صلاح الششتاوي والعقيد عزت مع أربعة من كبار قيادات الجيش وأمامهم الشاشات تنقل ما يحدث بالميدان أمامهم، فرحب اللواء صلاح بالمتواجدين جميعاً قائلاً:

-أرحب بأهم وأكبر قيادات الجيش المتواجدة بالبلاد، كنت أتمنى أن يُعلن عن تواجدها بظروف أفضل من تلك التي تمر بها الدولة، لكن عزاءنا الوحيد أن ذلك الجهاز قد خلق لمثل تلك الأزمات، معكم اللواء صلاح الششتاوي مسئول مخابرات سابق، وأمامكم صورة من ملف كامل عني وعن العقيد عزت نائبي المسئول الأول لهذا الجهاز.

رحب س/ع أحد كبار قيادات الجيش باللواء صلاح قائلاً:

-طبعا غني عن التعريف يا سيادة اللواء جميعنا نعلم جيدا من أنت سواء أنت أو العقيد عزت، واختفاؤكم من الساحة الأمنية كان مصدر تساؤل دائم لصناع القرار بمصر ولدينا أيضا، لم نكن نعلم أن وراء اختفائكم تلك الأهمية القصوى وهذا الجهاز العظيم والذي نرجو أن يكون موفقاً بأولى مهامه وحماية مصر والمرور بها لبر الأمان من تلك الأزمة.

هنا تدخل العقيد عزت بالحديث قائلاً:

-أود أن أستأذن سيادة اللواء صلاح للترحيب بكم أيضاً وقبل أي شيء أود أن أوضح أن ذلك الجهاز بعيد عن أية انتماءات سياسية أي أننا سنكون بعيدين كل البعد عن الدفاع عن النظام الحالي، هذا لا يمنع أننا سنحاول ببعض الخطط ولها الأولوية للحفاظ على ذلك النظام ومن ثم القيام ببعض الإصلاحات فيما بعد ذلك لكن إن كان الرأي الغالب وتمسك الشعب بإزالة هذا النظام فحينها سنعمل على الخطط الأخرى.

تكلم اللواء ح/ر قائلاً:

-بداية نود أن نوضح أن الجيش بأكمله يرفض مبدأ التوريث، أي أنه مع الشعب بإقالة ذلك النظام مع الحفاظ على رؤسائه، لكن أن يبقى وتُنقل السلطة بيد ابن الرئيس مبارك فهو أمر مرفوض تماماً.

تحدث اللواء صلاح قائلاً بهدوء:

-أرجو أن يضع بعين الاعتبار الدولة فقط، نحن هنا لسنا من أجل صراع السلطات، وبالطبع بعدما حدث خلال الأيام الماضية يكاد يكون من المستحيل القيام بالتوريث، الأمر منته تماماً، نحن هنا فقط من أجل مصلحة الدولة سواء ظل النظام أم سقط فنحن ها هنا للحفاظ على وحدة مصر وسلامتها وسلامة هذا الشعب.

وافقه على الفور س/ع قائلاً:

-بالطبع، بالطبع، والدليل عودتي من الخارج سريعاً لكي أكون متواجداً خلال تلك الفترة العصيبة وبمجرد عرض سيادة اللواء عمر سليمان عليّ مقابلتكم قبلت بدون نقاش فنحن نريد أن نكون يداً واحدة وتقودنا سفينة واحدة للعبور من تلك الأزمة.

تحدث العقيد عزت شابكاً يديه:

-الأمر الآن بشدة التعقيد، عدد الضحايا يزداد، واليوم قامت الحكومة المصرية بقطع الإنترنت عن مصر بالكامل كما تم القبض عن وائل غنيم، الأمر الذي استدعى الحديث عن موجة أخرى غداً من المظاهرات التي بدأت يوم الثلاثاء الماضي، ونرى أنها ستكون أشد عنفاً وقوة من يوم الثلاثاء لطبيعة عطلة يوم



الجمعة.

ولذلك في حالة حدوث هذا الأمر نرى منكم ضرورة نزول الجيش غدًا لجميع الشوارع والميادين للسيطرة على الشارع في حالة إذا ما استدعى الأمر ذلك.

تساءل اللواء م/أ:

-لكن قرار نزول الجيش بيد شخص واحد فقط وهو رئيس الجمهورية.

أشار اللواء صلاح الششتاوي له بعلامة الاطمئنان قائلاً:

-لا تقلق، سيادة اللواء عمر سليمان سيتكفل بذلك.

قال اللواء س/ع:

إذا فلنرجوا الله ألا يستدعي الأمر ذلك.

رد اللواء صلاح عليه:

-نرجوا ذلك جميعًا، لكن ما نراه أمامنا لا يجعلنا نتفاءل بذلك خيرًا.

قالها وهم ينظرون لما يحدث أمامهم على الشاشات بين قوات الأمن والمتظاهرين.

الجمعة ٢٨ يناير ٢٠١١ (جمعة الغضب)

جمعة الغضب، والمتظاهرون يشنقون دمي للرئيس حسني مبارك.

طلقات خرطوش وقنابل مسيلة للدموع استخدمتها الشرطة المصرية في قمع مظاهرات جمعة الغضب.

في حدود الساعة الواحدة بعد منتصف ليل الخميس بدأت موجة من الاعتقالات الواسعة لعشرات من النشطاء السياسيين في صفوف جماعة الإخوان المسلمين بصورة غير مسبوقة. وفي صباح الجمعة أصدرت وزارة الاتصالات أمرًا بوقف خدمة الإنترنت والرسائل القصيرة (sms)، وقطع الاتصال عبر الهواتف المحمولة في جميع أنحاء الجمهورية.

بدأت بعد أداء صلاة الجمعة تظاهرات شعبية واسعة في عدد من المدن المصرية، فخرج مئات الآلاف في أغلب المدن المصرية كالقاهرة والإسكندرية والسويس والمنصورة والإسماعيلية ودمياط والفيوم والمنيا ودمنهور والشرقية وبورسعيد ومحافظة شمال سيناء.

أطلق الأمن في القاهرة القنابل المسيلة للدموع واعترض رجال الأمن المتظاهرين في محاولة لمنعهم من الوصول إلى ميدان التحرير، كما أطلقت القوات الأمنية الرصاص المطاطي على المتظاهرين قرب الأزهر، ولاحق رجال أمن بملابس مدنية المتظاهرين وقاموا باعتقال بعضهم. إلا أن جموع المتظاهرين واصلت تظاهرها وبدأ المتظاهرون بالتوجه إلى القصر الرئاسي، وهم يهتفون بسقوط الرئيس مبارك. كما امتدت المظاهرات إلى مناطق أخرى في البلاد كمدينة نصر شرقي القاهرة.

مع عصر اليوم كان المتظاهرون قد نجحوا في السيطرة بالكامل على مدينتي الإسكندرية والسويس، فقد تم إحراق جميع مراكز الشرطة في الإسكندرية واضطرت قوات الأمن في آخر الأمر إلى الانسحاب من المدينة بعد الفشل في قمع المتظاهرين، أما في السويس فقد سيطر المتظاهرون على أسلحة قسم شرطة الأربعين، واستخدموا القنابل المسيلة للدموع ضد رجال الأمن بينما شاعت أنباء عن سيطرة المتظاهرين على المدينة وطرد قوات الأمن منها. وتم حرق المقر الرئيسي للحزب الوطني الحاكم الواقع في مدينة القاهرة، كما دمرت مقرات الحزب في عدة مدن بما في ذلك كوم أمبو ودمياط، وقام المتظاهرون فضلا عن ذلك بإتلاف جميع صور الرئيس مبارك في مسقط رأسه شبين الكوم بمحافظة المنوفية.

في حدود الخامسة بعد الظهر بدأت قوات الجيش بالظهور في ميادين القاهرة، وفي الخامسة والنصف أعلن الحاكم العسكري عن حظر التجول في القاهرة والإسكندرية والسويس، لكن بالرغم من ذلك فقد تحدثت جموع المتظاهرين حظر التجوال. وقد أعلنت السي إن إن تباعاً عن خطاب سيصدر عن الرئيس حسني مبارك بخصوص المظاهرات، لكن ثبت بعد ذلك أنه غير صحيح.

في نهاية اليوم نزلت مدرعات الجيش المصري إلى شوارع المدن لمساندة قوات الشرطة التي لم تعد قادرة على تحمل الضغوطات وحدها. بدأت حالات من النهب والسلب تقول الحكومة إنها من المتظاهرين، لكنها في واقع الأمر كانت من البلطجية والمساجين الذين حررتهم وزارة الداخلية من أقسام الشرطة والسجون العامة لترويع المواطنين وحث المتظاهرين على التراجع. ووقف المتظاهرون بالمرصاد لمحاولة سرقة المتحف المصري واستنجدوا بقوات الجيش لإنقاذ المتحف. وتجاهل المتظاهرون حظر التجول واستمرت التظاهرات طوال الليل.

محصلة جمعة الغضب:

أفلتت الأمور من يد الحكومة المصرية خاصة محافظتي السويس والإسكندرية. خروج المظاهرات من جميع محافظات الجمهورية بأعداد تقدر بمئات الآلاف.

تدمير كثير من مقرات الحزب الوطني وأقسام الشرطة في جميع أنحاء مصر. نزول الجيش المصري محاولاً فرض الأمن على الشارع المصري ومن ثم فرض حظر التجول.

مقتل عدد غير معلوم من المتظاهرين بأعداد بلغت في بعض التقديرات مائة قتيل بالإضافة إلى اعتقال الآلاف.

انهيار البورصة المصرية مع خسائر بلغت ٧٢ مليار جنيه.

دهست سيارة تحمل لوحات معدنية لهيئة دبلوماسية العشرات من المتظاهرين وخلفت على الأقل ١٥ قتيلاً وعشرات الجرحى ووقعت الحادثة في شارع قصر العيني بجوار السفارتين الأمريكية والبريطانية وهناك تساؤلات عن طريقة تصوير الواقعة، وتم الكشف لاحقاً أن السيارة التي أصبحت حديث العامة تابعة للسفارة الأمريكية وتم تحطيم سيارتين أخريين مرتاً بنفس الطريقة في شارع قصر العيني وكانتا تحملان لوحات دبلوماسية أيضاً.

دهس جموع المتظاهرين بسيارات تابعة للأمن المركزي مما خلف الكثير من القتلى والمصابين بإصابات بالغة الخطورة.

السبت التاسع والعشرون من يناير ٢٠١١:

مقر اللواء صلاح الششتاوي:

أغلق اللواء صلاح الششتاوي الهاتف وهو ينظر للعقيد عزت قائلاً:

- بعدما حدث أمس انتهى الأمر، سيتم تعيين سيادة اللواء/عمر سليمان نائباً لرئيس الجمهورية، القرار قد صدر بالفعل وسيُعلن بعد قليل.

بدا بعض الارتياح بعين العقيد عزت وهو يقول:

- أظن أن ذلك سيخفف حالة الاحتقان قليلاً في الشارع، على الأقل قد أصبح هناك نائب لرئيس الجمهورية وهو أحد المطالب التي كان ينادي بها الثوار.

تنهد اللواء صلاح وهو يقول:

- كان ذلك يُعد كافياً قبل ما حدث أمس، المطالب تتزايد، الأمر أصبح مثل كرة الثلج تتزايد باستمرار والمطلب أصبح واضحاً رحيل النظام بالكامل.

تساءل العقيد عزت:

- لماذا يبدو عليك القلق هكذا سيادة اللواء؟

أراح اللواء صلاح رأسه على كرسيه قائلاً:

- لا، اللواء عمر سليمان قد قرر النزول لم لعب السياسة الآن، وهو ما يُعد خطراً طبقياً لما يحدث، سيادة اللواء كما يقول البعض يحرق نفسه الآن وذلك كمحاولة يائسة لإنقاذ ذلك النظام وهو يعي ذلك جيداً، لكن تلك طبيعته سيحاول بكافة الطرق إنقاذ الوضع حتى لو كان ذلك على حساب صورته هو.

ثم أطلق زفيراً وهو يقول:

- ندعوا الله فقط أن تمر الأمور بخير.

أستاذ العقيد عزت من اللواء صلاح للقيام ببعض المهام حول ما يحدث بالشارع وقبل أن يخرج أستوقفه نداء اللواء صلاح قائلاً:

-عزت... هل هناك أي جديد فيما يخص ذلك الرائد المدعو علاء ومن يُدعي أبادون؟

أجاب عزت قائلاً:

-لا جديد سوى أن الرائد علاء تلقى تهديدات من المسئول من منظمة العين الآن لإجبار أبادون على الإفصاح عما يحمله من معلومات حتى إن الأمر قد وصل إلى عرض صفقة إطلاق سراح أبادون مع هوية جديدة ومبلغ مالي وحياة جديدة وحتى الانضمام لمنظمة العين لكن أبادون أبى ذلك ورفض.

اندهش اللواء صلاح رافعاً حاجبيه قائلاً بتعجب:

-رفض أن يعقد مثل تلك الصفقة وينال حرите؟ ومن شخص حكم عليه بالإعدام تقريباً!

أوماً العقيد عزت برأسه، فتعجب اللواء صلاح وهو يردد:

-من هذا الأبادون حقاً؟

ثم تحدث للعقيد عزت قائلاً:

-استمر بمتابعتهم ولا تجعلهما يغيبان عن عينيك ولكن قبل أن تذهب قل لي مَنْ هو مسئول منظمة العين الذي عرض تلك الصفقة؟

أجاب عزت:

-رجل الأعمال صبري الورداني.

الفصل الخامس

الأحد: الثلاثون من يناير ٢٠١١

الساعة العاشرة مساءً بسجن أبو زعبل:

الجميع يركض هنا وهناك، صفارات إنذار السجن تسري بالمكان، الأنوار الكاشفة تداعى بعضها والبعض الآخر يهتز، تسمع أصوات الأعيرة النارية حولك بكل مكان، لا تستطيع الرؤية من الرمال المتناثرة بالأجواء، البعض يصرخ، وتسمع البعض الآخر يتألم، ترى بصعوبة من خلال الرمال المتناثرة بعض الرجال بملابس السجن الزرقاء يختلط بعضهم برجال الشرطة، الجميع يهرب ممن لا يعلمون، الجميع يحاول النجاة بحياته، المطارد والمُطارد يهربون معاً، منهم من يركض ومنهم من يقود سيارة تابعة للسجن ويهرب بها. أما على أرضية السجن فقد تناثرت الجثث، اختلطت دماء المساجين بدماء العساكر، تسير فتتعثر بين الأجساد التي كان لها نصيب الموت بطلقة أو اثنتين أنهت على حياته.

أما داخل السجن، وقد هرب من هرب ومات من مات، يسير ذلك الظل بالظلام يعرف طريقه جيداً لا يهاب ما يحدث، تراه يدلف لمكتب الأمانات ويختفي قليلاً، ثم يُفتح الباب من جديد ليخرج مرتدياً بذلة زرقاء رائعة ورابطة عنق كحلية اللون مع قفاز أسود يتألق بشكل غير عادي كما لو كان ذاهباً لحفل ما.

يسير بممرات السجن وسط الظلام والنور الخافت الذي لا يزال يعمل، معه مسجل صوتي يشغل عليه مقطوعة من مقاطع الأوبرا، يسير وهو يُطلق صفيراً مستمتعاً بما يسمعه من الجهاز، تراه يسير بطريقة حالمة وهو يستمتع بمضغ قطعة من اللبان قبل أن يقف قليلاً إمام إحدى الجثث لحراس السجن ينزع منه سلاحه ويفحصه ثم يضعه بجيب البذلة الداخلية ويسير وهو يواصل الشدو بتلك الأغنية مع صوت الطلقات بالخارج.

وبمكتب الرائد علاء يقف الرائد علاء مذعوراً طالباً من جابر حمايته وهو ينظر من نافذته لما يحدث بالخارج، جابر هو الآخر خائف لا يستطيع أن

يبوح بذلك لرئيسه ولكنه يكاد يرى ذلك بعين جابر، حينها طلب من جابر أن يبقى خارجًا أمام الباب لحمايته من أي شيء على أن يقوم هو باتصالاته ليخرجا من هنا.

نفذ جابر الأمر وهو يخرج ليقف على الباب حامياً سيده، أما علاء فحاول الاتصال عدة مرات بالهاتف المحمول لكن الخطوط مقطوعة منذ يومين لا عمل لأية شبكة.

نظر حينها للهاتف الأرضي متردداً هو يعلم جيداً تعليمات العين بمنعه من استخدام هاتف العمل للأمان التام، لكن الأمر الآن لا يحتمل أي شيء، حياته أصبحت على المحك، لابد لهم من حمايته، هو يعلم جيداً حتى لو تخاذل معهم وأغضبهم في بعض الأوقات، حتى وإن فشل في أن يُخرج ما يريدونه من أبادون، لكنه رجلهم لن يتركوه.

أمسك الهاتف وقد بدأ الاتصال وهو ينتظر الإجابة من الطرف الآخر حتى سمع صوت صبري الورداني يتحدث فقال:

-أستاذ صبري أرجوك السجن يتعرض للاقتحام هنا أرجو منكم التصرف إن لم تخرجوني الآن فأنا في عداد الأموات.

رد صبري بعصبية قائلاً:

-كيف لك أن تجرؤ وتتصل بي من مقر عملك هل جنتت لفعل ذلك.

رد علاء مستجدياً:

-أستاذ صبري السجن مقتحم الآن لا وجود لأي مرافق للشرطة، لا يوجد أحد لمراقبة الهاتف، أرجوكم أخرجوني الآن.

صمت صبري قليلاً وعلاء يستمع لأنفاسه ثم قال:

-عزيزي علاء لكل منا دوره، والعين رأت أن دورك قد حان والخدمة الجليلة التي تقدمها للعين هي موتك الآن.

قالها وهو يُغلق الهاتف بوجهه، لم يصدق علاء ما حدث الآن من صبري،

فكيف للعين أن تبيعه بتلك السهولة، كان موقفًا صادمًا ظل خلاله علاء مبهوتًا إلى أن وجد الباب يُفتح وجابر يسقط من الباب ميتًا ومن خلفه استمع لموسيقى الأوبرا تتصاعد، حينها علم علاء من القادم، وبعد سقوط جابر ظهر أبادون مبتسمًا مستمتعًا بموسيقاه بوجهه المشوهه ووشم الجمجمة عليه وقد ارتدى حلته ويمسك بمسدسه ويصوبه ناحية علاء الذي وقف غير واع لما يحدث، وأبادون يفرد ذراعيه مرحبًا قائلاً:

-أهلاً بك يا علاء.. أمممم لقاء آخر لنا تحت راية الأوبرا، يا لها من روعة تلك الأجواء، كما أن أصوات الطلقات بالخارج تضيء جواً من المرح.
قال له علاء:

-أبادون، من الممكن أن نخرج جميعًا فائزين من هذا الموقف لا تكن غيبًا.
بدأ أبادون يتمايل بجسده مع الموسيقى وهو يقول:

-فائزين؟ بالفعل كل منا سيخرج فائزًا بشيء يا علاء صدقت في هذا، لكن كلاً منا سيخرج فائزًا بما يستحقه فقط.

صمت علاء وهو يعلم ما يصبو إليه أبادون الذي نظر لبذلته التي يرتديها قائلاً:

-في الحقيقة أود أن أشكرك كثيراً للاعتناء ببذلتي، ألم أقل لك أنني سأخرج قريبًا، إذا ما الداعي لصفقتك، وأنا كنت أعلم بأنني سأخرج عما قريب.
قالها وهو يضحك ثم أكمل مصوبًا سلاحه لعلاء قائلاً:

-ما رأيك الآن بأن يعقد أبادون معك صفقة، أخبرني من الوسيط الآن بينك وبين العين وأعدك أن قتلي لك سيكون برصاصة وحيدة رحيمة دون أي عذاب.

هنا فقط أفاق علاء من ذهوله وهو يقول:

-لذلك أنت أردت منا أن ندخلك للسجن؟ أنت من قمت بالإبلاغ عن نفسك وقد قصدت منا توصيلك إلى هنا، أكنت تعلم أنني من سأقوم بالتحقيق

معك؟

فرد أبادون ذراعيه ثم أطلق تعبيرات على وجهه بمعنى النفي وهو يقول:
-لن أكذب، لم أكن أعلم أنه أنت يا علاء بالتحديد، كل ما كنت أعلمه أن
العين ستطلق خلفي أحد رجالها هنا للتحقيق معي ولمعرفة ما أعلمه، وهو
الجزء الهام بالنسبة إليّ، أنا أريد رجلهم وهم يريدونني، لذلك لم لا أسلم
إياهم نفسي ونلعب اللعبة وفقا لقواعدي، والآن ما رأيك بصفقتي؟.
هنا أطاح علاء بما على مكتبه وهو يقول: مرفوضة.

ابتعد أبادون عما ألقاه علاء، وحينها أمسك علاء بمسدسه وهو يُطلق
الطلقات التي ابتعد عنها أبادون وهو يقفز خارج باب المكتب وطلقات علاء
تتبعه فوقف أبادون بجانب الباب مستنداً على الحائط وممسكا بمسدسه
وهو يُحدّث علاء قائلاً:

-لآخر مرة يا صديقي أعرض عليك عرضي ولكن بعد ذلك سيكون هناك الحل
الأصعب.

أجاب علاء:

-أنت في عداد الأموات الآن.

ضحك أبادون ضحكته الهستيرية وهو ينظر على المرأة المقابلة للباب وهو
يرى علاء واقفاً ممسكاً بمسدسه بمحاذاة المكتب مقترباً من الباب بخطوات
بطيئة فانتظر أبادون حتى اقترب علاء عدة خطوات فقفز على الأرض وهو
يطلق رصاصة باتجاه قدم علاء الذي تألم وهو يسقط مسدسه ممسكاً ساقه
المصابة وهو يصرخ وأبادون يقف منفصلاً بذلته وهو يبتسم ويقترب من علاء
وهو يقول:

-لماذا اخترت الحل الأصعب يا صديقي كان لديك الحل الأسهل؟ أعدك الآن
أن نستمتع سوياً كثيراً.

قالها وهو يهوي بمؤخرة مسدسه على رأس علاء.

-أفكر بتقديم استقالتي من عملي.

تفاجأت بقوله هذا، فهي تعلم كزوجته مقدار حبه لعمله والذي دائماً ما تغار منه، لكنها تعلم حماسه له ولذلك فاتخاذها لمثل هذا القرار يعني أنه يمر بمرحلة يأس فقالت مهدئة له:

-ما بك يا حبيبي؟ أهنك اية مشاكل بعملك؟

يدفن وجهه بكفيه ويقول:

-توضع معوقات لي، أنا أعمل على قضية ستهز المنطقة جميعاً وليس مصر وحدها، وستسقط وتكشف عن الكثير والكثير من أحداث وقعت بل وستقع، أحاول جاهداً أن أنقذهم وقبل هذا أنقذ مصر منها لكنهم يأبون مساعدتي.

تأتي بجانبه وتحتضنه وتقول:

-أكمل ولا تتوقف، لا تستقل الاستقالة هروب وأنت لست هذا الشخص الذي يستسلم لي.

يقبل يدها قائلاً:

-يحفظك لي ربي.

الأحد الثلاثون من يناير ٢٠١١

مكتب اللواء صلاح الششتاوي

كان اللواء صلاح يتابع تشكيل حكومة اللواء أحمد شفيق الجديدة عندما طرق الباب فأذن اللواء للقادم بالدخول فإذا به العقيد عزت وهو تبدو عليه علامات التوتر فطلب منه اللواء صلاح الجلوس ثم سأله بهدوء:

-ماذا بك يا عزت؟ يبدو أن هناك أمراً بالغ الأهمية.

تردد عزت قليلاً ثم تحدث قائلاً:

-جميع السجون قد تم اقتحامها خاصة المتواجد بها المساجين السياسيين،

فتم إقتحام سجن وادي النطرون وسجن أبو زعبل.

بدأت الصدمة على وجه اللواء صلاح الششتاوي ولم يستطع حتى التعليق على ما قاله له العقيد عزت، إلى أن أخرجه من تلك الحالة رنين الهاتف والذي أسرع يلتقطه ويجيب:

-أهلاً بك يا أفندم، علمت بالخبر من خلال العقيد عزت منذ قليل، هل هنالك أي طريقة لتفادي تسرب الخبر.... لا يوجد؟ نعم أعلم جيداً خطط العين بمثل تلك المواقف.... تمام سأحاول التوصل لحل لهذا الأمر، وسأعاود الاتصال يا فندم.

قالها وهو يُغلق الهاتف فتساءل عزت قائلاً:

-سيادة نائب الرئيس؟

أوماً اللواء صلاح برأسه قائلاً:

-نعم كان يخبرني باقتحام السجون وهروب عناصر إجرامية ومعتقلين سياسيين من تلك السجون، وحاولت الاستفسار منه على أي قرار للحد من انتشار الخبر فكان رده بأنني أعلم منظمة العين جيداً وكيفية تصرفها بمثل تلك الأخبار فأخبرته أنني سأحاول العثور على حل لذلك وأخبره.

أمسك اللواء صلاح الهاتف وهو يتصل برقم محدد ثم انتظر ليجيب:

-أهلاً بحضرتك سيادة اللواء، ما قولك حول أمر اقتحام السجون؟ أعلم، أعلم، جيداً أن العبء ثقيل لديكم وأعلم أنكم تعملون بأقصى ما لديكم، البلد بأكملها على عاتقكم الآن..... بالفعل أنا لا أؤمكم ولكن أريد أن نكون على اتصال بقدر أكبر الفترة القادمة.... الوضع الآن واضح، الأمر لن يهدأ إلا بسقوط النظام الحالي وسأعمل على خطط لذلك من الآن..... تمام يا سيادة اللواء أرجو منكم فقط محاولة مطاردة الهاربين جنائياً فقط وإعادتهم للسجون مرة أخرى..... لا لا الهاربون جنائياً فقط..... ماذا عن المعتقلين السياسيين؟ الأمر أصبح لا يحتمل وجود معتقلين سياسيين في تلك الأوقات الراهنة وإن أعدنا اعتقالهم فهذا سيزيد الأمر سوءاً اتركهم الآن واجعل كامل التركيز منصباً على الهاربين جنائياً.... تمام تمام... سأتواصل مع سيادتك لاحقاً.

قالها وهو يُخلق الهاتف ويقول:

-كنت أتحدث مع أحد قيادات المجلس العسكري الآن، بنسبة كبيرة أصبحت قيادة البلاد تحت لوائنا، الأمر أصبح شبيهاً للخروج من عنق الزجاجة.
رد العقيد عزت قائلاً:

-كان الله في عوننا وخيراً فعلت يا سيدي أن رفضت اعتقال سياسيين حالياً
الوضع لا يحتمل.

أشعل اللواء صلاح سيجارة وهو يقول:

-أنا أعلم انتماء قيادات الجيش بالكامل للوطن، لكن الإشكال يكمن في عدم قدرتهم على لعب الدور السياسي بطريقة صحيحة ومن هنا يكمن دورنا نحن، سنجعلهم يلعبون السياسة الآن طبقاً لقواعدنا.
تساءل العقيد عزت:

-هل حديثك يعني انتهاء شرعية النظام الحاكم الآن؟

أخذ اللواء صلاح نفساً آخر من سيجارته وهو ينظر لأداء حكومة اللواء أحمد شفيق القسم على الشاشات ثم قال:

-الشرعية انتهت من بعد سقوط أول شهيد، الشرعية انتهت من بعد تعنت النظام يوم الخامس والعشرين من يناير، كان يمكن تدارك الأمر لكن الآن أصبحت النتيجة محتومة، الأمر مسألة وقت والنظام الحالي انتهى تماماً، بخلاف ذلك لن تفوت العين والجهات الأخرى تلك الفرصة دون إسقاط النظام إنها رفصة سانحة لم تكن بالحسبان ولن يجعلوها تذهب هباءً لذلك لابد أن نستعد لمرحلة ما بعد النظام الحالي.

صمت عزت فجلس اللواء صلاح عاقداً حاجبيه ثم تساءل وهو يشير بسيجارته للعقيد عزت:

-ماذا هناك يا عزت، أرى أن هناك أمراً آخر تود أن تخبرني به.

تردد عزت قبل أن يقول:

- هناك خبر من ضمن الأخبار الخاصة بهروب المساجين، الأمر يخص الرائد علاء وأبادون، لقد اختفى أبادون والرائد علاء من سجن أبو زعبل.

بدا التفكير العميق على وجه اللواء صلاح وهو يقول:

-ها هو خيط آخر يضيع من أيدينا.

قالها وهو ينظر للواء أحمد شفيق بالشاشة يردد:

-أقسم بالله العظيم أن أحترم الدستور والقانون.....

يأحدي المناطق التي يغلب عليها الطابع الريفي الكائنة بجنوب القاهرة فيما بعد منطقة حلوان السكنية كان هذا البيت الريفي التقليدي الواقع على خط السكة الحديد المتجهة للصعيد، والذي نسجت حوله العديد والعديد من الأساطير حول الأشباح الموجودة به، الأمر الذي جعله في عزلة تامة بعيداً عن أي من البيوت الأخرى، مما أبقى هذا البيت موحشاً بمفرده على مرمى البصر، إلا أن ذلك قد تغير عندما جاء هذا الغريب وهو يحمل صك هذا البيت وجعله مسكناً له.

كان هذا الساكن غريباً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، غريباً عن البلدة، فلم يره أحدهم من قبل أو يسمع عنه، لم يرى أحد وجهه أبداً وهو دائماً يتشج بتلك العمامة على وجهه، تجعلك تظن أنه ممن يطلقون عليهم المطاريد، لكن ملابسه تختلف عن ذلك تماماً.

زاد هذا الغريب الأمر رعباً على ذلك المنزل، فالبعض يراه أحد الهاربين من العدالة، والبعض الآخر يراه أحد الشيوخ المتواصلين مع الجان، كلهم اختلفوا حول التفسير، لكن ظل المضمون كما هو الابتعاد الكامل عن ذلك المنزل وذلك الغريب.

لم يكن الغريب يمكث بالمنزل طوال الوقت بل حتى المبيت فيه لم يكن سوى ليلة كل عدة أشهر وخلال فترة تتجاوز الثلاثة أشهر لم يره أحد ولم يروا ضوءاً بذلك المنزل على الرغم من أنه في وجوده أو عدم وجوده لم يكن الضوء يظهر، البيت دائماً بوضع الظلمة، ولكن يعلم البعض بوجود ذلك

الغريب عندما يراه أحدهم أثناء مروره الصباحي بحيواناته الريفية من على خط السكة الحديد وهو خارج من ذلك المنزل.

اليوم رأى أحدهم الغريب خارجًا من هذا المنزل.....

اليوم الاثنين ٣١ يناير ٢٠١١

بالمنزل الريفي كان هو يجلس على مقعد قد أصابه الهرم وتقطعت أوصاله وامتلاً بالغبار كعلامة على عدم العناية بالمنزل منذ زمن بعيد.

أما هو فيجلس بدون اهتمام وقد أشعل بعض قطع الخشب للتدفئة والإنارة البسيطة بذلك المنزل الريفي المتواضع.

يجلس واضعًا ساقًا على ساق وأمامه شخص آخر معلق بوضع عكسي من أرجله من السقف ورأسه لأسفل وقد تلوث وجهه بدماء جافة ناتجة عن جرح برأسه وقد وضعت قطعة من القماش المتسخة كاتمة فمه على الرغم من أنه لا يزال غائبًا عن الوعي.

أما الجالس فقد أمسك غليونًا قديمًا وهو يضع به بعض التبغ ثم أمسك قداحة وهو يشعل بها ذلك الغليون يستمتع لموسيقى الأوبرا باستمتاع قبل أن يفيق الغائب عن الوعي وأخذ فترة من الوقت حتى استوعب ما هو به فأخذ يحرك جسده وهو ينظر للجالس الذي يدخل الغليون والذي قال بكل هدوء وهو يقف ويربت على كتف الشخص المعلق:

-اهدأ يا سيادة الرائد، اهدأ واستمتع بالمقطوعة الموسيقية الرائعة يا حضرة الرائد لقد بدأت أن أغير فكرتي عن الشرطة من خلالك أنت، لقد بدأت تتذوق الموسيقى حقًا وأنا أريدك ان تستمتع بهذا.

كان أبادون يدور حوله وعلاء يحاول فك وثاقه دون أن يستطيع، فابتسم أبادون قائلاً:

-اهدأ يا سيادة الرائد اهدأ، لقد اخترت لك تلك المقطوعة بعناية شديدة حتى تعلم مدى اهتمامي بك، اتعلم ما اسمها؟ «قداس الموت».

حينما سمع علاء الاسم بدأ يتحرك كثيراً فربت أبادون عليه قائلاً:

-ما بك اهدأ سيادة الرائد.. اهدأ يا علاء أنا أقول ذلك لمصلحتك، حركتك الكثيرة مع وزنك هذا وقدم ذلك المنزل قد يجعلك تسقط على رأسك وأنا لا أريد منك أن تموت الآن حياتك غالية يا صديقي، أشكرك على استعارتي لقداحتك، جعلتني أعود لتدخين غليوني المميز، أنت لا تعلم هواياتي حتى الآن مع أننا أصدقاء منذ فترة ليست بالقليلة، أنا يا صديقي لديّ عدة هوايات من بينها تدخين الغليون لكن أنت تعلم طوال فترة السجن لم أستطع التدخين لذلك أشكرك أنك ساعدتني للعودة إليه من خلال قداحتك يا عزيزي.

حاول الرائد علاء الحديث ولكن صدر صوته مكتوماً فأزاح الآخر ما على فمه فتحدث علاء قائلاً وهو يسعل:

-ماذا تريد يا أبادون إن كنت تريد قتلي تفضل لكن أن أظل هكذا أنا لا أقبل بذلك ولا أستمتع بموسيقاك السخيفة تلك.

أصدر أبادون صوت طقطقة دليلاً على عدم الإعجاب بما قاله علاء والموسيقى من خلفه وهو يقول:

-ألا يعجبك ما اخترته لك سيادة الرائد، ألا تعلم ما هي حكاية تلك التحفة الفنية «قداس الموت»؟ هي سيمفونية ألفها فولفغانغ أماديوس موزارت في سنة ١٧٩١ في فيينا قبل وفاته ولم يكملها كلها فأكملها طالبه فرانز خافير سوسماير وأرسلها إلى الكونت فرانز فون فازليخ الذي ماتت زوجته، وعندما عَرفها في قداس موت زوجته عرف الناس أنها من تأليف موزارت، ويُقال بأنه طلب من موزارت تأليف هذه المقطوعة حيث كان يعرف بأن موته كان قريباً بسبب إصابته بمرض السُل ثم ألفها لكن توفي ولم يستطع أن يكملها. بدا الغضب على وجه علاء وهو يقول:

-وما شأني بهذا الهراء، فك وثاقي أو اقتلني، أنا لا أقبل بهذا الوضع.

ضحك أبادون ضحكة ساخرة وحاول الحديث مراراً وتكراراً لكنه لم يكن

يستطيع بسبب استمراره في الضحك إلى أن هدأ وأخذ نفساً عمقاً ثم قال:

-لا تقبل، حقيقة أنت من أكثر الشخصيات لطفاً وإضحاكاً لي يا علاء، ترفض ولا تقبل؟ ألا ترى الوضع يا صديقي؟ أنت لن تستطيع الرفض أو عدم القبول كان ذلك فقط عندما قابلتك بالسجن حينها كانت لديك صفقتي التي رفضتها الموت بسهولة وسلاسة بل، وكان الجميع سيرى أنك شهيد، أحد شهداء الواجب أثناء اقتحام السجون، ومن يعلم بعد انتهاء هذا الوضع من الممكن تكريمك، وأن يُسمى باسمك أحد الأقسام أو الفصول الدراسية بكلية الشرطة.

قالها أبادون وهو يتعد ليحضر سكيناً مسنوناً بدا عليه أنه سكين خاص من المعدن لامع ثقيل ومشقوق بعدة أماكن طوال نصله، الأمر الذي أعطى لذلك السكين منظرًا مهيبًا وأبادون يمسكه ويسير به على جسد علاء الذي حاول أن يرى ما يفعله أبادون فلم يستطع لوضعية رأسه بالأسفل، فصرخ علاء بغضب أنه لن يتركه ينجو بفعلته تلك، حينها اقترب أبادون بوجهه من وجه علاء ممسكًا السكين ومستعرضًا إياه أمامه قائلاً:

-لن تتركني أنجو، إذا كان هناك لقاء بالجحيم حينها لا تتركني حضرة الرائد، أود أن أخبرك أنه لن يسمعك أحد، أنت بلا المكان والآن زمان، لقد وهبت روحك لي عند رفضك عرضي ولي كامل الحق في أن استمتع بتعذيب روحك، أن أجعلك تتطهر لعلك عندما تقابل ربك أن يكون عذابي لك تخفيفاً عما اقترفته من عملك مع العين وحتى عملك بأمن الدولة، أليس كذلك يا سيادة الرائد؟

قالها ممزقاً قميص علاء المتسخ وممسكًا السكين وهو يخرس طرف نصله بصدر علاء وهو يجرحه جرحًا سطحيًا بطرف النصل الحاد والذي جعل علاء يصرخ من الألم وقد هربت دمعة من عينيه من الألم.

نظر له أبادون مبتسمًا قبل أن يردد مع العزف الموسيقي ويقول:

-ما بك يا سيادة الرائد ألم تكن تهددني منذ قليل، أين شجاعتك تلك الآن.

قالها وهو يمرر سكينه مجددًا على جسد علاء فتلونت السكين باللون الأحمر مجددًا قبل أن يصرخ علاء قائلاً:

-سأقول سأقول لك كل ما تريد لكن فقط اتركني أذهب وأعدك ألا تراني مجدداً سأختفي من مصر بأكملها سأسافر بعيداً ولن يراني أحد مرة أخرى.

ابعد أبادون السكين ثم وضع يده أسفل ذقنه والسكين لا تزال تسقط قطرات من دماء علاء ثم قال أبادون:

-لأني فقط أقدر تلك الأيام الخوالي والتي تعاملنا فيها معاً لن أعذبك، لكن بذات الوقت لن أتركك هذا مبدأً، مَنْ أتحكم بمصيرهم يستحقون ذلك، وانت يا عزيزي تستحق أكثر من ذلك.

بكي علاء وبدأ نحيب بكائه بصوت مسموع يصل لأبادون والذي نظر إلى عيني علاء وهو يكمل:

-لكني أعدك ألا أعذبك فلنعقد الصفقة أخبرني فقط مَنْ هو رجل العين هنا، وسأعدك بإزهاق روحك بسرعة وبدون ألم.

بكي علاء بشدة فنظر أبادون لساعته وهو يقول:

-الوقت عندي هام يا علاء لذلك أنصحك باتخاذ قرارك سريعاً وإلا تراجعت عن تلك الصفقة، الخسارة بالنسبة لي، تأكد أنني أحبك لذلك عرضت عليك مثل هذا العرض لكن لا شيء يجعلني أترك متعة الاستمتاع بألمك كما آلمت الكثير والكثير من قبل فهيا اتخذ قرارك.

قال علاء بصوت متقطع وسط نحيبه الباكي:

-صب..ري الور..داني، صبري الورداني.

دار أبادون حول علاء ثم ربت على شعره من الخلف وأمسك رأسه بمحاذاة رأسه وقال هامساً بأذن علاء:

-شاكر لك يا صديقي، استمتع بمكانك بالجحيم ولا تتعجل سأبعث لك بصبري قريباً.

قالها ثم أمسك السكين قاطعاً جرحاً قطعياً برقبة علاء الذي لم يسعفه الوقت حتى للصراخ واهتز جسده بشدة ونافورة من الدماء تنطلق على الأرض وهو لا يزال معلقاً.

فاضت روح علاء إلى خالقها فنظر له أبادون وهو يتحسس وجهه ثم وقف أمام وجه علاء المعلق بسقف الغرفة وهو يقول:

-انتهى دورك بالحياة يا علاء، أخبرني الآن بما تشعر، هل أفادك أحد من أعضاء العين الآن، لو لم أفعلها لكان أعضاء العين فعلوها، لكنني ممتن لك لتلك الهدية التي أهديتها لي قبل موتك «صبري الورداني» لذلك سأضيف لك هدية أخرى من قبلي لتبهجك بالجحيم الآن يا عزيزي.

قالها وهو يجرح وجه علاء بمقدمة سكينه جرحًا قطعياً بجانبه فمه ثم قالها وهو يربت على رأسه:

-الآن تقابل مصيرك مبتسماً إن لم تستطع الابتسام الآن فلأفعلها أنا من أجلك. ثم أخذ يمسح نصل السكين من الدماء بقطعة من القماش وألقاها بعيداً وهو يخرج من المنزل قائلاً:

-سعيد بمعرفتك يا علاء وأتمنى لك مقعداً مرموقاً بالجحيم.
وأغلق الباب تاركاً خلفه موسيقى قداس الموت تعلو بعزفها.

يسير صديقه معه على كورنيش النيل تداعبهما نسيمات هواء النيل الخفيفة التي تقتل حرارة أغسطس، توقفا ونظرا للنيل، هذا الشيء العظيم هبة الله لمصر والذي كان وما زال يمجده المصريون، يحاول البعض بل الكثير أن يسلب مصر تلك الهبة العظيمة لكنهم لم ولن يستطيعوا أبداً.

ينظر له صديقه وهو يأكل بعض الترمس قائلاً:

-أنت كما عهدتك دائماً، تُقحم نفسك بمشاكل لا حصر لها، مالك يا صديقي بهذا الموضوع، هذا الموضوع أكبر مني ومنك يا سيادة المقدم، تراجع واترك الأمور تسير كما هي.

ينظر له قائلاً:

-لو تعرفني جيداً كما تقول، لعلمت أنني لا أتراجع عن أي معركة أخوضها

وهذه ليست معركة، إنها حرب ومنذ زمن بعيد، وإن كنت لن تساندني فيكفي أن زوجتي معي وسأواجه هذا بأكمله بمفردي.

يترك صديقه الترمس قائلاً بجديّة:

-أنا أعرفك جيّدًا، لكن صدقني أنت تُقحم نفسك بأمور أكبر مني ومنك وأنا اخشى عليك من هذا يا صديقي.

رَبّت على كتفه قائلاً:

-لا تخف أنا أعلم ما أفعله.

يصمتان وينظران سوياً مرة أخرى للنيل.

بمنطقة المعادي - القاهرة

بأحد المنازل بمنطقة هادئة بالمعادي يجلس العقيد عزت بمكتبه بالشقة الخاصة به مرتدياً نظارته طافئاً كافة الأنوار سوى مصباح صغير على المكتب وهو يراجع الأوراق أمامه فاتحاً التلفاز دون صوت على إحدى القنوات العربية الإخبارية التي تنقل ما يحدث بمصر.

كان في بعض الأوقات يبيت بالمنزل، وفي أوقات أخرى بالعمل، وعند وجوده لظرف خاص بالعمل ومبيته بالخارج يبعث لزوجته وأولاده سيارة بشرطي قبل حلول وقت حظر التجوال لنقلهم للمبيت عند والدتها وأخيها، لكنه اليوم قد قرر إعطاء راحة لنفسه للتفكير فيما هو أمامه ليلة المبيت بالمنزل.

نام أولاده وقد ظن أن زوجته خلدت للنوم هي الأخرى لكنه وجدها تدخل للمكتب مرتدية ملابس النوم يعتليها روب وجلست بالكرسي الذي أمامه وهي تقول:

-ما بك يا عزت لم كل تلك الأوراق، لقد خلدت للنوم بالفعل وقبل نومي أخبرتني أنك ستنام أنت الآخر ستعطي لعقلك بعض الراحة لكني استيقظت الآن وبعد ساعتين من نومي لأجدك ما زلت تعمل.

ترك الأوراق وأزاح النظارة من على عينيه وهو يفركهما قائلاً:

-آسف يا عزيزتي لكنك تعلمين جيداً ما أقوم به وأنت ترين بالفعل ما الذي تمر به مصر خلال تلك الأيام، لذلك نحن دائماً بالعمل ونتمنى فقط أن تمر تلك الأيام بخير.

أجابت زوجته:

-ياذن الله، لكن أنت رجل أمن وهذا عمل السياسة طبعاً بجانب الأمن، ولكني أجدك تبحث وتقرأ عن ماذا يا عزت؟

ضحك عزت ضحكة بسيطة وهو يقول:

-تريدين معرفة طبيعة ما أقوم به يا نهى؟ الأمر لا يختص بالعمل فقط بل يختص بزميل وأخ سابق.

قالها وقد بدا عليه ذلك التأثير فتذكرت وقالت:

-أيمن؟

-بالضبط.

قالها وهو يحاول إبعاد الحزن عن وجهه والتظاهر بالقوة قائلاً:

-أيمن كان لديه كل الحق يا نهى فيما قاله لنا، نحن جميعاً خذلناه وتركناه يسير وحيداً، وما النتيجة، ما حدث له، والنتيجة لنا كعقاب ما يحدث لنا الآن.

بدا على وجه زوجته عدم الفهم فأكمل:

-لقد خاض أيمن حربه بمفرده، كان يحاول أن يثبت لنا جميعاً وجود تلك الكيانات التي تتحكم بمصر والمنطقة العربية بل بدأ بالفعل في معرفة رجالها في مصر وعند طلب مساعدتنا جميعاً خذلناه ورؤساؤنا أوقوفه والآن يدفعون الثمن، ما يحدث وما يتم هو بتأجيج من تلك الكيانات الآن، ولقد أعيد فتح الملف الآن ونحاول مواجهتهم بما حمله أيمن لنا ولكن بعد فوات الأوان.

تساءلت نهى:

-ولماذا لم يستمع أحد منكم لأيمن؟

بدا الغضب على وجه عزت وهو يقول:

-أغبياء جميعهم حمقى ومن ليس أحقق منهم كان يعمل معهم كان الأمر حصاراً يا نهى لم يستطع أحد منا مجابته.

-لكني أقسم أنني لن أتركهم لقد حان الوقت ليسقط الجميع منهم، جاءت الثورة فليسقط كل منهم بدوره مثل قطع الدومينو.

وظهر على شاشة التلفاز خبر احتجاز بعض الوزراء السابقين اليوم للتحقيق معهم.

كان هو يشاهد التلفاز أمامه وتابع ما جاء على الشاشة..

بسم الله الرحمن الرحيم

«الأخوة المواطنون، في أوقات صعبة تمتحن مصر وشعبها وتكاد أن تنجرف بها وبهم إلى المجهول»

«أيها الأخوة المواطنون، لقد بادرت لتشكيل حكومة جديدة بأولويات وتكليفات جديدة تتجاوب مع مطالب شبابنا ورسالتهم، وكلفت نائب رئيس الجمهورية بالحوار مع كافة القوى السياسية حول كافة القضايا المثارة للإصلاح السياسي والديمقراطي.....»

«لم أكن أنتوي الترشح لفترة رئاسية جديدة، فقد قضيت ما يكفي من العمر في خدمة مصر وشعبها»

«إن حسني مبارك الذي يتحدث إليكم اليوم يعتز بما قضاه من سنين طويلة في خدمة مصر وشعبها، إن هذا الوطن العزيز هو وطني مثلما هو وطن كل مصري ومصرية فيه.»

خطاب مبارك ١ فبراير ٢٠١١

لا يشعر بأي اختلاف مما سمعه فهو يعلم أن وجود مبارك في سدة الحكم أو عدم وجوده لا يجعل لهذا اختلافًا، مَنْ يحكم يحكم بالفعل ومن يحرك بيادق قطع الشطرنج يحركها طبقًا لما يريد، وما مبارك ونظامه أو التيارات المعارضة سوى بعض قطع الشطرنج التي تتحرك على رقعة مصر، وهذا يسري أيضًا بجميع دول العالم، ما يريده هو أن يدخل لتلك اللعبة ويحرك تلك القطع أيضًا لحماية الرقعة فإن انتهى الجنود من على تلك الرقعة انتهى دورها باللعبة وألقيت بمهمات العين، وهو لن يسمح بذلك، سيدخل اللعبة شاء الطرف الآخر أم أبى وسيكون لاعبًا أساسيًا بها لحماية الرقعة وبعض قطع الجنود لتظل رقعة مصر على الخريطة مرة أخرى.

نظر مليًا مرة أخرى لمبارك على الشاشة قبل أن يغلق التلفاز..

٢ فبراير ٢٠١١

يقتحم العقيد عزت مكتب اللواء صلاح الششتاوي واللواء جالس على جهاز الحاسب الخاص به وقد صُعق مما فعله العقيد عزت فاعتذر العقيد عزت وهو يقول:

-ألا تشاهد ما يحدث يا سيادة اللواء؟

قالها وهو يشير إلى إحدى الشاشات والتي كانت تنقل تعقيب وكالة عربية حول ما يحدث بميدان التحرير:

-اندلعت الاشتباكات نهار الأربعاء حين حاول أنصار الرئيس مبارك دخول ميدان التحرير في وسط العاصمة بالقوة في محاولة منهم لإخراج الآلاف من المحتجين الذين يعتصمون هناك منذ أيام داعين إلى تنحي الرئيس. وقد تراشق الطرفان بالحجارة في معارك كر وفر استمرت ساعات. وبحسب روايات شهود العيان رمى مؤيدو مبارك في وقت لاحق بقنابل حارقة وقطع من الأسمنت على المعتصمين في ميدان التحرير من أسطح البنايات المجاورة وكانت قوات الجيش قد رفضت التدخل، ولكنها أطلقت النار في الهواء في محاولة منها لتفريق المتظاهرين. كما رفعت لافتات مناوئة لأبرز

وجوه المعارضة محمد البرادعي الذي شارك في التظاهرات المطالبة برحيل الرئيس المصري والتي أوقعت ٣٠٠ قتيل بحسب أرقام غير مؤكدة نقلتها الأمم المتحدة منذ اندلاعها واتهم المتظاهرون رجال شرطة بلباس مدني باقتحام الميدان والاعتداء على المحتجين على حكم مبارك، وعرض بعض المتظاهرين هويات لرجال شرطة سقطت من المقتحمين.

-في بداية الاشتباكات حاول بعض المؤيدين لمبارك اقتحام الميدان على ظهور الخيل والجمال أو على عربات تجرها الخيول وهم يلوحون بالسياط والعصي. سرعان ما تحولت بعض الشاحنات إلى حواجز بين المتراشقين بالحجارة، ومع استمرار سقوط الضحايا تحول ميدان التحرير إلى موقع لعلاج الجرحى.

هب اللواء صلاح واقفاً من مكانه قائلاً:

-كيف لذلك أن يحدث، كيف لذلك أن يحدث، كيف بعد التأثير حتى ولو الطفيف الذي حدث بعد خطاب الرئيس أمس أن يحدث ذلك؟

قالها وهو يمسك الهاتف طالباً عدة أرقام قبل أن يجيب على الطرف الآخر:

-أهلاً بك يا سيادة المشير، نعم رأيت ما يحدث؟ لذلك قمت بالاتصال بك، كيف هو الوضع الآن؟ جيد، جيد، أريد منك تنظيم الوضع جيداً بقوات الجيش وسأعاود الاتصال بك لاحقاً.

قالها وهو يخلق الهاتف فتساءل عزت:

-من له المصلحة لفعل ذلك، من له أن يقلب الطاولة بعدما بدأت الأمور تتخذ منحى الهدوء النسبي بعد خطاب الرئيس أمس أتظن سيادة اللواء أن الأمر متعلق بالعين؟

كان اللواء يسير بعصبية ذهاباً وإياباً واضعاً يده خلفه وهو يفكر ثم توقف وقال:

-من الممكن بالتأكيد أن يكون هذا هو شغل أحد الأذرع الخاصة بمنظمة العين وتم التنفيذ على أيدي أحد أذرع الداخلية السابقة لتلك المنظمة، ومن

الممكن أن يكون ذلك الأمر بفعل أحد القيادات السابقة بالدولة للانتقام من الرئيس بعد حله الحزب الوطني وبعد تشكيل وزارة جديدة، ويمكن أن يكون أحد التيارات الإسلامية والتي قد خشيت من تعاطف الشعب مع الرئيس بعد خطاب أمس، لكن الأمر في النهاية واحد والنتيجة واحدة وحتمية وما حدث قد حدث وأتوقع أن يكون تأثيره أقوى مما يظن البعض.

تساءل العقيد عزت قائلاً:

-وما توقعك سيادة اللواء للقادم؟

أجاب اللواء صلاح:

-تنحي الرئيس قريباً.

٢ فبراير ٢٠١١ ميدان التحرير

كان هو يسير خلف آثار دمار المخيمات واضعاً قناعاً واقياً من الدخان، الدخان حوله بكل مكان، بقايا الحجارة تمتد بطول الأسفلت، الرؤية صعبة بسبب الدخان، تسمع من حولك أصوات السعال الناتج من تأثير أدخنة الغاز ومن حوله ترى المصابين، البعض مصاب بالحجارة والآخر مصاب بطلق خرطوش جراء الاقتحام المفاجيء صباح اليوم للميدان، بعض المتطوعين يحملون مصاباً هناك وآخرون يعالجون مصاباً آخر هنا، الجميع يتكاتف لا فرق بين مسلم ومسيحي، ولا فرق بين تيارات دينية، والمستشفى الميداني يُسعف الجرحى جميعهم.

الدماء على الأسفلت، البعض يتألم والبعض ينتظر دوره، والبعض يُطعم الآخر، هناك دكتور ملتج يجفف دماء سيده ترتدي سلسلة صليب، وهناك شابة لا ترتدي حجاباً تداوي شيخاً.

مصر تراها بأبهى صورها في الميدان الآن، مصر التي حاول النظام الحاكم تفريقها وتشتيتها طبقاً لنظرية «فرق تسد» تراها هنا كاليد الواحدة.

ينظر من حوله وهو يفكر من قام بذلك؟

النظام وصل لمدى العند والتكبر والحماسة في السنوات الأخيرة بالفعل لكنه ليس بهذا السوء والمستوى من الغباء لكي يفعل تلك الفعلة خاصة بعدما بدأ البعض في التعاطف مع رأس النظام.

سمع أحدهم يناديه طلبًا للمساعدة لنقل مصاب، لكنه لا يلتفت لقد جاء ليتفقد الوضع بنفسه ويرى ذلك المشهد الذي لن يتكرر كثيرًا، فمجرد سقوط هذا النظام سينتقل الأمر من العين لمستوى آخر، مستوى لن يجعل هؤلاء مترابطين مرة أخرى.

يصل لقرب الطرف الشرقي للميدان، يلتف إليه وينظر إليه نظرة أخيرة قبل أن يسير مبتعدًا.

لقد قرر أبادون النزول لأرض اللعبة، لكنه ينتظر اللحظة المناسبة فقط، وهل هناك ما هو أنسب من لحظة تنحي الرئيس؟

يسيران بذات المنطقة على النيل، أحدهما يحمل مظروفًا بُني اللون، يأكلان الذرة المشوي، تراهما من بعيد تظن لوهلة أنهما صديقان منذ الدراسة قد جاء لتلك المنطقة لتذكر الأيام الخوالي، يستمتعان بوقتتهما مع نسيمات النيل الرقيقة، ويتوقف كلاهما بذات المكان فيقول أحدهما للآخر:

-أتعلم هنا فقط أشعر بوجودي، هنا ألقى من على عاتقي أي أمور، وأنظر للنيل أنسى ما بي تمامًا أعيش تلك اللحظات دون كلل أو ملل كثيرًا ما أتمنى أن أصطحب زوجتي لكنني أريد أن يكون هذا المكان خاصًا بي فقط حتى رفيقة دربي لم تره يومًا، أنت فقط يا صديقي من يشاركني تلك اللحظات.

يبتسم صديقه ويقول:

-وهذا يسعدني على الرغم من أن تلك المرة لم تخبرني بها إلا من نصف ساعة فقط ولولا تأكيدك على أهمية حضوري كنت سأعتذر.

يربت صديقه على كتفه قائلاً:

-صدقني تلك المرة مختلفة، وأعتذر عن تلك الطريقة التي أحضرتك بها لكن

كان لابد أن تكون مفاجأة حتى إن كان أحدهم يراقبني أو يراقبك يربكه
تحركنا ذلك ويظن أنه مجرد لقاء بين صديقين.

-إذا هي مقابلة عمل لذلك طلبت مني التأكد من كوني غير مراقب.

أوماً صديقه بالإيجاب وهو يناوله مظروفًا قائلًا:

-أريد منك أن تحتفظ بهذا، إن شاء القدر وحدث شيء لي أريد منك دراسته
بالكامل والتصرف به خير التصرف.

يتناول صديقه المظروف دون فتحه وهو يتساءل:

-وما الذي يحتويه هذا المظروف؟

يجيب:

-به كل شيء استطعت التوصل له منذ بدء الأمر، به كل شيء يستطيع تغيير
المسار الموضوع لتلك المنطقة بالكامل، أنا أثق بك وأنت الشخص الوحيد
الذي يمكنني ائتمانه على ذلك المظروف.

بيتسم صديقه وهو يقول:

-لا تقلق لن تحتاج لذلك، أنت من بدأت هذا، وأنت من سينهيه.

الأربعاء ٩ فبراير ٢٠١١

مدينة نصر (الساعة الثالثة صباحًا)

يخرج كريم من إحدى الشقق بذات العمارة التي يسكن بها، ومن خلفه تأتي
امرأة ترتدي ملابس تكشف أكثر مما تخفي وهي تقول له بدلال:

-سأشتاق إليك كثيرًا يا كيمو.

ينظر إليها موبخًا قائلًا:

-أأنت حقًا بهذا الغباء، ماذا إن رأنا أحد الآن؟ ادخلي لشقتك الآن وغداً بذات
الموعد سأنتظر منك رسالة لأتأكد من عدم وجود زوجك بالمنزل، حينها

سأحضر لكِ وأخبريني بما تودين أن تقوليهِ لي حينها.
بدا الحزن عليها وهي تقول بدلال:
-أهذا ردك؟ بدلاً من أن تقول لي أنك ستشتاق لي أيضاً؟
قال كريم بنفاد صبر:

-ندى، ادخلي الآن وسأتحدث إليكِ بالهاتف من شقتي.
بدا الفرح في عينيها قبل أن تطبع قبلة على خده قائلة:
-حسناً، ولن أنام حتى تتصل بي.

أوماً موافقاً وهو يقول:

-حسناً حسناً أعدك سأتصل بكِ، لكن ادخلي الآن وإلا لن أتصل.

حين سمعت ذلك لوّحت له مودعة قبل أن تغلق الباب فنظر للأدوار بالأعلى
ثم نظر إلى الأسفل حتى يتأكد أنه ليس هناك من يراقبه وهو يتمم لنفسه:
-يا لغباء النساء.

قالها وهو يصعد على أطراف أصابعه إلى شقته بالأعلى حتى وصل لباب
الشقة وكان يسمع صوتاً من الداخل، صوتٌ كأنها موسيقى قادمة فبدأ
بالبحث عن مفتاح الشقة وهو يحدث نفسه:

-يا لغبائي أنا تلك المرة، دائماً ما أترك التلفاز مفتوحاً.

قالها وهو يفتح الشقة الغارقة في الظلام ويحاول أن ينير الضوء فوجد أن
مفتاح الضوء لا يعمل فأنار الكشاف الخاص بهاتفه وهو يقول:

-يا لها من ثورة سوداء بكل شيء، لم نل منها سوى كل الخراب حتى الآن.

بدأ يسير إلى أن وصل لمفاتيح فصل الكهرباء فوجدها مغلقة ففتحها وهو
يقول:

-زيادة حمل الكهرباء كالعادة.

قالها وهو يستدير ليجد الجالس على مقعد غرفة المعيشة أمامه ببذلته الكحلية ممسكا بمسدس وهو يضع قدماً على الأخرى ويضع قبعة أعلى رأسه وبجانبه جهاز صوتي تصدر منه سيمفونية أوبرا قبل أن ينظر له كريم قائلاً في دعر:

-أنت؟

ابتسم أبادون وهو يقول:

-سمعتك تلحن الكثير والكثير يا كريم وتنعت البعض بالغباء حتى الثورة النظيفة تنعتها بالغباء والخراب، لكن إن أردت الحقيقة فحقاً ليس هنا غبي سواك أنت يا كريم، يا رجل كيف تكون جميع كهرباء المنزل مقطوعة وتسمع تلك الموسيقى بشكل عادي دون أن يثير ذلك بنفسك الريب، لا أعلم كيف أصبحت طبيباً نفسياً حقاً، لكن هذا هو نتاج مستوى التعليم المصري، إنه كان لابد من ثورة حقاً.

لم يجب كريم الذي وقف مذعوراً وأبادون يبتسم وهو يلوح بمسدسه قائلاً:
-أرأيت تأثير الفراشة يا صديقي، تعليم غير جيد تصبح أنت نتاج هذا التعليم طبيباً غير واع لما يدور حولك، لذلك كان لابد أن تقوم ثورة، ببساطة هكذا، كل اختيار أو فعل بعالمنا يؤثر في الآخر يا كريم، وأنت لن أحصي لك عدد الأفعال التي لا تقوم بها.. بالحق كيف حال ندى؟ أرى أنك تأخرت عليها بالاتصال الذي وعدتها به.

بدا الخوف أكثر على وجه كريم الذي تساءل:

--ندى؟ كيف لك أن تعلم بشأن ندى.

أشار أبادون له بإصبعه بالصمت، فسكت كريم وبدا أبادون مستمعاً بالمعزوفة الموسيقية التي تنشده من الجهاز قبل أن يقول باستمتاع:

-حقاً رائعة تلك المقطوعة رائعة بالفعل، لم أحصي العدد الذي سمعتها فيه لكنها ترتبط معي بذكريات رائعة حقاً.... أجمل سيمفونية أعشقها «قداس الموت».

بدا الخوف على كريم الذي صرخ:

-لا لا ليست تلك المقطوعة.

أشار له أبادون بالصمت وهو يشير بسلاحه قائلاً:

-أرجوك يا كريم ألا تكررهما مرة أخرى، أريد أن يطول حديثنا أكثر لم العجلة منك.

صمت كريم وهو يرتجف فوقف أبادون وهو يسير متراقصاً فاردًا ذراعيه بجانبه وهو يقول:

«وامنحهم الراحة الأبدية، يا رب، وربما ضوء دائم يلمع عليهم. أنت يا إلهي، وإنشاد الفن في سيون، وإليك يجب أن يتم النذر في القدس. اسمع صلاتي. منحهم الراحة الأبدية، الرب، وربما ضوء دائم يلمع عليهم»

كان أبادون يغني مع السيمفونية قبل أن يقترب من وجه كريم ملامسًا وجهه بمسدسه قائلاً:

-واو.. انظر من يرتجف الآن هلعًا من قطعة سيمفونية رائعة كتلك.

رن هاتف كريم فأمسكه أبادون من يده وهو ينظر ويتسم قائلاً:

-رائع إنها ندى يا صديقي، ما رأيك بأن تطلب منها الحضور إلى هنا، حقًا لم تخبرني كيف حال ندى يا كريم؟ يا رجل أتستغل عمل زوجها كشرطي وتخونه مع زوجته، أتعلم أنا أرى في ذلك فلسفة أيضًا، الكثير منهم يستحق ذلك يا صديقي لكن البعض الآخر لا يستحق ذلك، لكن هذا لا يمنع أن أقدر جرأتك فقط في العلاقات النسائية، تتعامل مع نساء جيرانك وزوجها الشرطي دون خوف أو خجل برافو حقيقة لك مني كل التحية على تلك الجرأة.

قالها أبادون وهو يصفق له فبدا كريم مبهوتًا وأبادون يشير له بمسدسه على الهاتف الخاص به قائلاً:

-ها ما رأيك لنجعلها صحبة حتى الصباح وستكون ليلة لا تنسى مع تلك السيمفونية السعيدة.

بدأ كريم بالحديث متلعثماً وهو يقول:

-ما..ذا تريد مني، اتركني أرجوك أنا لم أفعل شيئاً.

كان صوت السيمفونية يتصاعد وأبادون يتمتم معها قبل أن يعاود الجلوس على المقعد ليقول:

-لنقل يا صديقي أن لديّ وجهات نظر مختلفة معك منذ تقابلنا سابقاً، أنت قمت بإهانة الموسيقى أمامي كما قمت بالسخرية من الدكتوراة آمال، وكلاهما أمرهما ذو أهمية عندي، لذلك حتى لا تكون بيننا ضغائن تقبل مني تلك الهدية الصغيرة يا عزيزي.

قالها وهو يطلق رصاصة صامته من كاتم الصوت ومفاجئة نفذت من رأس كريم الذي اتسعت عيناه وسقط جثة هامدة قبل أن يعاود هاتفه الاتصال فابتسم أبادون وهو يزيد من صوت السيمفونية قبل أن يضغط على زر الإجابة على الهاتف ويتركه وهو يسمع صوت ندى على الطرف الآخر تقول:
-ألو ألو ألو.

أما أبادون فقد ترك جثة كريم خلفه مع جهاز التسجيل والسيمفونية تردد:

Grant them eternal rest, O Lord, and may perpetual light shine-
on them. Thou, O God, art praised in Sion, and unto Thee shall
the vow be performed in Jerusalem. Hear my prayer, unto Thee
Lord, and may ,shall all flesh come. Grant them eternal rest
perpetual light shine on them

يوم الخميس ١٠ فبراير ٢٠١١

مكتب اللواء صلاح الششتاوي:

يجلس اللواء صلاح مجتمعاً مع اللواء س/ع في اجتماع مغلق حول الوضع بالدولة، وبالخارج ينتظر العقيد عزت ذلك الاجتماع المغلق وهو يرى حارس

اللواء س/ع ينتظر هو الآخر خروج سيادة اللواء، وظل الأمر ما يقارب الساعة ونصف حتى وجدا الباب يفتح واللواء س/ع يصطحبه اللواء صلاح مودعاً قبل أن يرى اللواء س/ع العقيد عزت جالساً فذهب إليه ليصافحه فهب العقيد عزت لمصافحته هو الآخر واللواء س/ع يقول:

-كان الله في عونكما اقترب الأمر وسيشرح سيادة اللواء صلاح الأمر بالكامل. قالها مودعاً إياه وحارسه يتبعه وحينها أشار إليه اللواء صلاح بدخول المكتب فتبعه المقدم عزت واللواء صلاح يقول:

-بعد التطورات التي حدثت خلال الأيام الماضية وعلى الرغم من الإجراءات التي أشار بها سيادة اللواء عمر سليمان على سيادة الرئيس لكن ظل الأمر كما هو بل وازداد الأمر من قبل الطرفين وبالطبع انسحاب الشرطة أثر كثيراً على الموقف.

تساءل العقيد عزت:

-هل انسحاب الشرطة انسحاب اتفاقي، أم أنه غير مدروس؟ بمعنى قرار من قبل أفراد الشرطة كل على حدة.

جلس اللواء صلاح على الأريكة بزاوية المكتب وهو يشير إلى العقيد عزت بالجلوس والذي جلس واللواء صلاح يكمل:

-ما علمناه أن الأمر كان من أحد أفراد الحرس القديم بالحزب الوطني من له إصدار القرارات، تباحث مع وزير الداخلية السابق لانسحاب رجال الشرطة، كان يرى أن ذلك سيجعل الثائرين يعودون إلى منازلهم، لكن الأمر أصبح على النقيض نظم الشعب ذاته وتم عمل بما يسمى اللجان الشعبية.

انعقد حاجبا العقيد عزت وهو يسأل:

-الآن تم تغيير وزير الداخلية بوزير آخر جديد، لم لا تعود الشرطة الآن.

أجاب اللواء صلاح:

-سيكون أكبر خطأ هو عودة الشرطة الآن، الشرطة الآن بحالة عداء متبادل مع

الشعب، والشعب قد يجعل الأمر يتصاعد بينه وبين الشرطة، ستكون أشبهه بحالة حرب بين الشعب والشرطة، الشرطة ترفض أن تتنازل عن كبريائها والشعب يرفض ما كانت تقوم به الشرطة، أي أن كلا الطرفين لن يتنازل.

-لكن عدم تواجد الشرطة في تلك الفترة الحرجة قد يؤدي إلى كارثة.

أشعل اللواء صلاح سيجارة وهو يقول:

-ووجودهم قد يؤدي إلى كارثة أكبر، لذلك جعلت الأمر بيد الجيش الآن، وما يجعل الأمر سهلاً على الجيش وقياداته هو تناغم الشعب معهم على النقيض من الشرطة، ولا تقلق على المدى البعيد لديّ الخطة الكاملة التي نستطيع من خلالها إعادة مكانة الشرطة مرة أخرى وستكون بداية تلك الخطة من انسحاب الشرطة الآن من مواقعها وجعل الجيش هو من يتولى المسؤولية الآن.

تفهم العقيد عزت الحديث قائلاً:

-لذلك كان اللواء س/ع هنا.

أوماً اللواء صلاح برأسه وهو يقول:

-كان ذلك جزءاً من حديثنا، الوضع الآن أوشك على النهاية لذلك كان الأمر مناقشة حول تشكيل مجلس عسكري يقود البلاد في حالة تنحي الرئيس عن الحكم وسيتم نقل السلطات لهذا المجلس لإدارة شؤون البلاد، وبالطبع كان تواجد اللواء س/ع ليطلعنا على تشكيل المجلس والمستجدات أولاً بأول، ولكن هناك خطوة ستسبق ذلك.

قالها ممسكاً ريموت التليفزيون الذي أمامه وهو يرفع من صوته حتى جاء أحد المذيعين بقناة مصرية ليلقي بياناً عاجلاً عن خطاب من الرئيس مبارك:

-بسم الله الرحمن الرحيم.. الإخوة المواطنين، الأبناء شباب مصر وشاباتنا، أتوجه بحديثي اليوم لشباب مصر بميدان التحرير وعلى اتساع أرضها، أتوجه إليكم جميعاً بحديث من القلب، حديث الأب لأبنائه وبناته.. أقول لكم إنني أعتز بكم رمزاً لجيل مصري جديد يدعو إلى التغيير إلى الأفضل ويتمسك به

ويحلم بالمستقبل ويصنعه.

أقول لكم قبل كل شيء، إن دماء شهدائكم وجرحاكم لن تضيع هدرًا، وأؤكد أنني لن أتهاون في معاقبة المتسببين بها بكل الشدة والحسم، وسأحاسب الذين أجرموا في حق شبابنا بأقصى ما تقرره أحكام القانون من عقوبات رادعة.

ظل الخطاب لمدة تقارب العشر دقائق ثم تبعها تعقيب عن بيان آخر من نائب الرئيس:

- ألقى نائب الرئيس عمر سليمان خطابًا بعد الرئيس مناديًا فيه المتظاهرين بالعودة لديارهم منوهاً إلى عدم رغبة الرئيس مبارك بالسلطة والأمر قد بدأ باتخاذ إجراءات إصلاحية ودستورية مع انتخابات مجلس شعب جديدة وانتخابات رئاسية بالقرب العاجل.

أنهى المذيع البيان ثم أدار اللواء صلاح المؤشر على قناة إخبارية أخرى ووجد العقيد عزت إعلاناً أخبارياً بوجود نبأ عاجل من الجيش المصري منذ قليل فقال اللواء صلاح:

-تلك آخر محاولة كانت منذ ساعة من الآن لكن الأمر أصبح كما هو بل ازداد الشعب حنقًا، الأمر منته والشعب لا يريد دقيقة أخرى بعمر هذا النظام، مبنى الحزب الحاكم تم تدميره وحرقه، تم تعيين سيادة اللواء عمر سليمان نائبًا وهو مطلب شعبي منذ تسعينيات القرن الماضي وتم رفض الأمر، لكن كان البيان منذ قليل محاولة أخيرة لإبقاء هذا النظام، مجرد محاولة يائسة، أما عن السبب الرئيسي لتواجد اللواء س / ع هنا فهذا النبأ بعد قليل.

ظهر على التلفاز المشير محمد حسين طنطاوي في اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة ودون أن يظهر الرئيس محمد حسني مبارك على رئاسة ذلك الاجتماع وهو أمر مخالف طبقاً لرئاسته للمجلس الأعلى للقوات المسلحة، ثم بدأ أحد المذيعين يلقي البيان:

-انطلاقاً من مسئولية القوات المسلحة والتزاماً بحماية الشعب ورعاية

مصالحه وأمنه وحرصًا على سلامة الوطن والمواطنين ومكتسبات شعب مصر العظيم وممتلكاته وتأكيدًا وتأييدًا لمطالب الشعب المشروعة، انعقد يوم الخميس الموافق العاشر من فبراير ٢٠١١ المجلس الأعلى للقوات المسلحة لبحث تطورات الموقف حتى تاريخه، وقرر المجلس الاستمرار في الانعقاد بشكل متواصل لبحث ما يمكن اتخاذه من إجراءات وتدابير للحفاظ على الوطن ومكتسبات وطموحات شعب مصر العظيم.

سمع اللواء صلاح والعقيد عزت البيان وبعدها خفض اللواء صلاح صوت التليفزيون وهو ينظر للعقيد عزت ويقول:

-تلك هي بداية النهاية وخلال اليومين القادمين ستستمع إلى بيان تنحي الرئيس حسني مبارك.

صمت العقيد عزت قليلاً ثم قال:

-ليكن الله في عوننا جميعًا، مصر بدأت تأخذ أخطر منحنياتها بالعصر الحديث وما أخشى منه هو مرحلة ما بعد مبارك.

أجاب اللواء صلاح:

-بالفعل هذا ما أخشى منه خاصة مع وجود القوى الإسلامية الآن والتي ظهرت بقوة وحصلت على الدعم الشعبي الكامل، هذا تاريخها على مر الزمان، استغلال الأوضاع للحصول على التأييد الشعبي، ولم يعد ممكناً الآن اعتقالهم في ظل الحرية التي ينادي بها أفراد الشعب وإن تعامل الجيش بخلاف ذلك بالاعتقال أو تصفية العناصر الرئيسية لتلك القوى سيكون ذلك حرقاً لما تبقى لنا من الكروت وهو مساندة الشعب للقوات المسلحة، القوات المسلحة هي الأمل لنا الآن بتحريك القاعدة الشعبية ولا نريد خسارتها، لديها مهام وخطط طويلة الأجل سنعمل عليها لاحقاً للسيطرة على البلاد.

-ولا نريد أن ننسى تلك القوى الشبابية الجديدة والتي تحاول حكم البلاد، وسيكون الصراع ما بين تلك القوى الشبابية وبين الحكم الإسلامي، وهو ما سنقوم باستغلاله لصالحنا بشكل كامل، سنتلاعب بهم سنجعلهم البيادق ونحن من نحرك قطع الشطرنج. مَنْ أخشى منه فقط هو مَنْ أواجهه، حقا هو

ذلك الظل تلك المنظمة، جمعية العين، تحركاتها بدأت تتشكل بسوريا كما لو كان هناك مكتب إقليمي خفي هنالك نحن نراقب تحركاتها الخارجية جيداً، وأيضاً شملت تلك التحركات ليبيا واليمن والعراق، لكن لندع كل ذلك بوقته ولننتظر فقط توقيت التنحي وحينها سنبدأ بما علينا فعله، ولكن أخبرني ما هي أخبار جمعية العين؟.

تنهد العقيد عزت وهو يقول:

- لقد أتيت لسيادتك لأطلعك بآخر أخبار رجال العين هنا، لقد وجدنا الرائد علاء أو بالأحرى جثته بأحد البيوت المهجورة بمدينة ريفية صغيرة بمنطقة جنوب القاهرة، ولقد وُجِدَت جثته وقد ذبح بسكين حاد من عنقه، كما تم جرح وجهه قطعياً بجانب فمه وهو معلق من قدمه بسقف إحدى الغرف بهذا البيت، وتم اكتشاف الأمر عن طريق أحد البلاغات من سكان تلك المدينة بعدما وجد ذلك البيان والذي يناشد المواطنين بالإبلاغ عن أي أشخاص من المطلوبين جنائياً بعد حادثة فتح السجون وكان بلاغه حول تردد أحد الأشخاص المجهولين عن تلك البلدة على هذا المنزل القديم، لكن الجميع كان يخشى البيت من قبل وجود ذلك الغريب وحتى بعد وجوده أصبحت الخشية أكبر. ومما قيل إن هذا الشخص لم يكن يتردد على المنزل كثيراً فخلال ستة أشهر تردد فقط مرة أو مرتين كل شهر وليس أكثر، كما أنه كان يُخفي وجهه بعمامة وهو ما جعل أهالي تلك البلدة يظنون أنه أحد المطلوبين الفارين من فتح السجون.

قالها عزت وهو يعطي اللواء صلاح ملفاً به صورة للمنزل المهجور، كما وُجِدَت صورة أخرى لجثة علاء، وقد بدا عليها الجفاف والتحلل لعدم دفنها خلال تلك الفترة، كما بدت بقايا الجرح القطعي بجانب فمه على وجهه المتبقي، فنظر إليها اللواء صلاح ملياً ثم قال محدثاً نفسه:

- جرح قطعي على شكل ابتسامة، من هذا المختل الذي قد يفعل ذلك؟

-أبادون يا سيدي؟

ردد اللواء صلاح مستنكراً:

-أبادون؟

أوما العقيد عزت برأسه قائلاً:

-نعم وذات الأمر تلك المرة كما في المرات السابقة وُجد جهاز صوتي به سيمفونية قداس الموت كما بالمرات السابقة أيضاً لكن الجهاز كان قد انتهى الشحن الخاص به حينما وجدناه.

كانت على اللواء صلاح علامات التفكير وهو يقول:

-من الوارد يا عزت ألا يكون أبادون هو من فعل ذلك، من الممكن أن تكون العين وقد أرادت أن تلتصق التهمة بأبادون فسارت على نهجه في تلك الجريمة.

-وارد جداً يا سيدي.

صمت اللواء صلاح قليلاً ثم أردف:

-كيف علمتم أنها جثة الرائد علاء بعد التحلل الذي طرأ عليها؟

أجاب العقيد عزت قائلاً:

-جميع أوراق هويته معه وبعدهما تفصحنا هويته قمنا بعمل تحليل لبصمته الجينية ومقارنتها بملف الرائد علاء وقد وجدنا أن الأمر متطابق بالفعل.

زفر اللواء صلاح نفساً آخر وهو يقول بتوتر:

-كما كان متوقعاً ستبدأ العين بتصفية الصغار مع بداية تحركات للرجال الكبار وانضمام عناصر أخرى جديدة لهم، لكن هل هناك أية أخبار عن الوسيط بين علاء وبين العين، هل وجدتم أبادون أو جثته؟

نفى العقيد عزت الأمر برأسه وهو يقول:

-ليس هناك أي أثر لأبادون أو جثة خاصة به، كما للأسف لم يكن هناك أي ما يدلنا عن الوسيط بين العين والرائد علاء.

ألقي اللواء صلاح الملف والصور على المنضدة التي أمامه وفرك وجهه بكفيه

وهو يقول:

-هذا ما كنت أخشاه نتحرك ونُحاصر داخليًا وخارجيًا، العين لديها رجالها بجميع المؤسسات بالدولة وبجميع التيارات سواء إسلامية أو مدنية، كل ما أريده الآن ان نتوصل لأبادون هذا قبل أن يحصل عليه رجال العين.

ارتفع رنين الهاتف المكتبي فذهب اللواء صلاح ليحيب على الهاتف:

-وعليكم السلام يا افندم..... غدًا بإذن الله..... أعاننا الله على ما هو قادم....
شاكر لسيادتك.... في أمان الله.

أغلق اللواء صلاح الهاتف وهو ينظر للعقيد عزت قائلاً:

-غدًا سيتنحى الرئيس مبارك عن الحكم، انتهى الأمر وبدأت لعبة البيادق بيننا وبين العين على رقعة مصر.

«وامنحهم الراحة الأبدية، يا رب، وربما ضوء دائم يلمع عليهم. أنت يا إلهي،
وإنشاد الفن في سيون، وإليك يجب أن يتم النذر في القدس. اسمع صلاتي.
منحهم الراحة الأبدية، الرب، وربما ضوء دائم يلمع عليهم»

الفصل السادس

١١ فبراير ٢٠١١

«سيداتي سادتي نقدم لكم الآن بياناً هاماً من رئاسة الجمهورية» ...
يظهر اللواء عمر سليمان لیتلو ذلك البيان قائلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم..
أيها المواطنون.. في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد، قرر الرئيس
محمد حسني مبارك تخليه عن منصب رئيس الجمهورية، وكلف المجلس
الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شؤون البلاد، والله الموفق والمستعان».

١١ فبراير ٢٠١١

«في هذه اللحظة الفارقة من تاريخ مصر وبعد قرار الرئيس مبارك بالتنحي
وتكليف القوات المسلحة بإدارة شؤون البلاد، ونحن نعلن جميعاً مدى
جسامة الأمر أمام مطالب شعبنا العظيم لإحداث تغييرات جذرية، ما يحدث
ليس بديلاً عن الشرعية التي يرتضيها الشعب»
«ندرس اتخاذ خطوات لتحقيق طموحات الشعب».

بيان المجلس العسكري عن استلام السلطة..

١١ فبراير ٢٠١١

الجمهورية اليمنية:

زيادة الاحتجاجات بالعاصمة اليمنية صنعاء مع وجود قوات الرئيس علي عبد
الله صالح الذي يرفض التنازل عن الحكم ويعلن تمسكه بالسلطة وازدياد
الغضب الشعبي جراء ذلك.

الساعة الحادية عشرة - ميدان التحرير

الاحتفالات تتوالى، فالיום بدأ عصر جديد بمصر، سقط النظام، وتنازل مبارك عن الحكم.

البعض غير مصدق حتى الآن، الآن ستُرى وجوه أخرى بالحكم، والبعض الآخر يرفض التصديق، لقد وُلد وعاش وظن أنه سيموت ومبارك على رأس الحكم، هكذا ظن، كيف لأحد ثوابت الحياة أن تتغير هكذا؟، غدًا يوم بدون مبارك، لقد شارك بالثورة مندفعًا في البداية بهذا الحدث الكبير، ثم انقلب الاندفاع والحماس لحب الوطن والرغبة في التغيير، لكنه الآن حدث لقد أصبح واقعًا، مبارك لم يعد موجودًا وسيتم انتخاب أول رئيس مدني منتخب، الجيش انحاز للشعب وأخيرًا تحقق الحلم، أخيرًا تم هدم الصنم المباركي.

ترى هناك من يمسك الهلال والصليب معًا، ومن يصلي من الشيوخ ويحيطهم أصحاب العقيدة المسيحية لحمايتهم.

في الجهة الأخرى تبتسم عندما ترى من يمسك تلك الورقة ليجمع ويحسب نصيبه من السبعين مليار دولار تلك التركة المباركية التي أعلنت عنها بعض وكالات الأنباء، وبدأ بعض الأفراد بحساب نصيبه من تلك التركة التي ستعود إليهم.

غدًا ستصدر الصحف جمعيتها بعنوان واحد:

«الشعب أسقط النظام»

كان الجميع يحتفل، لكن كان هناك شخص ينظر للجميع من أعلى، يبدو على وجهه الحزن الذي لا يعلم سببه، هل هو يشعر بالشفقة على هذا الشعب الذي يسعى لنيل حرته وكرامته المسلوبة منه على مدار ٦٠ عامًا؟، هذا حقه بالتأكيد لكن هذا الشعب للأسف لا يعي أن القادم أصعب، لا يعي أن وجود هذا النظام الذي تم إسقاطه أو نظام معارض أو تيار مستقل لن يغير من الأمر شيئًا، جميعهم كانوا وسيظلون قطع شطرنج يتبارز بها لاعبون، حتى الأنظمة ذاتها لعبة يتبارز بها رجال منظمات العين على مدار تاريخه بأكمله، ستجعلك تشعر بأنك المتحكم، ستجعلك تطغى، ستجعلك تتماهى في ديكتاتوريتك، لكن الحقيقة الوحيدة أنك لست المتحكم الحقيقي، الأنظمة ليست إلا دمي

يتلاعب بها رجال العين، مجرد قطع دومينو، لكن التساؤل الحقيقي هو: هل اجتماع جميع المنظمات تحت لواء واحد وغرض واحد يعني انتهاء تلك المباراة وقلب اللعبة من جانب واحد لتصبح الشعوب مجرد دمية يحركها ويتلاعب بها أفراد منظمات العين؟، أم أن الأمر يتمخض عن لاعب جديد وطرف جديد ليتبارز معهم؟.

-غداً سيفصح عن كل شيء، لكن أبادون لن يقبل سوى أن أكون متبارزاً أمامهم.

قالها وهو يعيد تنسيق قفازه الأسود ثم يتحسس مسدسه ويضع كاتم الصوت له قائلاً:

-لندع ما سيحدث غداً لغد، ولنكون الآن مع موعدنا بالاحتفال.

قالها وهو ينظر نظرة أخيرة للميدان ثم تحرك مختفياً من المكان بأكمله.

تمر الطائرات الحربية والمروحية بأعلى ميدان التحرير للاحتفال مع الثوار بثورتهم، الجميع بمن فيهم من كانوا بالطائرات يحتفلون، البعض فقط كان حزيناً والبعض الآخر من أنصار النظام كان يبكي، لكن الأغلبية تحتفل بميلاد مصر من جديد، الطائرات تحلق وتستعرض بسماها ميدان التحرير إلا طائرة واحدة كانت تمر على الميدان لتتجاوزه بطريقها لمقر وزارة الدفاع.

يمكنك بتلك الطائرة اللواء صلاح والعقيد عزت والتي تقلهما لمقابلة عاجلة باللواء عمر سليمان وأعضاء المجلس العسكري المصري لوضع التصورات حول المرحلة المقبلة مرحلة ما بعد مبارك.

ينظر اللواء صلاح من زجاج الطائرة على الجموع التي تحتفل بميدان التحرير ويقول للعقيد عزت:

-يا له من مشهد لم أر مثله من قبل، ويا لها من فرحة وحماسة لم أرها منذ تحرير سيناء، فرحة هذا الشعب لا تقدر يا عزت، لكن الخشية كل الخشية ممن سيحاولون استغلال ذلك.

نظر العقيد عزت أيضاً للميدان وهو يقول:

-سيادة اللواء، جميع حديثك يتمركز حول خشيتك من أعضاء منظمات العين لكنك لم تطرق بحديثك أبداً حول لأعضاء الجبهة الداخلية، التيارات الإسلامية التي نالت حرقتها أخيراً وأطماعها نحن نعلمها جميعاً.

ابتسم اللواء صلاح وهو يعتدل بجلسته قائلاً:

-أنا لا أخشاهم على الإطلاق، انظر يا عزت وهذا حديث بيني وبينك عن قناعة شخصية، أنا أعلم أطماعهم جيداً، وأطماعهم تتجاوز الثمانين عاماً للحكم، ليس حكم مصر، بل كما يرون حكم العالم أجمع، سأقول لك إنه حلم مشروع ومباح لكن ليس في هذا الزمن وليس مع هؤلاء الأشخاص بكل أسف، حكم مصر لا بد أن يظل تحت أيد أمينة قوية، والوضع حولك مشتعل خارجياً وكاد أن يشتعل داخلياً، ونرجو من الله ألا يأتي اليوم ليشتعل داخلياً، التيار الإسلامي تيار سهل التلاعب معه وإن أوقفناه الآن سيزداد شعبية وبطولة أمام الشعب وهو ما سيؤدي إلى طريق صعب الرجوع منه وتوتر العلاقة بين الشعب والجيش وهو آخر الآمال التي نتمسك بها لإنقاذ مصر.

تساءل العقيد عزت:

-لكن يا سيدي كيف سنتصرف مع التيار الإسلامي؟ وجودهم يعني انتقال السلطة لهم بالتأكيد نظراً لقدرتهم وخبرتهم في كسب الشعب من حولهم، كما أنهم التيار الوحيد المنظم بمصر الآن وهذا ما يعني اكتساحهم لأي تيارات منافسة أخرى، هل سنخلق تيارات منافسة لهم أم أننا سنتعامل معهم بنظرية فرق تسد؟.

ابتسم اللواء صلاح وهو يقول:

-لا هذا ولا ذاك سيفيد مع التيار الإسلامي، أنت قلتها الآن يا عزت، التيار الإسلامي أشد التيارات قوة وتنظيماً بمصر الآن، لكن لنقل إنني سأتبارز معهم بأسلوب آخر دعني ألقى سؤالاً عليك.

صمت العقيد عزت واللواء صلاح يكمل:

-إن كان ابنك لا يريد النوم ويريد دمية بشدة وإن لم يأخذها لن يهدأ ولن ينام فما الذي سوف تفعله؟

صمت العقيد عزت فأجاب اللواء صلاح:

-أعطيه تلك الدمية حتى يهدأ وحتى ينام ثم أسترجمها منه مرة أخرى دون أية أضرار، أفهمت الآن؟

ابتسم العقيد عزت مبادلاً إبتسامة اللواء صلاح قائلاً:

-تقريباً، ولكن كيف سيتم ذلك؟

أجاب اللواء صلاح:

-حينما نصل سترى.

قالها والمروحية تصل للعباسية.

١٢ فبراير ٢٠١١ (الساعة الواحدة بعد منتصف الليل)

منطقة التجمع الخامس

هدوء تام بالمنطقة، والساعة تقارب الواحدة بعد منتصف الليل، هناك من يحتمي بمنزله خوفاً من بطش الشعب بعد ثورته وأن تقوم ما يقال عنها ثورة الجياع، الجميع يحذر من غضب الشعب لذلك الكل أصبح يلتزم منزله لا يبرحه، البعض نائم والبعض قلق ولا يزال مستيقظاً.

أما بفيلا صبري الورداني فكان يجلس يتابع ما يحدث على شاشة التلفاز، كان يبدو بغاية السعادة والفرح بل والاحتفال، حتى أن آمال ابنته قد تفاجأت برد فعله، فالأمر مختلف عما كانت تظنه، فوالدها أحد حرس النظام القديم كيف له أن يحتفل هكذا بسقوطه، كانت تظن أنها سترى القلق، بل كانت تخمن محاولته للهروب من البلاد، فكيف له أن يكون بهذه الأريحية والفرحة لسقوط الغطاء الذي يحميه؟.

نظرت آمال للاحتفالات على الشاشة ثم نظرت لوالدها الذي تبدو عليه

مظاهر الفرحة فسألته:

-كنت أخمن أن ما حدث قد يقلقك يا أبي أو يجعلك تخشى القادم، لكنني أرى منك على العكس تمامًا السعادة، كما لو كنت أحد الثوار المشاركين بتلك الثورة وليس من المحسوبين على النظام.

كان صبري يسير باتجاه ركن المشروبات بالصالة لديه فقال وهو يصب له بعضاً من مشروب كحولي قائلاً:

-الحقيقة يا ابنتي ليست كما تظهر دائماً، نعم كانت لي علاقات وعلاقات قوية مع رجال النظام، لكن نحن كرجال أعمال لدينا علاقات مع كافة الأطراف يمكن أن تكون علاقتي مع رجال النظام البائد جزءاً منها، لكن من الممكن جداً أن يكون لدي علاقات أقوى مع أطراف آخرين وأقوى من ذلك النظام. أخذ الكأس وارتشف رشفة منه وهو يقول:

-مجال التجارة والأعمال ليس له قلب يا عزيزتي، كما أن حقيقته ليست واحدة دائماً، الحقيقة به متعددة ومتشعبة، دائماً والدك يفوز، هذا هو والدك الذي يدعوك للافتخار به.

بدا الضيق على وجه آمال التي تحدثت قائلة:

-قبل أن أنسحب من موضعي، لأنك كما تعلم يا أبي أنني أرفض التواجد حين تشرب، أريد أن أسالك سؤالاً واحداً.

أبعد صبري الكأس من يده وهو يقول:

-إن كان يضايقك سأتركه، ما هو سؤالك؟

قالت آمال وهي تلوح بيدها بلا داع لذلك:

-لا لا الأمر خاص بك كما تعلم يا والدي نحن لا نتدخل فيما يخص المساحة الخاصة لحرية كل منا، كما أن الوقت قد تأخر بالفعل وأريد الذهاب للنوم، لكن سؤالي لك وأرجو أن تجيب عنه بكل صراحة، واعتبر ذلك كجزء من احتفالك، هل تربطك علاقة بمن يسمى أبادون؟ وإن كانت تربطك علاقة به

فهل تعلم أين هو الآن؟

تنهد صبري قبل أن يقول:

-انظري يا ابنتي، كما قلت لك منذ قليل علاقاتي متشعبة وأعلم الكثير بحكم عملي وأبادون هذا شخص مختل عقلياً لديه بعقله عقدة دائمة من نظرية المؤامرة، يرى أن مصر تُحكم منذ زمن من عدة جهات خارجية وأن السلطات التي لدينا تعمل لصالحهم وهناك أشخاص ينفذون الخطط لتلك الجهات داخل مصر، أما هو فيدعي أنه المخلص المنقذ لمصر وحامي الشعب، فقام بعدة عمليات قتل أظنك قد اطلعت عليها بحكم وظيفتك وعملك، وسترين أنه قد قتل أناساً لا يمتون بصلة لأية جهة سياسية أو غيرها، بل وبعضهم رجال دين، أبادون هو مجرد مريض نفسي ليس أكثر، أما عن مكانه الآن فلا أعلم، كل ما أعمله أن جهات التحقيق أرادت التحفظ عليه خلال فترة الثورة وقد اختفى ولا أحد يعلم عنه شيئاً.

قالها وهو يصب كأساً آخر له فبدا الذهول على وجه آمال وهي تسأل:

-كيف لك أن تعلم مثل كل تلك المعلومات ولماذا لم تخبرني بكل ذلك من قبل، ولماذا أبعدت عني تلك القضية، لقد سمعتك وأنت تطلب إبعادي من تناول ملف أبادون لماذا؟

بدا الهدوء على وجه صبري وهو يرتشف رشفة أخرى من الكأس قائلاً:

-هناك بعض الأسئلة يكون الجهل بإجاباتها خيراً من معرفة الإجابة ذاتها، لذلك لا تشغلي بالك يا بُنتي بأجوبة لن تفيدك بشيء.

سكتت آمال وقد شعرت أن والدها ينهي المناقشة فأستأذنت منه للصعود لغرفتها فلم ترد أن يتطور بينهما النقاش، فهي تعلم والدها عندما يُنهي موضوع النقاش جيداً.

دخلت غرفتها وأبدلت ملابسها بملابس النوم ثم استلقت تنظر للسماء من نافذتها، وعلى الرغم من برودة الجو إلا أنها كانت في كثير من الأحيان تفتح نافذتها لتشعر ببعض الحرية بعدما جعل والدها المنزل كالسجن بالحراسة

المشددة من عدد الحراس الذي أتى بهم لحراسة المنزل. لم تكن تعلم هل يخشى شيئاً، وهل هو متورط بشيء ما؟ ما قاله اليوم يؤكد ذلك تقريباً، فكيف علم بكافة ما قاله عن أبادون حتى ولو كانت علاقاته قوية مثلما قال؟ هذا شيء وأن يعلم كافة تلك التفاصيل عن أبادون شيء آخر، كانت تنظر للسماء والهواء البارد يضرب وجهها وتفكر دون أن تجد إجابة لما تفكر به وأهم أسألها التي تود أن تعلم إجابتها: أين هو أبادون؟

أما صبري الورداني فكان يُجري عدة اتصالات وهو سعيد بما يحدث أمامه على الشاشات، وبدت سعادته تزداد أكثر وأكثر مع كل إجراء هاتفي يقوم به إلى أن قاربت الساعة الثانية صباحاً فأغلق حينها صبري التلفاز وهو يصعد لغرفته ممسكاً بكأس من شرابه وهو يدندن لحناً لأغنية وطنية قديمة. دخل صبري غرفته وهو يضيء النور الخافت وما زال يدندن بلحنه ثم تحدث لنفسه:

-لا أعلم بم تفكرين يا بُنتي بالضبط، ما شأنك وشأن أبادون هذا، فليذهب للجحيم.

حينها سمع صوت سيمفونية «قداس الموت» من خلفه من ناحية الباب، فهو يعلمه من زيارته المتكررة لحفلات الأوبرا المصرية، وسمع صوتاً يصاحب تلك السيمفونية يقول:

-سمعت مقولة بفيلم على ما أتذكر تقول «تكلم عن الشيطان يظهر».

صُدم صبري وبدا الفرع على وجهه وهو ينظر لأبادون الذي أغلق الباب وهو يرتدي قناعاً حاجباً للغاز يتنافى مع البذلة الأنقية التي يرتديها ويرتدي بيده قفازاً أسود ويمسك مسدساً كاتمًا للصوت، فقال بصوت يبدو عليه الخوف:

-أنت؟

أزال أبادون قناع الغاز وظهر وجهه المشوه والموشوم بوشم الجمجمة وقذف بقناع الغاز جانباً وتنهد وهو يقول:

-أوه اعتذر حقاً، لقد نسيت أمر ذلك القناع تماماً وبالتأكيد هو ما أفزعك

هكذا وليست رؤيتي بالطبع.

كان صبري يحاول أخذ أنفاسه وهو يقول:

-كيف؟ كيف دخلت إلى هنا؟ كيف استطعت تخطي من الخارج؟

أطلق أبادون صفيراً مهدهداً به وهو يجلس على أحد الكراسي بطرف الغرفة ولا زال مصوباً مسدسه بوجه صبري ثم أجاب:

-بالنسبة لتخطي الرجال بالأسفل فهؤلاء مجرد أطفال.. آه صحيح كيف تترك لأطفالك ألعاباً خطيرة كالتى كانوا يمسكون بها، ألا تخشى أن يؤذوا أنفسهم؟.

قالها وهو يضحك ضحكته الهستيرية قبل أن يستغل ذلك صبري وهو يأخذ سلاحاً أسفل وسادته ويصوبه باتجاه أبادون وهو يقول:

-ألق سلاحك جانباً، وتأكد أني لا أمزح.

تغيرت تعابير وجه أبادون وبدا على وجهه الخوف والتوتر وهو يلقي سلاحه جانباً ويقول بصوت يبدو عليه الخوف:

-أنا أنا أعتذر لم أكن أقصد، سامحني يا صبري بك، سامحني أنا أريد أن أحيا سأرحل ولن تراني مرة أخرى.

بدا التعجب على وجه صبري فلم يكن يعتقد أن أبادون قد يستسلم هكذا، ولكنه قال:

-سأتركك ترحل ولكن بعدما أحصل على ما أريد منك.

قال أبادون بصوت مرتبك:

-ما هو يا سيدي؟

رد صبري:

-مَنْ أنت، وماذا تعمل، ومَنْ يساعدك، ومن أين أتيت بكل تلك المعلومات حول العين؟

أجاب أبادون بذات الصوت المتوتر الخائف:

-العين؟ أية عين، أتقصد عيني أم عينك، أم اية عين؟ هل تقصد تلك المنطقة المسماة بعين شمس؟

قالها وهو يطلق ضحكته مستفزاً صبري الذي توتر ولم يدر ما يقول، فأكمل أبادون وقد تحوّل صوته لصوت جهوري أشعر صبري بهزة من داخله:

-أما أنا، فأنا أبادون مبعوث الجحيم، أنا من سأطلق حكم الشعب عليك، أنا من بُعثت لأدمر ما تصبون إليه، لن أترككم، لديّ لكل واحد منكم تذكرة للجحيم ووظيفتي أن أرسلكم إليه.

قال صبري مهدداً ولكن صوته خرج مهزوزاً ضعيفاً:

-لا تتحرك ولا تنس أنني مازلت أمسك سلاحاً.

رفع أبادون يده لأعلى بحركة تدل على استسلامه، ولكنه أطلق سكيناً صغيراً مفاجئاً أخرجه من خلف ظهره عند رفع يديه لأعلى وأطلقه بكتف صبري الذي به اليد الممسكة بالمسدس فأسقط صبري المسدس وهو بتألم والدماء تتدفق من كتفه، وحاول أن يمسك المسدس مرة أخرى إلا أن قدم أبادون قد سبقته وهي تركل المسدس بعيداً، وقد استعاد أبادون مسدسه وصوبه برأس صبري الذي اتسعت عيناه رعباً وأبادون يقول:

-أتدري يا عزيزي مهما كنت شجاعاً ومهما كنت قوياً لكن هناك عاملاً دائماً ما يهزمنا وهو الزمن، العمر والسن يا صبري يتمكن منا دائماً، وتأكد أنك لا تستطيع مجاراتي.

قالها وهو يعدّل من وضعية مسدسه وهو يضع به رصاصة بوضع الاستعداد ثم يعود لوضع فوهته على رأس صبري الذي بدأ الرعب يسري به وعيناه تدمعان، فجثا أبادون بركبتيه على الارض ليكون وجهه أمام صبري وهو يقول بصوت هادئ:

-لماذا جميعكم عند لحظة الحقيقة الوحيدة، حقيقة الموت، تبكون مثل الأطفال؟ ألم تعلموا أن النهاية آتية؟ لذا لماذا لم تتراجعوا عما تفعلون؟ أتمنى أن تكونوا عبرة لبقية أعضاء العين من بعد ذلك.

وقف أبادون مرة أخرى فقال صبري متوسلاً:

-أرجوك أرجوك اتركني فقط سأرحل من مصر ولن تراني مرة أخرى، سأختفي من الوجود وقبل كل ذلك سأساعدك فيما تريد سأقول لك كل ما تريد؟

في الخارج كانت آمال تسير أمام غرفة والدها قبل أن تسمع صوت سيمفونية أوبرالية بداخل الغرفة فاعتقدت أن والدها ما زال يحتفل بنجاحه فأرادت أن تكمل حديثها معه، لم يرو فضولها ما قاله لها، ففتحت الباب وحينها رأت والدها وأبادون أمامها.

على الرغم من كون أبادون دائماً لا يُصدم لا يُدهش ولا يتعجب، وعلى الرغم من كون قلبه قد توقف عن الشعور بأي انفعالات أو أحاسيس منذ زمن طويل؛ إلا أنه شعر بخفقة قلبه تلك، فما كان القادم سوى آمال، هي ذاتها الدكتورة آمال الورداني التي كانت تتابع حالته بالمصحة، كيف لم يتمكن من الربط بين الاسمين، هي ذاتها ابنة صبري الورداني.

قاطع تفكيره صوتها وهي تقول بلهفة:

-أبي.

أوقفها صبري بحركة من يده تعني ألا تتقدم وفوهة سلاح أبادون ما زالت بجبينه وقد استعاد أبادون رباطة جأشه مرة أخرى وهو يقول:

-الدكتورة آمال؟ يا لسخرية القدر، ألم أقل لك أننا سنلتقي مرة أخرى، لكنني في الحقيقة لم أكن أتوقع أن تتم تلك المقابلة هنا، فكيف لأحد أن يتوقع لمثل هذا الشيطان أن يأتي بمثل ملاك يعالج المرضى مثلك يا دكتورة، دعينا من ذلك، ما رأيك بذوقي الخاص بالموسيقى التي أسمعها حين أقوم بعملياتي التي قرأت عنها بالملف الخاص بي، لكن لا أعلم أن كنت سمعتها قبلاً أم لا، إنها سيمفونية قداس الموت، أروع سيمفونية يمكن أن تجسد هذا الموقف موسيقياً.

كانت الموسيقى ما زالت تسري بصخب وهول المفاجأة ما زال واقعاً على الجميع، لكن أبادون تخطاه وصبري كان يحاول أن يتجنب أذية ابنته أو أن تراه بذلك الوضع، لكنه لا يعلم ما يستطيع فعله، أما آمال فلم تكن تعلم ما

تشعر به.

الشعور بداخلها لا تستطيع أن تفسره، والدها الذي كانت تفكر فيما قاله لها منذ قليل أحد من يطاردهم أبادون، لماذا، ما الذي فعله؟ حاولت السؤال وصوتها يبدو مرتجفاً من الحزن والحيرة وهي تقول:

-أبادون... ما الذي فعله أبي ليكون من ضمن قائمتك؟ ما الجريمة التي اقترفها أبي لتحاول قتله؟

بدا على أبادون التأثير من صوتها ومن حزنها ولكنه قال:

-قلت لك يا دكتورة أن ما أقوم به أكبر مما تستطيعين استيعابه، كل ما هو حولك وما تظنين أنك تعيشين فيه، سقوط الأنظمة وصعود الأنظمة ليس نحن من نقرره، بل هم، والدك ومن يعمل معهم هم من يقررون من يحكمنا ومتى يحكمنا ومتى يظل ومتى يسقط، لا تظني أن تلك الثورة هي التي أسقطت النظام، وإن كنت تظنين ذلك فهذا هراء، هم وهم فقط من أسقطوه لانتهاء دوره، وسيقوم نظام آخر يخدمهم ويحقق مصالحهم، وقد لا يقوم أي نظام وتبقى الدولة هكذا إن كان ذلك في مصلحتهم، إن كانت اللادولة تحقق أهدافهم، وهذا هو الأمر الأقرب في المرحلة القادمة، وأنا هنا لإيقافهم، لإيقاف خططهم.

دمعت عينا آمال وهي تسمع ما يقوله أبادون، والذي يتناسب مع ما قاله والدها لها منذ قليل حينما قال: (لكن نحن كرجال أعمال لدينا علاقات مع كافة الأطراف، يمكن أن تكون علاقاتي مع رجال النظام البائد جزءاً منها، لكن من الممكن جداً أن تكون لدي علاقات أقوى مع أطراف آخرين وأقوى من ذلك النظام) فمسحت دموعها وهي تسأل بصوت بدت عليه القوة ويتنافى مع الحالة التي ظهرت عليها منذ قليل:

-من هم؟ من هم يا أبادون؟ وإلى ماذا يخططون؟

نظر أبادون لعيني صبري الذي لم يستطع التفوه بكلمة أو حتى الدفاع عن نفسه أمام ابنته فما قاله أبادون هو ذاته ما قاله لابنته منذ قليل وأبادون يقول:

-هم من حولك بكل مكان، رجال سياسة، رجال اقتصاد، رجال دين وشيوخ، أعضاء بالحزب الوطني، أعضاء بالتيارات الإسلامية، رجال أعمال، رواد أندية الليونز والروتاري التي تعد من أهم أماكن التقائهم، إنهم بكل مكان، إنها عدة منظمات تتحكم باقتصاد العالم أجمع، ومن حكم بالاقتصاد تحكم بالسياسات. يتحكمون بصندوق النقد الدولي، يتحكمون باقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية، يتحكمون بالاتحاد الأوروبي، يتحكمون بنفط دول الخليج، هم من يضعون السياسات، هم من يملكون قوت يومك واقتصاد بلدك، أعينهم بكل مكان، ولذلك هم العين.

رَبَّتْ عَلَى رَأْسِ وَالِدِهَا وَأَكْمَلَتْ:

-ولا أعلم إذا ما كان هذا سيجعلك فخورة أم سيجعلك تشعرين بالخزي، لكن والدك هو أهم أعضاء العين بمصر.

قالها وهو يرفع فوهة مسدسه ويصوبه باتجاه آمال قائلاً:

-اعذريني يا دكتورة، لكن والدك يرفض الحديث، كما أنه أذاق العديد والعديد من شعب مصر الكثير، كما سرق منهم الكثير، وانتماؤه للعين كفيل بإصدار حكمي عليه وعليك أنت، لذلك سأجعله يفقدك أمام عينيه، ثم ساستمتع بتعذيبه لاحقاً.

هنا صرخ صبري ممسكاً بقدمي أبادون:

-رجل الأعمال حسام سري، ورئيس الوزراء السابق عثمان علوي، والعضو الرئيسي السابق بالحزب الوطني صابر الشربيني، وحمدي عاطف القيادي الإخواني، هم من كنت أتواصل معهم من العين هنا ولا أعلم سواهم.
-أشكر.

قالها أبادون مطلقاً رصاصة اخترقت رأس صبري الذي سقط أرضاً وبركة من الدماء حول رأسه.

أما آمال فقد وقفت شاردة، تنظر لجثة والدها ولا تبدو على وجهها أية علامات حزن أو بكاء، وجهها جامد كالتمثال، فقال لها أبادون وهو يزيل من المسدس كاتم الصوت:

-أعتذر عما سببته لك يا دكتورة من خسائر، صدقيني كم كنت أتمنى أن نتقابل بمكان وظروف غير التي حدثت الآن، لكن والدك من أجبرني على ذلك، أتمنى أن تتعافي من صدمتك سريعاً وأن تكملني.....

وقبل أن يكمل جملته سقطت آمال على الأرض فاختلج وأهتز قلب أبادون والذي أسرع إليها يحاول أن يطمئن عليها فوجدها غائبة عن الوعي لكن البنض يبدو طبيعياً، ولم يكن سوى العرق الذي بدأ يغمرها، وجسدها ساخن كما لو كانت حمى، فلم يعلم أبادون ما الذي يفعله، كيف له أن يتركها بمثل تلك الحالة فقال لنفسه:

-تباً ما الذي أوقعك بطريقي؟

زفر بشدة وهو ينظر لجثة صبري قبل أن يحملها ويتحرك بها من النافذة وهو يختفي دون أي أثر.

١٢ فبراير ٢٠١١ الساعة الثانية صباحاً

مقر وزارة الدفاع المصرية

بقاعة اجتماعات مقر وزارة الدفاع المصرية كان هذا الاجتماع .. يجلس اللواء عمر سليمان واللواء صلاح الششتاوي والعقيد عزت يونس بجانب جميع أعضاء المجلس العسكري المصري ويرأسهم سيادة المشير محمد حسين طنطاوي.

كان الاجتماع منعقدًا بالمائدة المستديرة بغرفة الاجتماعات بوزارة الدفاع بالعباسية، وقد بدأ اللواء عمر سليمان الحديث قائلاً:

-شهدت مصر الآن عصرًا جديدًا وبداية جديدة، انتهى عصر الحزب الوطني الحاكم، وبدأ عصر جديد نرى بعض بداياته من التدخلات وتشكيلات بدأت في الظهور من القوى الخارجية، ولا نقصد بذلك الدول العظمى، لكن هناك القوى التي تحرك تلك الدول العظمى، ولذلك فلقد قمت بتعريفكم من قبل على سيادة اللواء صلاح الششتاوي وسيادة العقيد عزت يونس، كلاهما

يعلمان جيداً ماهية تلك القوى، سيشرح لكم عملية الثورة الآن، نحن لن ندعو لإفشال الثورة ولن نحاول إسقاطها لكن سنسعى لحماية الدولة، سنعمل على ما يطمح إليه الشعب ضمن نطاقنا فقط، ولكن نحن من سنعمل وبالطريقة التي نريدها لذلك، ولتسر الأمور وفقاً لرغبتنا واتجاهنا، فقد وجدت أن ذلك لن يتحقق إلا بوجود شخص ما يتحكم بمسار الثورة وبمسار الدولة من الخلف، قائد للدولة، رئيس في الظل يتحكم بالأمور بشكل كامل، ولذلك سيكون المجلس العسكري مع وجودي ووجود اللواء صلاح والعقيد عزت هم الحاكمون لمصر من الآن وستكون القرارات بالأغلبية لكن لضمان عدم تفتت الأصوات سأرشح اللواء صلاح الششتاوي كرئيس الظل.

بدأت الهمهمات من الجميع منها المتعجبة ومنها الراضة للأمر فتحدث العقيد عزت قائلاً:

-الأمر ليس كما تظنونه لن يكون هناك قرار منفرد على الإطلاق إلا في الظروف ذات الخطورة القصوى، واللواء صلاح سيكون المرجع لنا جميعاً نظراً لخبرته الطويلة سواء العسكرية أو السياسية والتي تجعله المناسب للقيام بهذا الدور على وجه أمثل، مصر الآن بمنعطف تاريخي والأحداث المشتعلة من حولنا الآن بالمنطقة وبدأت في ليبيا، وسنطلعكم على بقية المستجدات بسوريا تحتم علينا أن نتكاتف جميعاً وأن يكون هناك من يقود تلك الثورة.

تحدث اللواء عمر سليمان:

-الأمر لا يقف عند ذلك، فأنتم كأعضاء المجلس العسكري ستكونون بالمقدمة دائماً، أي الجميع سيضعكم بعين الاعتبار، كما أن تواجدكم بدائرة الضوء سيضع عليكم حرجاً ببعض الأوقات للتصرف ببعض الأمور، ولا أخفي عليكم طبقاً لما نتصوره ونضعه باعتبارنا نحن، أنا واللواء صلاح والعقيد عزت وسنطلعكم عليه بعد قليل، أن هذا المجلس لن يدوم طويلاً لذلك لابد لأحد أن يكون خلف الظلال ويتحرك خلف الظلال حتى لا تكون هناك مقصلة سواء شعبية أو سياسية تجاهه كما أن وجوده خلف الظلال يضعه بعيداً عن أي يد تطوله، أي أنه سيكون رئيساً فعلياً تحتاه مصر بتلك المرحلة، وإن وجدتم فأنا لم يتم ترشيحي لتلك المهمة، وعندما تحدثت مع اللواء صلاح

الششتاوي حول تصوري لوضع رئيس لمصر خفي يبقى بالظلال ويتحكم بالأمور فكان بداية حديث اللواء صلاح على وضعي أنا كرئيس لكنني رفضت تمامًا وسبب رفضي ما قلته مسبقًا أن مصر تريد الآن رئيسًا بعيدًا عن الأضواء، ولذلك فقد رشحت اللواء صلاح الششتاوي لهذا الدور كما أن لديه الخبرة الكافية للتحكم بالأمور في الأوقات العصيبة وسأعيد القول أن القرار دائمًا سيكون بالأغلبية هنا، لكن اللواء صلاح هو الضمان لامتداد واستمرار مهمة قيادة الثورة وفقًا لما نريد تحت أي ظرف.

سكت الجميع قليلًا نظرًا لمنطقية الحديث وقد قطع ذلك الصمت سيادة المشير حسين طنطاوي قائلًا:

-قول معقول، وأظن أن المجلس بالكامل قد وافق عليه.

أيد المجلس بالفعل قول المشير طنطاوي، فبدأ اللواء صلاح الششتاوي الحديث قائلًا:

-بداية حبذت خلال حديثكم أن أصمت نظرًا لحساسية موقعي فأنا لم أكن أرغب بتلك المهمة لكن عندما أوكلت لي من سيادة اللواء عمر سليمان وجدت أنها لخدمة الوطن ولا تتميز بأية امتيازات بل لها حقوق فقط، فأنا من الآن لن أترشح لرئاسة الجمهورية ولن أظهر للضوء على العكس من أي منكم، فأني واحد منكم سيادة اللواءات المورقين له الحق بعد عبور تلك المحنة بالترشح لرئاسة الجمهورية وهذا امتياز لكم وليس لي.

صمت الجميع ووافق اللواء س/ع بإيماءة من رأسه فأكمل اللواء صلاح الحديث قائلًا:

-أشكر سيادة اللواء عمر سليمان على بداية الحديث، وأؤكد على حديث سيادة اللواء بأننا سواء بإرادتنا أو رغماً عنها قد دخلت مصر منطقة الصراع، منذ بداية تولي باراك أوباما رئاسة الولايات المتحدة ونحن نستشف من خلال تصريحاته وما يقوم به من جولات مقدمات لما هو آت، تلك هي سياسة الحزب الديمقراطي الأمريكي الذي دائماً ما يأتي بعد فترة حكم جمهوري صدامي تكون تلك الفترة راحة أو هدنة يتم من خلالها تهيئة

الأجواء بالمنطقة لصراع آخر جديد، كما رأينا الفترة السابقة، على سبيل المثال بداية فترة بوش الأب التي كانت صدامية بحرب الخليج ثم حصار العراق، وهنا جاءت ولاية الرئيس بيل كلينتون والتي كانت تهدئة لذلك الأمر مع استخدام السياسة الناعمة لفرض حصار اقتصادي مجتمعي على العراق وخنقها وذلك بالتزامن مع بداية الحديث عن القاعدة وأفغانستان ثم أعقب فترة الحكم باردة المظهر ساخنة الأحداث تلك الفترة التي لا تُنسى، وهي أكثر فترات التاريخ الحديث جنوناً، فترة حكم جورج بوش الابن الذي جاء ليحصد ما تم زرعه في فترة بيل كلينتون والتي جاءت بدايتها بذلك المسلسل الخاص بأحداث برجي التجارة العالمي في الحادي عشر من سبتمبر وبداية ظهور أسامة بن لادن والذي كان الذريعة للتدخل في أفغانستان ثم ظهور نتائج الفحص النووي للعراق الذي بدأ في عهد كلينتون بالإيجاب والذي كان السبب في التدخل الفوضوي وتقسيم العراق وانتهت فترة جورج بوش الجنونية ثم جاءت تلك الفترة. ومع بداية الحديث عن أصول باراك أوباما الإسلامية، وهذا كان مصدر قلق لي، فالحديث المستفيض عن أصوله الإسلامية وتواضعه وأدبه يجعلني أشعر أنه قد جاء بأقوى الخطط الخاصة بالسياسات الأمريكية وهذا قد بدأ، وكانت البداية بثورة تونس التي بدأت من الشعب واستمرت بالشعب ذاته، لكن مع وجود ذلك التشجيع والإمداد الخارجي ثم بدأ تأثير الدومينو يظهر بالمنطقة، والتالية كانت مصر.

- أود أن أوضح ظهور كيانات على خريطة الساحة العالمية تلك الكيانات أو المنظمات تتحكم بالقوى الاقتصادية على مستوى العالم أجمع بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية تلك الكيانات كانت السبب في العديد من الحروب والمجاعات، انقسامات دول وقيام دول بعضهم يمتد تاريخه قرونًا والبعض الآخر تاريخه حديث نسبيًا.

تساءل المشير محمد حسين طنطاوي قائلاً:

-وما الخطر من تلك الكيانات؟

أجاب اللواء صلاح قائلاً:

-خطورتهم كانت ولا أنكر بقوتهم، وذلك على الرغم من كونهم كيانات

متفرقة، فماذا إذا اجتمعوا.

انعقد حاجبا اللواء س/ع وهو يردد:

-اجتمعوا؟

بدأ العقيد عزت بتشغيل جهاز البروجكتور لعرض بعض المعلومات والصور الخاصة ببعض الشعارات لتلك المنظمات مع الزعماء المنتمين إليها واللواء صلاح يكمل حديثه قائلاً:

-نعم اجتمعوا، هذا ما يحدث الآن، جميعنا نسمع دائماً عن المحفل الماسوني، كما نقرأ دائماً بالكتب الخاصة بنظرية المؤامرات عن مثل ذلك، لكن بالفعل بدأت تلك الكيانات بتشكيل وحدة واحدة كيان واحد يسمى العين، وتشمل أخطر المنظمات والتي تتحكم في اقتصاديات وسياسيات العالم أجمع كالجمجمة والعظام، والذي كان جورج بوش ذاته عضواً بها وهناك جماعة المتنورين التي يكثر الحديث عن أن باراك أوباما ذاته عضو بها. وهناك الماسونيون أو البناءون الأحرار، وهي من أشهر الجمعيات والمعروفة على مستوى العالم وانتمى لهم جورج واشنطن وبنجامين فرانكلين، كما انتمى أيضاً تشرشل لهم وهناك جمعية البوستان البوهيمي والتي ينتمي إليها كل من ريتشارد نيكسون، ورونالد ريجان، وبيل كلينتون وايضا زوجته هيلاري كلينتون، وأخيراً جمعية بيلدر بيرج والتي من أعضائها أنجيلا ميركل، وهنري كيسنجر، وتوني بليز، وديفيد كامرون.

صمت اللواء صلاح فبدأ الوجود على وجه الجميع ولكن اللواء عمر سليمان أوماً له برأسه أي بمعنى استمر فتابع اللواء صلاح قائلاً:

-تلك الجمعيات تشكلت بوحدة واحدة تسمى العين، تلك العين قد رصدنا لها تحركات داخل وخارج مصر وبالمنطقة العربية خلال الستة أشهر الأخيرة وكانت تلك التحركات بالتناوب بين أعضاء تلك الجمعيات الستة كما تم تشكيل مركز إقليمي خاص بها تحت ستار جمعية أهلية بسوريا وهذا يُنذر بوضع مشتعل بسوريا قريباً فوجودهم واختيارهم بتلك المنطقة مع بداية المناوشات والحديث حول ثورة هناك يدل على أن ما سيحدث بسوريا

سيكون مختلفاً.

تحدث اللواء عمر سليمان قائلاً:

-سيكون ملف ذلك التشكيل بسوريا وأي أحداث تحدث بسوريا ضمن اختصاصاتي ونطاقي أما الملف المصري سأتركه كاملاً مع وجودي به أيضاً للواء صلاح الششتاوي ولكن أكمل يا سيادة اللواء أريد جميع أعضاء المجلس العسكري على العلم التام بما يحدث.

أكمل اللواء صلاح:

-بعيداً عن هذا الملف والذي سنطرحه فيما بعد من التحركات التي تم رصدها هو برنارد ليفي، وقد وُلد ليفي لعائلة سفاردية يهودية ثرية في الجزائر في ٥ نوفمبر ١٩٤٨ في مدينة بني صاف الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد انتقلت عائلته لباريس بعد أشهر من ميلاده. وقد درس الفلسفة في جامعة فرنسية راقية وعلمها فيما بعد، واشتهر كأحد «الفلاسفة الجدد»، وهم جماعة انتقدت الاشتراكية بلا هوادة واعتبرتها «فاسدة أخلاقياً» واشتهر ليفي أكثر ما اشتهر كصحفي، وكناشط سياسي. وقد ذاع صيته في البداية كمراسل حربي من بنجلادش خلال حرب انفصال بنجلادش عن باكستان عام ١٩٧١ ونشر برنارد هنري ليفي كتابه «يسار في أزمنة مظلمة: موقف ضد البربرية الجديدة» الذي يزعم فيه أن اليسار بعد سقوط الشيوعية قد فقد قيمه واستبدلها بكرهية مرضية تجاه الولايات المتحدة وإسرائيل واليهود، وأن النزعة الإسلامية لم تنتج من سلوكيات الغرب مع المسلمين، بل من مشكلة متأصلة، وأن النزعة الإسلامية تهدد الغرب تماماً كما هددتها الفاشية يوماً ما... وأكد أن التدخل في العالم الثالث بدواع إنسانية ليس «مؤامرة إمبريالية» بل أمر مشروع تماماً وفي عام ٢٠٠٩ نُشر برنارد هنري ليفي فيديو على الإنترنت لدعم الاحتجاجات ضد الانتخابات «المشكوك بأمرها» في إيران. وخلال العقد المنصرم كله كان ليفي من أكبر الداعين للتدخل الدولي في دارفور غرب السودان ويقال إنه المرشح الرئاسي القادم بإسرائيل. بدا التعجب والصدمة للبعض من المجتمعين فتحدث المشير طنطاوي قائلاً:

-وكيف لشخص مثل هذا من دخول مصر؟ سنمنع دخوله على الفور.

اعترض اللواء صلاح الحديث قائلاً:

-آسف يا سيادة المشير لكن مثل هذا الفعل قد يأتي بردة فعل عكسية تجاه الجيش بصفته الحاكم للدولة المصرية الآن، كما أن العين لن تصمت أمام رفض السلطات المصرية من دخول أحد أهم أعضائها لمصر وذلك تحت ما يسمى الاحتفال بالانتصار للثورة وإن أوقفناه ورفضنا دخوله ستستغل العين هذا ضدنا وقد رأينا أبواقها أثناء الثورة لذلك سنتعامل معه بشكل طبيعي تماماً ولكن الامر سيكون تحت أعيننا.

تفهم الجميع مقصد اللواء صلاح الذي تابع:

-بعيداً الآن عما يحدث والذي سأتابعه أولاً بأول معكم، اجتماعنا هنا لوضع خطة بعيدة المدى لقيادة البلاد لبر الأمان ولكن لابد مقدماً أن أستمع لمخاوف كل منكم.

تحدث اللواء س/ع:

-طبعاً من المخاوف الرئيسية صعود التيار الإسلامي خاصة بما يحاولون
تحدث اللواء س/ع:

-طبعاً من المخاوف الرئيسية صعود التيار الإسلامي خاصة بما يحاولون ارتداء ثوب الديمقراطية والحديث عن حكم بشكل معاصر كما يحدث بعدة دول يحكمها الإسلام، ولكني لا أجد أمامي كمثال إلا تركيا، كما لدينا جميعاً مخاوف أيضاً من التيار المستقل الذي يرأسه البرادعي وحمدين صباحي بالطبع لكنه ليس بالقدر الذي نخشاه بالتيار الإسلامي فمن التاريخ ستجد أنه الجهة الأكثر تنظيمًا ويوازي دائماً بتنظيمه الأنظمة الحاكمة.

أوما اللواء صلاح برأسه متفهماً وهو يقول:

-بالفعل التيار الإسلامي كان له التنافس طيلة الفترة الماضية مع الحزب الحاكم وكما أن النظام الحاكم كان مخترقاً فالتيار الإسلامي أيضاً مخترق من العين كذلك، وله رجاله، ورجاله من الأعضاء الحاكمين بهذا التيار، ونحن

نتابعه منذ بداية الثورة ونراقب التحركات الخاصة به، وسيطالبون في البداية بحزب إسلامي خاص بهم وذلك تحقيقاً للمبدأ الحقيقي لتعدد الأحزاب، وهذا كبداية تعد كارثية بالطبع، فكما قلت يا سيادة اللواء أنهم الأكثر تنظيمًا الآن ومعنى مطالبتهم بحزب حاكم ومن بعد ذلك بانتخابات لمجلس الشعب فهذا يعني اكتساحهم للمجلس بالكامل وهذا يعني وضع كافة القوانين تحت سيطرتهم الكاملة وهذا ما يطمحون إليه ويريدونه منذ زمن طويل.

فقال المشير طنطاوي:

-إذا لنسير على نفس النهج والمنطق الذي نسير عليه منذ البداية ولنرفض بشكل قاطع تواجد أية أحزاب ذات انتماءات دينية الفترة المقبلة.

وتحدث اللواء عمر سليمان:

-على العكس تمامًا طبقًا لما قيل منذ قليل من اللواء صلاح فإن العين بما لها من قوة سياسية وإعلامية واقتصادية لن تترك ذلك يمر مرور الكرام، وسأكون واضحًا معك، العين تريد وجود نفوذ إسلامي قوي بالمنطقة، البعض سيسأل لماذا؟ وجود تيار إسلامي سني قوي معادل للتيار الإسلامي الشيعي بعيدًا عن منطقة الخليج سيُشعل الصراع في المنطقة بين السنة والشيعة وسيساعد ويمهد ذلك من بداية قيام اللا دولة مع الأخذ بالاعتبار الحديث عن المواطنين ذوي الديانة المسيحية واضهادهم بعد ذلك من التيار الإسلامي، وهذا سيؤدي إلى التدخل الخارجي، أو تقسيم الدولة.

-هذا على المستوى البعيد، أما على المستوى القريب فإن وجود مصر كدولة ذات نظام سياسي إسلامي سني، ووجود المملكة العربية السعودية كنظام إسلامي سني، ووجود دولة كإيران قائمة على نظام إسلامي شيعي، سيمهد الطريق حول وجود دولة إسرائيلية قائمة على أساس الديانة اليهودية بشكل كامل.

تحدث اللواء صلاح مكملاً:

-ولا ننسى أن التيار الإسلامي بعيداً عن قيمه الإسلامية يجعل مبدأه أن أي شيء متاح في اللعبة السياسية في سبيل تحقيق المكاسب، ولا ننسى أنه

مخترق هو الآخر من العين وتربط أعضاؤه علاقات وطيدة برجال العين والولايات المتحدة أيضا، لذلك قد يتحدون مع الشيطان في سبيل أهدافهم، وهذا واضح الآن من تشكيل مجلس أمناء الثورة والذي اتحد فيه التيار الإسلامي مع الاشتراكي الذي كانوا يدعونه بالشيوعية، مع التيار المدني العلماني، فالاتحاد منهم مع كافة الجهات بدأ بالفعل.

تساءل اللواء م/ف قائلاً:

-وما العمل في ذلك؟ بعد كل ذلك أنسمح لهم بإقامة أحزاب سياسية على أسس دينية؟

أجاب العقيد عزت:

-وهذا أحد أسباب جعل اللواء صلاح الششتاوي هو الرئيس الظل، لأنه يعرف جيداً قواعد اللعبة السياسية ولذلك سيقوم اللواء صلاح بالسماح لهم بإقامة أحزاب على أسس دينية لحين إشعار آخر، لكن الرفض سيعني انقلاب فئة كبيرة من المجتمع المصري على الجيش وعلى المجلس العسكري تحت مقولة إن الجيش يحاول أن يسرق الثورة، وسيستغل التيار الإسلامي هذا جيداً، ونحن لا نريد ذلك الآن، نحن نريد أن نجعل أعضاء المجلس العسكري بعيدين كل البعد عن مثل تلك الشبهات.

هنا أمسك العقيد عزت هاتفه الذي اهتز بعدما كان قد جعله بالوضع الصامت، فلاحظ ذلك اللواء صلاح فأوماً له برأسه، فوقف العقيد عزت وهو يعتذر للجميع ليخرج من القاعة ليحيط على الهاتف.

أكمل اللواء عمر سليمان:

-وهناك أمر آخر لابد أن يكون لدينا رجالنا داخل هذا التيار الإسلامي لنعلم ما يريدونه وما سيسببون به خطوة بخطوة، لذلك لابد أن يكون لدينا حزب إسلامي سياسي من رجالنا دون أن يعلم أي أحد أنه من تشكيلنا حتى قياداته، سنجعلهم يتعاملون بحرية بشكل كامل ولا وجود لأي شبهة أنه يتبع الدولة، حتى قياداته لن يكونوا تابعين لنا، لكن البعض من داخل الحزب فقط هم من يتبعوننا.

أثنى المشير طنطاوي على الفكرة، فأكمل اللواء عمر سليمان:

- في نهاية هذا الاجتماع سنعقد اجتماعاً دورياً كل شهر، وسينتقل اللواء صلاح الششتاوي والعقيد عزت يونس في مقر وزارة الدفاع لتسليم المقر السابق لهم كأحد مقرات أمن الدولة كحسن نية منكم للشعب ولتوضيح أنكم في أزهى عصور الديمقراطية، نريد منكم التقرب من الشعب، إظهار الديمقراطية بشكل تام، وأريد من مجلسكم التقرب من التيار الإسلامي في ذات الوقت، أعلم أنه ستلاحقكم بعض الاتهامات عن اتحادكم بالخارج ستلاحقكم بعض الاتهامات أنكم تقومون بتسليم الثورة للتيار الإسلامي لا تأخذوا بتلك الأقاويل، أي اهتمامات نحن سنتعامل معها بشكل جيد الفترة المقبلة، ولذلك أردت منكم أن تظهروا حسن النية للشعب بذات الوقت، كما أريد منكم الحكم لأطول فترة ممكنة قبل تسليم السلطة لمن سنراه بعد ذلك، لكن نريد أن يظل الحكم أطول فترة ممكنة، اخرجوا على الشعب وأعلنوا أن حكم الفترة الانتقالية لن يتجاوز الستة أشهر، لكن سنزيد نحن في تلك المدة وفقاً لما نراه في مصلحة مصر.

صمت اللواء عمر سليمان ثم أردف:

-أريد أن يوضع ما قد تناقشنا فيه كملاحظات لنا جميعاً، وأن نسير عليها وأية مستجدات قد تطرأ فيعلم بها اللواء صلاح وسيتصرف وفق مقتضى الأمر، أما أنا فسأبتعد عن الأضواء قليلاً، وإن احتجتم لمساعدتي فأنا موجود دائماً، هذا بخلاف الاجتماع الدوري الشهري، ولتكن تلك العملية هي عملية الظل، وليوفقنا الله فيما هو قام.

علق المشير طنطاوي قائلاً:

-على بركة الله.

بدأ الجميع بالخروج من القاعة فتحدث اللواء عمر سليمان للواء صلاح:

-أعلم يا صلاح أن المسؤولية الملقاة على عاتقك الآن كبيرة، لكنني أعرف جيداً أنك تستطيع القيام بذلك.

شكره اللواء صلاح قائلاً:

-هذا شرف لي يا سيادة اللواء، وأعدك أنني سأكرس كل جهدي للعبور بمصر من تلك المرحلة.

ثم صمت وهو يجمع أوراقه واستطرد:

-وبمناسبة هذا أريد من سيادتك ترتيب موعد لي لزيارة العضو الرئيسي السابق بالحزب الوطني صابر الشربيني.

تساءل اللواء عمر سليمان:

-لماذا؟ هل هناك شيء آخر غير الاتهامات التي ردها البعض عنه؟.

تنهد اللواء صلاح ثم قال:

-لا أخفي عليك يا سيادة اللواء لدينا بعض المعلومات بقربه وتعامله مع رجال العين من قبل، وأريد أن أعلم كافة ما يعرفه عن العين، والتحقيق معه سيتم عن طريق سيادة العقيد عزت يونس وليس عن طريقي، أريد أن أبقى خارج منطقة الضوء.

وافقه اللواء عمر سليمان قائلاً:

-حسناً فعلت.

هنا دخل العقيد عزت مسرعاً وهو يجلس بالقرب من اللواء صلاح الششتاوي الذي قال:

-كما يقول البعض أنت ابن حلال فعلاً يا عزت، سأكلفك بتكليف خاص، أريد منك التحقيق بشكل ودي وليس رسمياً مع السيد صابر الشربيني، ولقد أطلعتك على كافة شكوكي حوله، أريد معرفة ما يخفيه عن العين، وأريد أن أبقى أنا بعيداً عن دائرة الضوء لذلك ستتولى أنت التحقيق.

صمت عزت وقد بدا على وجهه أهمية الأخبار التي يحملها، فسأله اللواء عمر سليمان قائلاً:

-ماذا هناك يا عزت؟ من الواضح أن ما علمته يحمل أهمية قصوى.

صمت العقيد عزت وهو يسترد أنفاسه قائلاً:

-لقد وُجِدَ رجل الأعمال صبري الورداني قتيلاً بمنزله بعد إصابة بطلق ناري بمنطقة الرأس وبعد تصفية كافة طاقم الحراسة الخاصة به، وهذا ليس كل شيء، فقد اختفت ابنة السيد صبري الدكتورة آمال الورداني والتي تعمل بالمصحة النفسية، ومن الملاحظات ذات الأهمية أن أبادون كان قد وُضِعَ تحت ملاحظتها خلال فترة الخمسة وأربعين يوماً قبل الحكم عليه، قبل أن يختفي مع الرائد علاء.

بدا عدم الفهم على وجه اللواء عمر سليمان، واللواء صلاح الششتاوي يغمغم:
-الدائرة المغلقة، من الآن ملف أبادون هذا معك يا سيادة العقيد، أريده حياً قبل أن تصل إليه يد العين، أريد أن تتعامل مع ملفي أبادون وصابر الشربيني بالتوازي معاً، وضع مراقبة حول صابر الشربيني، سيحاول أبادون بالتأكيد أن يصل إليه.

تساءل اللواء عمر سليمان:

-ومن أبادون هذا يا صلاح؟

أجابه اللواء صلاح الششتاوي ملماً أوراقه ومصطحباً اللواء عمر سليمان للخارج:

-إنه أمر خاص بالعين وسأخبر سيادتك بكل شيء.

قالها وهو يخرج تاركاً خلفه العقيد عزت بتكليف رسمي أمام اللواء عمر سليمان وهو الإتيان بأبادون حياً قبل يد العين.
ويا له من تكليف.

الفصل السابع

١٣ فبراير ٢٠١١

مجلس أمناء الثورة يدعو لمظاهرة مليونية يوم الجمعة ١٨ / ٠٢ / ٢٠١١ م، احتفالاً بالنصر واستكمالاً للثورة حتى تحقق كل مطالبها.

تستيقظ هي وتحاول أن تفتح عينيها لرؤية ما حولها لكن الألم يهاجم رأسها، تحاول أن تعبر عن الألم لكنها لا تستطيع، تفتح عينيها ببطء وهي تستمع لإحدى سيمفونيات الأوبرا، فتحت عينيها والموسيقى تداعب أذنيها لتكتشف الأمر، ترى نفسها ما زالت بملابس النوم الخاصة بها، تدير عينيها فتراه هو، يجلس على على كرسي مقابل لها معطيًا إياها ظهره منهمكًا بشيء ما على جهاز حاسب خاص به، تكتم أنفاسها وتحاول ألا تصدر صوتًا، تنظر حولها فترى غرفة كبيرة الحجم أثبتت بشكل ليس بالقيّم ولكن ما يوجد يكفي لعيشة هادئة بها، فالأرضية بها سجادة عجمية عتيقة، وسريران تنام هي على أحدهما وبجانب كل سرير كومود وقد وضع بجانب الكومود الخاص بها مسدس من الواضح أنه خاص به وبالركن وجدت منضدة للحاسب قديمة وكرسيًا وقد جلس عليهما بحاسبه لإنهاء بعض الأمور.

كان من الواضح أنه منهمك بما يفعل حتى أنه لم يلاحظ استيقاظها فتحرّكت بهدوء محاولة ألا تحدث صوتًا وهي تمسك بالمسدس وتتجه صوبه وقبل أن تصل إليه وجدت صوته المميز يقول دون أن ينظر:

-صباح الخير يا دكتورة أتمنى أن تكوني قد تعافيتي مما حدث لك.

تفاجأت الدكتورة آمال بقوله وكاد المسدس الذي تمسك به أن يسقط منها ولكنها تمالكت نفسها وهي تصوب المسدس لخلف رأسه وهي تقول:

-اترك ما تفعله وارفع يديك لأعلى واستدر لي.

كانت تتوقع منه بعض المقاومة أو عدم الإكتراث ولكن ما فاجأها هو أنه قد التزم بما أمرته به فرفع يديه لأعلى وترك ما يفعل واستدار ينظر لها.

كان كما رأته أول مرة بالمصحة، عيناه اللتان تجذبك لقاعها تأسرك، وعلى الرغم من وجهه المشوه إلا أنه ما زال محتفظاً برونقه وجزء من جاذبيته، هذا الوشم الخاص بالجمجمة على وجهه الذي افتعله ليُخبيء هذا التشوه خلفه، كانت كلما رأته شعرت بأن قلبها يختلج بين ضلوعها بقوة. هل هذا إعجاب بشخص مثل أبادون، ولماذا الإعجاب بقاتل؟ لا تعلم، لكنها الآن تحاول أن تقتل ما تشعر به في أعماقها، هذا القاتل قد قتل والدها، على الرغم من أن والدها كان يستحق ذلك، ورغم ما فعله أبادون معها إلا أن ذلك لا يغير الحقيقة، لقد قتل والدها أمام عينيها وهي لن تغفر له ذلك، ستقتله أمامها، الآن ستنتقم لوالدها حتى إن كان والدها قد أخطأ لكنه لا يستحق ذلك على يد قاتل كان يستحق محاكمة عدالة ولينال ما يستحق.

كانت المسيمفونية تصدح وأبادون يقول دون اهتمام:

-إنها المسيمفونية الخيالية، كتبها برليوز عام ١٨٣٠ في العام نفسه الذي وقعت فيه الثورة الفرنسية الجديدة آنذاك، التي كرس برليوز لها سيمفونيته «الجنائزية» بعد ذلك بعشرة أعوام. إذ استوحى فكرة السيمفونية الخيالية من أحداث حقيقية في حياته، فهو التقى الممثلة الأيرلندية هاريت سميثسون وأغرم بها وكانت «السيمفونية الخيالية» من آثار هذا الحب الجارف وأول أعماله الكبيرة وسبب شهرته.

صرخت آمال وهي تتحرك بسلاحها بعصبية قائلة:

-أخرس لا أريد أن أسمع لك صوتاً ولا لسيمفونياتك.

التزم أبادون بأمرها، أما آمال فكادت دموعها أن تتسرب من عينيها عندما تذكرت كيف مات والدها، إلا أنها تماسكت حتى تحصل على ما تبتغيه، انتقامها من أبادون فظلت مصوبة المسدس تجاه وجهه وهي تقول:

-الإنسان أحياناً يرتكب أخطاءً قد تودي بحياته، وأنت يا أبادون قد افتعلت هذا الخطأ عندما قررت ألا تقتلني مع والدي، وحتى لم تتركني لشأني، اصطحبك لي معك هنا سيكتب نهايتك، وللأسف لن يعرف أحد نهايتك كما لم يعرف أحد بدايتك، أكنت تتوقع أن تقتل والدي أمامي ولن أنتقم، يا لك من أبله مجنون بحق.

كان أبادون منصتاً لها ولا يزال رافعاً يديه لأعلى، وعندما سمع ما قالتها أجاب بصوت هادئ:

-أنا أعلم خسارتك يا دكتورة، وكل تقدير واحترام لما تشعرين به، لكن تأكدي أن ما حدث كان لأبد أن يحدث، والدك قد أخطأ واستحق ما ناله، أعلم جيداً أن ما حدث يفوق طاقتك، لكن أتمنى أن تصدقيني، لم يكن أمامي سوى ما حدث، وعزائي الكامل لكِ بخسارة والدك.
فقدت آمال أعصابها فصرخت:

-لماذا كان ذلك على يدك؟ لماذا لم تترك الأمر للسلطات المختصة للتعامل معه، لماذا عليك أنت القتل؟ سلمهم فقط ودع السلطات تتعامل معهم، لم يكن عليك تلويث يدك بكل تلك الدماء، لم يكن عليك قتل أبي.
بدا الحزن على وجه أبادون وهو يقول:

-أتمنى أن تصدقيني، تسليمهم للسلطات المختصة كأن لم يكن، السلطات ذاتها تعمل لصالح العين حتى وإن لم تكن كامل السلطات تعمل لصالح العين فجزء كبير منها يعمل لصالحها، وقد سمعت بأذنك أن رجل الأعمال حسام سري ورئيس الوزراء السابق عثمان علوي والعضو الرئيسي السابق بالحزب الوطني صابر الشربيني هم بعض من يتعامل معهم العين، فما بالك بالبقية، أتظنين أن العين ستحاكم رجالها ستسمح لهم بأن يسقطوا، لا يا دكتورة، العين تعي جيداً كيفية حماية رجالها.
تصاعدت حدة صوتها وهي تقول بغضب:

-خطأ، أنت على خطأ وأكبر مثال على ذلك أن العين تلك تركت جميع النظام يسقط، فكيف تحمي رجالها ونظام بالكامل قد سقط؟.

بدا شبح ابتسامة يظهر بجانب فم أبادون والذي قال بهدوء شديد:

-أنت لا تعين أبداً العين ولا ما تفكر فيه، العين قامت برص رجالها كقطع الشطرنج ونجحت في تحريكهم وتحقيق أقصى ما تريد منهم، لكن عندما ينتهي دور لعبة الشطرنج، فلم لا يتحول الأمر إلى لعبة الدومينو، انتهت

صلاحية هؤلاء الرجال وسقوطهم أصبح الصالح الأكبر لهم لذلك قاموا برص هؤلاء الرجال كقطع لعبة الدومينو والتي بدأت بإسقاطهم بيدها واحدًا تلو الآخر تحت استمتاع مشاهدة تلك القطع تتساقط ونظرية أثر الدومينو، أتظنن أن سقوطهم بفعل الشعب أو ثورتهم، الشعب تحرك لهدف نبيل يا عزيزتي، لكن كان سيتوقف إن لم يكن هناك الوقود والوقود هي الدماء، دماء الضحايا ممن قاموا بالثورة، لذلك تدخلت العين، أوقاتًا بطريق مباشر وأوقاتًا أخرى عن طريق رجالها سواء من الحزب الحاكم أو من التيارات المعارضة، العين تتحكم بالثورة منذ يومها الأول يا عزيزتي لذلك لم يكن سقوط هؤلاء الرجال سوى لانتهاؤ أدوراهم وبداية أدوار رجال آخرين.

-لكنك.. لكنك لم تكن من المفترض أن تقتلهم مهما يكن الأمر لم يكن يُفترض أن تقتلهم.

قالتها آمال وهي تشد بيديها على سلاحها فاقترب أبادون منها وألصق فوهة المسدس برأسه وهو يقول:

-إذا انتقمي مني لهم، أقتليني ها هو السلاح بيدك ولقد تعمدت أن أضعه بجانبك لحين استيقاظك، ها أنا ذا أجعل حياتي بين يديك، طوال تلك الفترة وأنا الحاكم والجلاد أريد أن أشعر بذلك الآن لقد جعلتك حاكمي وجلادي اصدري حكمك عليّ ونفذي الآن.

قالها فاتحًا ذراعيه وآمال تحاول أن تمسك أعصابها وتحبس دموعها ولكنها أفلتت منها فانهارت وهي تبكي مستندة على جدار الغرفة وتترك السلاح يسقط بجانبها وهي تردد:

-لم يكن من المفترض أن تقتل أبي، لم يكن لك أن تفعل هذا.

نظر إليها أبادون وهي تبكي بشدة ووجهها الملائكي الذي لم ينسه عندما رآه أول مرة كان يرى فيها ذلك الوجه الذي لم يعد يراه بأحد آخر، شعر بخفقان قلبه الذي كان قد نسي هذا الشعور منذ تلك الليلة.

حاول الخروج من التفكير بذلك وهو يجلس بجانبها محاولاً تهدئتها وهو يربت على كتفها ودموعها ما زالت تتساقط فحاول مسح دموعها بيده التي

ترتدي القفاز فنظرت له وهي تحاول أن تهدأ ثم سألته وما زال صوت بكائها
يصدر متقطعاً:

-مَن أنت؟ أنا أعلم مَن أنت حاليًا لكن من هو أبادون من هو هذا الشخص
المختبئ خلف هذا الوجه؟.

لم يعلم أبادون ما قد يجيب به، تردد ولكنه نظر لعينيها الممتلئة بالدموع
قبل أن يقول:

-سأخبرك مَن أنا وستكونين أول مَن يعلم هويتي .

أوراق من الماضي

سبتمبر ٢٠٠٦

الحياة دائماً ما تعطي لك كلا الوجهين، الجميل والقبيح، تنتقل بينهما دائماً،
حينها تعلم أن كافة الأمور تسير على ما يرام، أما إذا أعطت لك الحياة وجهًا
واحدًا فعليك بالحدز وأنا لم أفعل ذلك.

أعطتني الحياة وجهها المشرق، مقدم بالمخابرات العامة المصرية، زوجة
جميلة وخير الزوجات بالفعل، طفل وطفلة كانا قرّة عيني، ميسور الحال
ولديّ دخل مادي جيد بعد ما ورثته من والدي الذي لم ينجب سواي، أي أن
جميع عناصر الحياة المثالية وجدت لي.

كنت أشكر نعمة الله وفضله عليّ في حياتي وعملي وبيتي، وعلى الرغم من
الدخل المادي الجيد لي إلا أن ذلك لم يجعلني أتهاون بعلمي فكنت ذا اسم
جيد داخل أروقة المخابرات العامة المصرية ونجحت على الرغم من سني
الصغيرة بعدة عمليات كبيرة، كان بعضها يُدرس لمن يلتحق بالعمل جديداً
بالمخابرات العامة.

كان البعض يمازحني بأني مَن استلهم مني نبيل فاروق سلسلة رجل
المستحيل، لكنني كنت أجيب أنهم لم يروا المستحيل مني بعد.

نجحت بعدة عمليات خارجية معقدة سافرت لإنجلترا وروسيا والصين

والولايات المتحدة وهولندا وغيرها من البلاد واجهت خلالها عملاء متنوعي الجنسيات وهذا زادني خبرة رويدًا رويدًا.

إلا أنني لن أنسى تلك العملية سبتمبر عام ٢٠٠٦ والتي كانت بخصوص الكشف عن أحد العملاء المصريين لدى هولندا والتي قادني للكشف عن جمعية «بيلدر بيرج» وهي إحدى الجمعيات التي يروق نشاطها لمحبي نظرية المؤامرة تتحكم بكل شيء وتنسج خيوطها حول كل شيء.

لم أكن أتوقع وجود تلك الجمعيات في العالم الواقعي وكنت أرى أن كل ما يُقال حولها ما هو إلا من نسج الخيال لكنني وجدتها بالفعل، بل على العكس نشاطها الفعلي أكبر وأضخم مما نتوقع.

كشفت حينها اتصالها بمنظمات أخرى حول العالم وتشكيل ما يسمى «العين» يتضمن اتحادًا من تلك المنظمات، تلك المنظمات على الرغم من أنها كانت متفرقة إلا أنها كانت تحمل أهدافًا واحدة ما بين نظام عالمي موحد وأطماع بالشرق الأوسط لجعله كالبداية شرقي أوسط فوضوي بلا دول محددة، إلغاء ضمني لاتفاقية سايكس بيكو التي أبرمت عام ١٩١٦ وتبعها وعد بلفور وذلك من أجل قيام إسرائيل وبعد قيام إسرائيل بالفعل انتهى المراد من تلك الاتفاقية فيتم الرجوع للحالة الأولى من وضع الفوضوي، كلما زادت الفوضى زاد ذلك من الحماية لإسرائيل وزاد ذلك من تدخل الدول التي تتحكم بها تلك المنظمات.

هذا لا يعني بالضرورة أن الدول العربية لا تحكمها تلك المنظمات، على العكس تمامًا كل تلك المنظمات لها رجالها بكل دول العالم تتحكم بها وتفرض سيطرتها وقوانينها عليها، تتحكم باقتصاد العالم فهي تعد مالكة لصندوق النقد الدولي، بإشارة منها تقيم حروبًا وإشارة منها توقف حروبًا والسبب هو بيع وترويج صناعة الأسلحة، بإشارة منها تسود الأوبئة العالم أجمع وإشارة منها تعطي العالم اللقاح والدواء لهذه الأوبئة والسبب أنهم يتحكمون في صناعة الدواء على مستوى العالم، اكتشفت أثناء تحرياتي أن الأزمة الخاصة بإنفلونزا الطيور عام ٢٠٠٣ وأنفلونزا الخنازير عام ٢٠٠٩ واللدان اجتاحا العالم حينها كانوا هم السبب بها وبعد فترة تم تقديم العلاج

من قبلهم، كانت تلك محاولة منهم لتقليل عدد سكان العالم بشكل كبير ولكنهم أخفقوا فاتجهوا حينها لتحقيق المكسب المادي وبالطبع كان لهم رجالهم بمصر والذين قد حققوا أرباحًا طائلة بخزيرنتهم حينها.

بإشارة منهم يحدث الكساد الأعظم وموجات الأزمات الاقتصادية بالعالم والتي كانت بدايتها عام ١٩٢٩ وكانت تتوسط فترتي الحربين العالميتين اللتين كانتا من صنعهم أيضًا وأعقب فترة الكساد الكبير أو الثلاثاء الأسود كما أطلقوا على تلك الأزمة حينها إزاحة الرئيس الأمريكي هربرت هوفر مرشح الحزب الجمهوري وبداية بزوغ نجم الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت والذي جاء حينها بحلول لإنعاش الوضع الاقتصادي، وفرانكلين روزفلت ممثل الحزب الديمقراطي حينها هو أحد أهم أعضاء جمعية البنائين الأحرار والذين في الغالب يكون مرشحهم منتميًا أيضًا لتلك الجمعية حتى وقتنا هذا، وبالفعل نجح فرانكلين روزفلت في مراده وتم إلغاء تغطية الدولار بالذهب من قبله عام ١٩٣٣ وكانت تلك البداية لجعل الدولار يحل محل الذهب في التعاملات الدولية.

ثم كانت الأزمة الاقتصادية الثانية والتي حدثت بعد ذلك عام ٢٠٠٨، وضعي على ذلك القياس حرب الخليج وأزمة إيران التحكم في أسعار النفط.

وللنفط هذا حكاية أخرى أتعلمين وتسمعين دائمًا عن اكتشاف بدائل جديدة تغني عن النفط لكن دائمًا ما تجددين أصحاب تلك الأفكار والاكتشافات قد تم تصفيتهم، تشير حينها الأيدي أحيانًا إلى دول الخليج لكنه من الصعب إثبات ذلك، ويقول البعض إن الولايات المتحدة أو القوى الكبرى هي من تفعل ذلك إما بواسطة من دول الخليج وهو أمر يصعب تصديقه، فكيف لتلك الدول أن تقوم بتصفية محرريها من دول الخليج لإرضاء دول الخليج؟ أمر صعب التصديق أليس كذلك، والبعض يرى أن تلك الدول تقوم بها دون وساطة من أحد، وذلك الأمر يعد قمة الغباء، كيف أن تساهم القوى الكبرى بتصفية وقتل من يجد لها مخرجًا من عنق الزجاجة الخاص بالنفط، هذا حلم جميع الدول الكبرى كالولايات المتحدة والمملكة البريطانية وفرنسا وغيرها، لك أن تتخيلي عالمًا دون حاجة لوجود دول الخليج على الساحة العالمية

وانتهاء تحكّمهم بأسعار النفط كيف سيكون، حينها سيتم رفع يد تلك القوى الكبرى المغلولة من دول الخليج وحينها من الوارد بل والممكن جدًّا أن تنقلب تلك القوى وتشعر بوقتها أعلى من تلك المنظمات لذلك على الرغم من أن مصلحة تلك الدول من مصلحة تلك المنظمات إلا أن تلك الكيانات تعلم جيدًّا كيفية إجادة اللعبة حتى أقرب أصدقائك لا بد أن تكون يدك على عنقه لتتأكدي من تحكّمك الكامل به وهو ما تفعله عن طريق وجود النفط والنفط فقط كمصدر للطاقة حينها ستضطر الدول الكبرى للتنازل حينما تطلب منها تلك الكيانات ذلك، أرايتِ كيفية إجادة اللعبة من قبلهم.

كنت قد توصلت لعدة معلومات حينئذ عن نشوب الأزمة المالية العالمية التي حدثت عام ٢٠٠٨ مع عدة معلومات أخرى توضح تكوين اتحاد لتلك المنظمات والعمل معًا على شرق أوسط جديد مثار للفوضى لتعود الدول إلى حالة ما قبل ١٩١٦ وخلق كيان جديد على غرار القاعدة يكون موطنه سوريا وذلك بعد القيام بعملية سُميت عملية أثر الدومينو، بالمساعدة على افتعال عدة ثورات تقوم من الشعب وللشعب تبحث عن الديمقراطية وإسقاط أنظمة الدول بالشرق الأوسط وبعد ذلك قتل هدف الشعب في أية ديمقراطية وإقامة أنظمة ديكتاتورية أخرى تقوم بالكامل عن طريق رجالها وذلك للدول ذات المؤسسات والتي من الصعب إسقاطها كمصر، أما الدول التي يسهل إسقاطها وجعلها بلا دولة وبلا أنظمة حاكمة فالوضع من الأفضل أن يظل بها قائمًا هكذا دون تدخل مع تأجيج وإشعال الفتن والحروب العرقية والدينية بين تلك الأنظمة. الملف لم يكن يحتوي على ذلك فقط، بل كان يحتوي على الكثير والكثير وبالطبع تم قتل مصدري الذي تعاون معي بعدما كشفته وجعلته عميلًا مزدوجًا، لك أن تتخيلي أن تلك المنظمات قد قامت بما قامت به على مدار التاريخ الحديث وهي منفصلة فما بالك بهم مجتمعين، هل لك أن تتخيلي تطبيق هذا الملف بالكامل على الشرق الأوسط ماذا سيكون الوضع وكم سيكون عدد الضحايا حينها سيكون للدول الكبرى حرية التدخل في الشرق الأوسط تحت بند حماية الشعوب أو حتى حماية إسرائيل أي أن الاستعمار قائم متى أرادت تلك الدول وإن لم ترد فالفوضى كفيّلة بذلك.

عدت إلى مصر بأعجوبة حاملاً معي ذلك الملف بعد ليلة دامية خسرت من خلالها عميلي ومن حسن الحظ أنهم لم يستطيعوا التوصل لهويتي وإلى من كان يتعامل مع هذا العميل.

عدت شاعراً أن القدر قد جعلني المسئول عن إنقاذ مصر والمنطقة عامة وذهبت للعمل لمدير إدارتي حينها وكنت قد احتفظت بما توصلت إليه لكنني أطلعتة على تشكيل العين وبعض مما يصبو إليه الفوضى والثورات، لكنه حينها رفض بشكل تام الاقتناع بما توصلت إليه، بل حينها أخبرني أن الرؤساء يرون أن خيالي خصب وأني من عشاق نظرية المؤامرات على الرغم من كوني بجهاز المخابرات العامة المصرية وقد تعاملت مع العديد والعديد من تلك الأمور، لكن كانت صدمة حينها عندما تم رفض مناقشة ما جئت به حتى، حينها اقتنعت بما علمته أن كل دولة بالفعل مخترقة وكل دولة يحكمها أشخاص ينتمون للعين.

-جميلة تلك التحريات التي قمت بها يا سيادة المقدم أنا أعلم جيداً مجهوداتك وأنتك من العناصر المميزة بجهاز المخابرات العامة ولكني قد أطلعت الرؤساء على تلك التحريات ووجدت منهم عدم الاكتراث، ومنهم من يرى أن نظرية المؤامرة تسيطر على تفكيرك سيادة المقدم، لذا أرجو منك نسيان ما قدمته والاهتمام بما يوكل لك فقط.

-لكن يا سيدي تلك ليست نظرية المؤامرات هناك أدلة على وجود ما قدمته لسيادتك بهذا الملف.

-سيادة المقدم طالما قد جاءت الأوامر العليا بوقف تلك التحريات فلتتوقف تلك التحريات.

قالها غالباً الملف والموضوع تماماً.

كنت على مشارف أن أتقدم باستقالتي بعد تلك الصدمة فكيف لي أن أعلم أن دولتي والدول العربية جمعاء على حافة الانهيار ولكني مقيد ولا أستطيع التصرف، لكن زوجتي وحب حياتي حينها رفضت الفكرة بل ودعمتني حتى أناضل بما أوّمن به.

- أفكر في تقديم استقالتي من عملي.
- ما بك يا حبيبي؟ أهنالك أية مشاكل بعملك؟
- توضع معوقات لي، أنا أعمل على قضية ستهز المنطقة جميعًا وليس مصر وحدها وستسقط وتكشف عن الكثير والكثير من أحداث وقعت بل وستقع، أحاول جاهدًا أن أنقذهم وقبل هذا أنقذ مصر منها لكنهم يأبون مساعدتي.
- أكمل ولا تتوقف، لا تستقل، الاستقالة هروب وأنت لست هذا الشخص الذي يستسلم.

- يبارك لي ربي فيك.

زوجتي... زوجتي تلك كانت نعمة من ربي كانت خير سند لي في الدنيا وخير داعم لي، أدين لها بالفضل حينها بعد ربي لكل ما وصلت إليه، لم تنزعج بأي وقت من طبيعة شغلي ولم تبدي أي اعتراض، على العكس تمامًا كانت هي السند الدائم. أحيانًا كنت أخبرها بما أستطيع البوح به في مجال عملي كنت أستشيرها ودائمًا ما كانت تساعدني وتهديني، كانت زوجتي وابنتي وأمي وحبيبتني .

أضحك وأتذكر حينما طلبت مني لآخر مرة أن أصطحبها لشرم الشيخ:

- كل سنة وانت طيب يا حبيبي لكن ما يحزنني أنك لن تقضي العيد معنا وبدلاً من ذلك نذهب لنقضيه مع أمي.

- أنا أسف يا عزيزتي أريد منك فقط أن تستمتعي بوقتك وأنت تعلمين أن عملي يفرض عليّ في بعض الأوقات التضحية براحتي الخاصة، لكن أعدك أن أنهي تلك المهمة وسأصطحبك أنت والأولاد في إجازة طويلة بالإسكندرية.

- أنا أعلم حبك الشديد للإسكندرية لكن هل من الممكن أن تكون تلك المرة بشرم الشيخ.

- لماذا؟

- لأنني أريد مكانًا هادئًا بعيدًا عن صخب المدن نستمتع به أنا وأنت فقط.

-أحبك.

-وأنا أيضًا.

أما أولادي فكانوا خير امتداد لخير أم، ملائكة على الأرض ما عوضني بهم عائلة كاملة سعيدة، وتوج ذلك بالتفاهم بيننا حتى في مجال عملي ورفضت زوجتي الاستقالة بل وحثتني على المضي قدمًا.

بدأت أشعر بالعقبات تجاهي حتى بدأت ابتعد عن دائرة القضايا الهامة وبدأت تنسب لي بعض المهام الإدارية فقط، بدأت أشعر أن ذلك يحدث عن عمد، ولكني لم أهتم وواصلت تحقيقي وبحثي.

بالفعل بدأت أجد بعض رجال الأعمال على صلة بالعين وبعض شباب التيار الحر وبعض أعضاء التيار الإسلامي والبعض الآخر بأجهزة الأمن كالرائد علاء هذا، كان لديهم رجالهم بجميع التيارات يعرفون جيدًا كيف يستخدمونهم.

يعرفون جيدًا متى يأتي النظام بأعمال متهورة تزيد غضب الشعب ومتى يأتي النظام حينها بأعمال تهدئ غضب الشعب، كيف يجعل من التيار الإسلامي ضحية، ومتى يجعل منه مجرمًا، كان يجيدون مثل تلك الألعاب ببراعة شديدة عن طريق رجالهم.

خلال ذلك الوقت لم أكن أطمئن سوى لصديقين فقط أحدهما كان زميل لي يعمل بالمخابرات العامة، في البداية كان يحاول إثنائي عما أقوم به.

وهو من كان يدعمني ويساعدني على الرغم من أن مساعدته لم تكن بالقوة الكافية وذلك لحساسية منصبه ولم أرد أن أجعل مساعدته تنكشف لهم، فأنا الآن بدائرة الضوء الجميع يعلم تحركاتي، الجميع يعلم أنني أحاول الكشف عنهم وكنت أستغل ذلك جيدًا كنت أؤهمهم ببعض التحريات الخاطئة مني في حين أن زميلي كان يقوم بالتحريات الجادة ومن ثقتي سلمت له نسخة كاملة من الملف إذا ما حدث لي شيء، كنت حينها أتوقع التصفية في أي وقت.

-أنت كما عهدتك دائمًا تدخل نفسك بمشاكل لا حصر لها، مالك يا صديقي

بهذا الموضوع، هذا الموضوع أكبر مني ومنك يا سيادة المقدم، تراجع واترك الأمور تسير كما هي.

-لو تعرفني جيداً كما تقول لعلمت أنني لا أتراجع عن أي معركة أخوضها وهذه ليست معركة إنها حرب ومنذ زمن بعيد، وإن كنت لن تساندني فيكفي أن زوجتي معي وسأواجه هذا بأكمله بمفردي.

-أنا أعرفك جيداً لكن صدقني أنت تقحم نفسك بأمور أكبر مني ومنك وأنا أخشى عليك من هذا يا صديقي.

-لا تخف أنا أعلم ما أفعله.

أما الآخر الذي كنت أثق به فهو صديق لي يعمل طبيباً جراحاً لم يكن صديقاً لي فقط بل ابن عم لي، كنت أجلس معه كثيراً أتحدث إليه بعيداً عن العمل، كان يعلم أنني أعمل ضابط شرطة بالمباحث العامة ليس أكثر ولذلك كنت أفضل الجلوس معه كما أن عقليته تجعل الحديث معه مريحاً، لم أخبره بشيء مما يحدث بل حينها كنت غير متواصل معه كما تعود مني إلى أن اتصل بي وأخبرته حينها أنني فقط منشغل بأمورية خاصة وعند انتهائي منها سأمر عليه.

مضت عدة أشهر هكذا جمعت فيها أكبر قدر من المعلومات حول رجال العين بمصر بل وسقطت أسماء خاصة برجال العين أيضاً بالوطن العربي كنا نسير أنا وزميلي بالاتجاه الصحيح إلى أن جاءت تلك الليلة التي تغيّر خلالها كل شيء.

١٦ فبراير ٢٠٠٧

ذلك اليوم الذي لا يُنسى، للأسف حينها لم أستمع لنصائح صديقي بالابتعاد عن تلك القضية، كنت حينها أظن أن بإمكانني أن أواجه الجميع بمفردي، يا لغبائي أواجه العالم أجمع بمفردي، كنت في العمل ولأول مرة يطلب مني حينها المبيت بالعمل لإحدى المهام الهامة وطلب مني ألا أترك العمل مهما

كان الأمر، وقد يتطلب الأمر المبيت لعدة ليال، على الرغم من أنه في حالتي العادية بالتأكيد كنت سأسعد بمثل هذا التكليف إلا أنه على العكس تمامًا شعرت بالقلق لم أشعر بالراحة تجاه هذا الأمر لذلك قمت بالاتصال بزوجتي طالبًا منها المبيت عند والدتها لوجودي بالعمل الذي قد يستغرق أيامًا، زوجتي كما قلت لك مسبقًا كانت كنصفي الآخر فشعرت بالسعادة والبهجة من صوتها وهي تقول أنني أخيرًا سأعود لمكانتي بالعمل، حاولت إخفاء قلقي وإظهار السعادة المتبادلة، حينها أخبرتني أنها سوف تتصل بأخيها ليمر على المنزل لاصطحابها هي والأطفال، شعرت بالراحة قليلًا وأغلقت الهاتف.

بعد تقريبًا ما يقارب الساعة اتصلت زوجتي بي تخبرني أن والدتها قد ذهبت للإسكندرية لزيارة أختها هناك وأخبرتني أن جمال أخاها سوف يبيت معها فشعرت بالاطمئنان وأنا أرسل سلامي له وأتمنى لها ليلة سعيدة.

كانت الساعة تقارب الواحدة صباحًا حينما شعرت بالقلق يعاودني، أمسكت هاتفي واتصلت بهاتف زوجتي لكني لم أجد ردًا اتصلت بهاتف أخيها ولا إجابة أيضًا، أعلم أنهم قد يكونوا خلدوا للنوم، لكني لما أستطع طرد هذا الشعور المميت بالقلق فاتصلت بزيميلي الذي وجدته غافياً بمنزله وأنا أعتذر له فشعر هو الآخر بالقلق وأخبرني أنه من الممكن أن أذهب للمنزل بحجة إحضار بعض المستلزمات لي وأن أتحدث مع زميل لنا يدعى خالد وهو شخص نثق به يستطيع تغطية غيابي عن الرؤساء والأمر كله لن يستغرق سوى ساعة في ذلك الوقت المتأخر من الليل.

شكرته فرفض الشكر وطلب مني أن أطمئنه عندما أتأكد أن كل شيء على ما يرام فأسرعت بأخذ هاتفي والمفاتيح ثم ذهبت لزميلنا خالد ومن حسن الحظ حينها أنه كان بذات الوقت في العمل وقبل أن أخبره أخبرني أن زميلنا قد تحدث معه وهو على علم بكل شيء وأن أذهب ولا داعي للقلق من جهة العمل.

شكرته وانطلقت، كات المسافة ليست بعيدة بشكل كبير، مبنى المخبرات يقع بحداق القبة وبيتي يقع بمنطقة المقطم منطقة نائية هادئة عبارة عن منزل بدورين بمنطقة لم يصل لها الكثير من العمار حينها، انطلقت بالسيارة

حينها سريعًا ألتهم الطريق وأنا أحاول إعادة الاتصال بزوجتي لكن لا رد أيضًا اتصلت حينها بابن عمي الدكتور سالم والذي استيقظ من النوم فاعتذرت له وأخبرته بقلقي وطلبت منه إن كان باستطاعته أن يلحق بي بالمنزل فأخبرني أنه سيرتدي ملابسه وسيلتحق بي فورًا.

استغرق الطريق ما يقارب الثلاثة وخمسين دقيقة إلى أن وصلت لمنزلي، لن أنسى تلك اللحظة وأنا أرى ما يحدث أمام عيني، المنزل تتصاعد منه النيران للسماء، لن أنسى ذلك المنظر الذي أمامي النيران تأكل المنزل وتلتهمني أنا أيضًا معه، صرخت وأنا أركض باتجاه المنزل أحاول فتح الباب حينها لم أستطع فاقتحمته وأسرعت والنيران بكل مكان اللون البرتقالي حولي، السخونة تعلو وظلال النيران تتراقص على الجدران، ركضت كالمجنون أقفز درجتي السلم بدرجة إلى أن وصلت للدور العلوي كسرت باب غرفة الأطفال لم أجدهما ولكنني وجدت جثة رجل محترقة إنه جمال أخو زوجتي، لكن أين أطفالتي، ركضت سريعًا لغرفتي وأنا أحاول فتح الباب والنيران مشتعلة به لكنني لم أشعر بأي شيء حتى كسرته وحينها لم أستطع تحمل ما رأيته.

ثلاث جثث محترقة، زوجتي وطفلي قد تفحموا، أحاول الوقوف لا أستطيع الوقوف على قدمي، عيناى تتسرب منهما الدموع ذلك السائل المالح الذي دائمًا ما يكون دليلًا على فشلنا، لقد فشلت، فشلت في المحافظة على زوجتي وأولادي، أنا السبب في ذلك، عملي وغروري بحل قضية أكبر من طاقتي قد أدى لذلك، إن كنت تركتهم إن لم أطاردهم لم تكن تلك النتيجة.

أنظر للجثث المتفحمة وبعض النيران مازالت تلتهمهم، أصبحت لا أرى شيئًا ليس من النيران وليس من الأدخنة بل من الدموع، أحاول الوقوف أحاول الوصول إليهم أسمع أصواتهم أسمع ضحكاتهم أسمع أحبك من زوجتي وأطفالتي وهم يتهايمسون معي أنظر لهم من خلال دموعي لأجدهم يقفون من جثثهم المحترقة يمدون أيديهم لي أبتسم وأحاول الوقوف والوصول إليهم أسمعهم يحثوني على القدوم لهم أومئ برأسي موافقًا ولكن أصواتهم تختلط بأصوات أخرى أنظر لأعلى لأجد قطعة خشبية من السقف والنيران بها تتهاوى عليّ.

أصرخ بشدة، النيران تلتهم وجهي، أصرخ من الألم، يختلط صراخي بالألم والحزن، أنظر وسط نيران وجهي لأجد زوجتي وأطفالي ما زالوا واقفين ينتظرونني أحاول أن أقوم لكن الظلام بدأ يسود حولي لم أعد أرى، يتهاوى العالم من حولي ويطبق الظلام عليّ.

١٩ فبراير ٢٠٠٧

أفتح عيناى، عيناى تؤلمني، لا أتذكر ما حدث، أشعر بألم برأسي، صداع أشعر كما لو كانت رأيس قد فتحت، أغلق عيني مرة أخرى وافتحهما في محاولة يائسة لطرده الألم لكنني لا أهتم وأنا أحاول أن أرى ما حولي.

الرؤية ضبابية أشعر كما لو كان الضباب يحيط بي أحاول أن أهدئ جفناى بيدي أجدها محاطة بالضمادات، لكنني أحاول أن ألمس بيدي وجهي أشعر بضمادات، ملمس الضمادات على وجهي، وجهي بأكمله محاط بالضمادات.

أتحامل على نفسي وأحاول الوقوف فأسقط لكنني أعاود الوقوف مستنداً على المنضدة لأنظر من حولي أجد نفسي بمنزل ابن عمي أنا أعرفه جيداً من زيارتي له عدة مرات بل والمبيت معه، هو أعزب لا يعيش أحد معه، لذلك أعرف كل ركن بمنزله، ولكن من أتى بي إلى هنا.

أستند بيدي وأسير إلى المرأة لأنظر لوجهي المحاط بالضمادات البيضاء وأسمع صوتاً قادماً خلفي من باب الغرفة يقول:

-حمداً لله على سلامتكم.

أنظر له لأجده سالم وهو يتحرك ليسندني ويجلسني على مقعد ويربت على كتفي ويجلس أمامي فتساءلت:

-أين أنا؟

-أنت هنا بمنزلي بعدما اتصلت بي لطلبك مني أن ألحق بك لمنزلك أسرع إليك وعند وصولي وجدت المنزل بحترق بالكامل لم أدر ما أفعله إلى أن

سمعت صراخك فأسرعت أركض وأبحث عنك داخل المنزل، كنت أتبع صراخك إلى أن وصلت إليك ووجدتك بالغرفة وهي تشتعل وقد سقط عليك جزء خشبي محترق من السقف أشعل النار بوجهك، لم تتحمل الألم ففقدت وعيك أطفأت النيران التي كانت لا تزال تلتهم وجهك وحملتك وأسرعت بالخروج من المنزل بك وأحضرتك إلى هنا، قمت بالإسعافات لك وإنقاذك وظللت غائبا عن الوعي خلال مدة يومين، حمداً لله على سلامتكم يا صديقي.

-وما الأمر بالنسبة لعائلتي؟

قلتها وأنا على علم سابق بما حدث لهم لكني لم أرد التصديق كنت أتمنى أن أسمع شيئاً مختلفاً، كنت أود أن أسمع صوتهم قادمين، أن أسمع اسمي بصوت زوجتي يناديني، لكني سمعت صوت سالم يقول بأسى:
-البقاء لله.

لم أستطع أن أتمالك أعصابي فنزلت دموعي تبلل الضمادات على وجهي، وقفت كالمجنون وأنا أخبط بيدي على الحائط أتحرك كالمجنون وأنا أكسر بيدي كل ما يقابلني غضباً وحرناً وقهراً، تركني سالم تماماً حتى انتهيت وأنا أسقط على الأرض أبكي فوجدته يربت على كتفي ويهدئ من روعي لكني رفضت وأبعدت يده فقال مواسياً:

-أنا أعلم ما تمر به صدقي، وأعلم أنه فوق قدرة تحمل أي بشر، لكن أريد منك أن تتجاوز ذلك أن تعلم من قام بذلك، لا بد أن تتجاوز ما حدث لتتمسك من قام بفعالها.

كان القول سهلاً لكن الفعل صعب، بالفعل سالم لديه الحق فيما يقول، انتهى الأمر، ماتت زوجتي وطفلي ضحية لغبائي، أنا السبب الأول ثم هم السبب الثاني لن أتركهم، أعلم أنني سأواجه حرباً خاسرة بالنسبة لي، أعلم أن نهايتي هي الموت، لكن من قال إنني الآن حي، أنا الآن ميت.

جلست وأنا ألهث وأقول:

-لديك كل الحق فيما تقول، لديك كل الحق.

بدا على وجهه الصمت فجففت دموعي وأنا أنظر له متسائلاً:

-ماذا هناك يا سالم؟ أرى أن لديك شيئاً ما تخفيه؟

بدا التردد على وجهه قبل أن يقول:

-أعلم جيداً أن هذا ليس توقيتاً مثاليّاً لما أقول لكن انظر لتلك الجريدة.

قالها وهو يأتي بجريدة وجدت على مقعد بجانب الباب ويناولني إياها فأمسكتها لأقرأ ما بها، كان سالم قد فتح الجريدة على خبر ما يريد مني قراءته لا يريد أن يخبرني بما به بنفسه.

قرأت الخبر الذي جاء بعنوانه «مصرع مقدم بالمخابرات العامة وعائلته بحريق بمنزله نتيجة ماس كهربائي» كان الخبر بالداخل يسرد تفاصيل الحادث ويلقي الأمر على عاتق الماس الكهربائي، كما يوضح أسف أسرة جهاز المخابرات العامة على ما حدث.

ضحكت بشدة حينها، كنت أضحك بهستيرياً إلى أن تساقطت دموعي من الضحك، كان سالم ينظر إليّ لا أعلم هل كانت حينها نظرة حزن أم شفقة، كنت ما أزال أضحك وأنا أقول بصوت متقطع من الضحك:

-هل، هل ترى هذا، هذا هو مقداري بعد كل ما فعلت، هذا هو التقدير لي ولأسرتي بعد كل ما قدمته لهم.

حاول سالم أن يواسيني قائلاً:

-لم أكن أعلم أنك تعمل بالمخابرات إلا من هذا الإعلان البقاء لله اهدأ يا صديقي اهدأ.

لم أستطع التوقف عن الضحك وأنا أكمل:

-الحمقى يظنون أن شقيق زوجتي هو أنا، أغبياء، لكن أتعلم غباؤهم ذلك أعطى لي خدمة جليّة.

تساءل سالم حينها:

-ماذا تقصد؟

-أقصد أن وجودي على قيد الحياة لن يمنحني الحرية للتحرك والانتقام كما قلت أنت، وجودي ميتاً سيتيح لي حرية التحرك، ومن الواضح أن تعجلهم بجعلي ميتاً جعلهم حتى لا يتأكدون من هوية الجثة المحترقة وهذا أفضل.
-لكن ماذا عن شقيق زوجتك كيف ستفسر غيابه، ثم ما الخطوة فيما بعد وفاتك ما الذي تخطط له؟

-شقيق زوجتي سأدبر حادثاً لوفاته وستدفن جثة أخرى وبالنسبة لميراثي سينتقل لك أنت بالتبعية لعدم وجود أحد ليرثني الآن تلك الأموال ستساعدني كثيراً بخطواتي المقبلة، لكن كل ما أريده منك هو مساعدتي فقط يا سالم، لن أقحمك بأية أحداث، لكن مساعدتك فيما سأطلب منك فقط.

-لا تقلق سأساعدك بما تريد حتى لو كان الأمر يصل لإقحامي بأية أحداث لا يهم، كل ما أريده هو أن تصل لمن قام بهذا الفعل وأول هذا الأمر سنستعد لإجراء عملية جراحية تجميلية لوجهك ويديك.

رفضت حينها وأنا أقف لاتجه للمرأة وأزيل الضمادات من على يدي ووجهي لأنظر لوجهي المشوه قائلاً:

-لا، أريده كما هو الآن، هذا سيجعل وفاتي كاملة، كما أنني أحجاجة، أحجاجة للنظر دائماً فيه وأتذكر ما حدث، أحجاجة لأنه يساعدني بإظهار الجانب المظلم بي، أنا لم أعد ابن عمك الذي تعرفه، أنا شخص آخر الآن.
-لكن...

-اتركني كما أريد يا سالم أرجوك تلك هي رغبتني، كما أنني أريد دائماً أن أجعل ما تبقى من أيامهم كوجهي هذا.

حينها أغلق سالم الحديث وبالفعل تم ترتيب حادثة لشقيق زوجتي كما تواصل سالم مع والدة زوجتي للتهدئة من روعها ولكي لا تبقى وحيدة لكنها لم تتحمل صدمة فقدان الابن والابنة بذات الأسبوع وتوفيت بعدها بعدة شهور قليلة. لم أرد إخبار صديقي من كان يساعدني بعلمي، لم أرد أن أقحمه بدائرة الخطر وددت أن يظل بعيداً تماماً، كما فضلت أن تكون دائرتي فقط منحصرة بيني وبين ابن عمي أقرب أصدقائي الآن، استلم سالم



الميراث وبدأنا التحرك، كان أول من نال نصيبه من عدالتي هو رئيسي في العمل، الشخص الذي بدأت كل الحلقة من خلاله، حتى وإن كان ليست لديه يد بما حدث لي ولعائلي لكنه تخاذل وجزاء الخيانة والتهاون جزاؤه كالفعل بالضبط، عن طريقه توصلت لرجال الأعمال ورجال التيار الإسلامي ورجال النظام من قتلتهم وتحاكمت بسببهم وعن طريقها وصلت إليك إلى المصحة النفسية.

الفصل الثامن

انتهى أبادون من سرده فوجد آمال تحتضنه واضعة رأسها على صدره. كان أبادون يبدو مترددًا، قلبه يخفق، لم يتعرض لمثل هذا الموقف منذ زمن، تذكر بهذا الاحتضان زوجته فخفق قلبه مرة أخرى، لقد ظن أنه مات بالفعل ظن، أن لا حقوق له، ولكن ها هي الحياة تعلمه حقه وحق قلبه بالحب، يخفق قلبه من جديد وآمال تضع رأسها كالابنة الصغيرة وتلف ذراعيها حوله لا يدري ما يفعل فيبادلها ذلك بوضع إحدى يديه عليها يحتضنها، يا له من شعور قد نسيه منذ زمن، ها هو يعيشه، يذع يديه على رأسها يتحسس شعرها من خلال قفازاته تزفر آمال أنفاسها وتحتضنه أكثر وتغمض عينيها قائلة:

-لم أكن أعلم أن بداخلك كل ذلك، لقد عانيت الكثير، أنا في البداية لم أكن متفهمة لم تفعل ذلك، كنت أتعجب كيف لشخص مثلك أرى فيه العقل الناضج والثقافة والتنظيم أن يكون القتل سمته، ما هو الدافع لشخص مثلك حتى إن تشوه وجهه إلى القتل، ما الرابط بينك وبين أبي؟ الآن فهمت كل شيء، لكن ما كان اسمك؟

ابتسم أبادون قائلاً:

-كان اسمي المقدم أيمن أبو اليزيد.

ابتسمت آمال وهي تقول:

-كان اسمًا جميلًا، لكن لماذا أبادون، أنا قرأت عنه وعن أنه من أحد المذاهب اليهودية، لكن لماذا أبادون؟

تنهد أبادون وهو يجيب:

-أبادون هو ملاك الانتقام مبعوث الانتقام، عندما قرأت الاسم للمرة الأولى وجدت أنه أنا، أنا هو هذا، أنا يد الله بالأرض هنا لأوقفهم، أنا منفذ العدالة وموقف العين لذلك وجدت أنني أبادون الذي تحدثت عنه تلك الطائفة.

تساءلت آمال:

-وأين سالم، هل تركك؟ وما هذا المكان؟

تلاعب أبادون بشعرها مجيبًا:

-سالم؟ سالم أخ، بل أكثر من أخ، لم أرد أن أدخل صديقي الآخر بما أنا فيه، لذلك فضلت أن أكون ميتًا بالنسبة له على الرغم من حاجتي إليه. اكتفيت بسالم وبالملف الذي قادني لكل هذا، ومن خلاله بدأت مواصلة رحلتي، أما عن هذا المكان فلن تصدقي، إنه بيتي القديم، طلبت من سالم بصفته الوريث الوحيد لي أن يشتري قطع الأرض بجانب البيت ويحيط كل ذلك بحائط وأن تنتشر شائعة أنه سيقوم بترميم البيت وبنائه مرة أخرى بشكل أكبر، وأثناء ذلك كنا نعمل بالقبو هنا، بنيت منزلاً كاملاً أسفل بيتي المحترق، اختفيت عن الأنظار، وتولى سالم الأمر، وأغدق على من جاءوا لبناء القبو بالمال وقد أخبرهم أن هذا القبو لملذاته الخاصة، سالم أخ حقيقي، حتى سُمعته قد أضر بها لمصلحتي، لن أنسى له ما فعله لي وأتمنى أن أرد له الجميل في يوم من الأيام.

هبت آمال واقفة كالطفلة الصغيرة قائلة:

-إذا عليك أن تصحبني بجولة بمنزلك هذا؟

تعجب أبادون وهو يقف قائلاً:

-لكن كيف ذلك؟ هل نسيتي ما فعلته بوالدك؟ هل نسيتي انتقامك؟

نظرت له آمال قائلة بهدوء:

-ما فعلته بوالدي؟ ما فعلته بوالدي أنك قد قمت بحمايتنا منه، حتى أنك حميته من نفسه، ما فعلته بوالدي؟ بل قل ما فعله والدي بك أنت، أنا لم تكن علاقتي مع والدي على ما يرام، لم أكن أعلم ما سبب ذلك، كنت أشعر بشيء بداخلي ينفرنني منه، كنت أتوقع أن نتيجة علاقاته المختلفة أنه يتعامل بما يخرج عن القانون، لكنه من الواضح أنه من كان يضع القانون بنفسه ليُلاعب به نفسه، أنا وأنت في الطريق معًا، العين هي من فعلت بنا ذلك، لذلك اجعلني شريكة لك سأساعدك في كل ما تفعله.

نزلت دموعها قليلاً، ولكنها حاولت تجاهل ذلك فقالت بلهجة مرحة:
- ثم إن كان أبادون في نظر المجتمع الذي يحميه مجنوناً، فاسمح لي يا
أبادون أن أكون شيطانتك المجنونة أيضاً.
قالتها وهي تسبقه تقفز بمرح لترى منزلها الجديد.
أما أبادون فاغرورقت عيناه وانحدرت دمعة منها وهو يرى ذات المشهد
يتكرر.
يرى مولد أبادون جديد.

أو كما قالت هي مولد شيطانة وهل توجد شيطانة أكثر من ليليث.

١٣ فبراير ٢٠١١

أشارت صحيفة «المصري اليوم» إلى أن مبارك كان قد انتقل إلى مدينة شرم
الشيخ بصحبة عائلته على متن طائرة الرئاسة يوم الجمعة الماضي قبل أن
يُعلن نائبه عمر سليمان تخليه عن حكم البلاد الذي استمر لنحو ٣٠ عاماً.

١٤ فبراير ٢٠١١

بداية المظاهرات لمحاسبة الرئيس السابق محمد حسني مبارك.

١٥ فبراير ٢٠١١ الجمهورية الليبية

بداية احتجاجات بالجمهورية الليبية، مع الدعوة لتظاهرات أكبر يوم ١٧
فبراير، وسيف الإسلام القذافي يُصرح بأن من يدعون تلك الدعاوى ما هم إلا
مخربون للبلاد.

١٧ فبراير ٢٠١١

إلقاء القبض على ثلاثة وزراء في الحكومة السابقة هم حبيب العادلي وزير الداخلية وأحمد المغربي وزير الإسكان، وزهير جرانة وزير السياحة، بالإضافة إلى أحمد عز أمين التنظيم السابق في الحزب الوطني.

١٧ فبراير ٢٠١١

مقر وزارة الدفاع المصرية

يجلس اللواء صلاح الششتاوي مع العقيد عزت بمكتبه بوزارة الدفاع المصرية وهو ينظر إلى ردود الأفعال حول القبض على وزير الداخلية السابق وأحمد المغربي وزير الإسكان وزهير جرانة وزير السياحة وأحمد عز أمين التنظيم بالحزب الوطني السابق، يجد ردود الأفعال الإيجابية حول ذلك الفعل، تتناوله العديد من وكالات الأنباء العربية والعالمية، يصمت العقيد عزت متابعًا ما يجري بميدان التحرير فينظر له اللواء صلاح ويتناول رشفة من فنانج القهوة أمامه وهو يقول:

-كان لابد ن فعل نمتص به غضب الشعب بعد الخبر الذي تناولته تلك الوكالات بشكل مبالغ فيه حول سفر الرئيس السابق للإقامة بشرم الشيخ، بمرور الوقت يتأكد لي أن تلك الوكالات لا تريد خيرًا لمصر هي بالفعل تعمل وفق أجندات محددة والتغطية الدائمة هي أن مصر قلب العرب، وأن أي تحرك بها لابد من إعلانه على الرأي العام.

يصمت وينظر له العقيد عزت دون حديث بانتظار أن يكمل حديثه، فيشعل سيجارة وهو يتناول رشفة أخرى من قهوته:

-الشكل الذي تناولت به تلك الوكالات خبر سفر مبارك لا ينم على خير بالمستقبل أرى أن الأمور ستتصاعد عما قريب.

تساءل العقيد عزت:

-وما هو المطلوب حينها، تخلى الرئيس عن الحكم وترك الساحة، ماذا

يريدون بعد ذلك؟

نظر اللواء صلاح للتلفاز الذي كان ينقل لحظات من تنحي مبارك قائلاً:

-كرة الثلج لن تتوقف، المطالبات ستزداد، التاريخ يعيد نفسه يا عزت، إذا كنت قارئاً جيداً للتاريخ الحقيقي، ليس المكتوب، وقرأت تاريخ ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ الحقيقي ستجد أن مطالب شباب الحركة المباركة حينها ثم سُميت بعد ذلك حركة الضباط الأحرار، هي بداية التحقيق في أسباب خسارة حرب ١٩٤٨، ثم ازدادت المطالب بعد تمكن الحركة من الشارع ما بين وضعية الجيش وتحرير مصر من الاستعمار البريطاني حينها رويداً رويداً حتى بدأ الأمر بتقليص صلاحيات الملك ثم طلب تنازل الملك لابنه عن الحكم، وهذا التنازل لا يعني تسليم السلطة إلى تلك الحركة، أظن حينها أن التفكير بهذا المطلب كان كجس نبض للملك فتنازله يعني بعد ذلك مطالبته بالخروج من مصر وتحكم تلك الحركة بحكم مصر وقد كان، إن قارنت ذات الأمر بدءاً من مطالبة تغيير بعض الوزراء بالحكومة مروراً بطلب العيش والحرية والعدالة الاجتماعية مروراً بطلب تعيين نائب للرئيس وأخيراً تنحي الرئيس ستعلم بالضرورة أن الأمر لن يتوقف وسيكون التالي طلب محاكمة مبارك خاصة مع تلك الموجات المتتالية من الشحن الإعلامي للجماهير بالميادين.

تعجب العقيد عزت وهو يقول:

-كيف لك يا سيادة اللواء أن تقول ذلك؟ كيف للواء سابق بالجيش أن أرى من ثنايا حديثه أنه ينعت ثورة يوليو كما لو كانت انقلاباً وليست ثورة؟

ابتسم اللواء صلاح وهو يعقد يديه وهو يعود برأسه للخلف قائلاً:

-يا عزيزي كوني أحد رجال جيش مصر شرف لي ما بعده شرف..اعلم جيداً سيادة العقيد أنك تعي كيف أن يكون الالتحاق بالجيش المصري شرفاً كونك أحد قياداته السابقين، لكن كوني من أسرة الجيش المصري العظيم النبيل لتلك البلد الطاهرة لا يتعارض مع أن نكون صرحاء مع أنفسنا، بالفعل ثورة يوليو ما هي إلا انقلاب عسكري من قادة الجيش حينها، كانت لهدف نبيل نعم، البعض يرى أنها لم تكن لهدف نبيل هذا رأيه ويخصه، باختلاف أهداف

هذا الحدث فهو انقلاب تمت تغطيته بغطاء شعبي وقد نجح، وهذا لا يتعارض مع احترامي التام للجيش المصري على مر العصور والذي أعد أنا أحد قاداته.

لم يعلم العقيد عزت ما يقول سوى:

-أحترم وأعتز جدًا بصراحتك يا سيادة اللواء لكن هل تظن أن بالفعل كرة الثلج سوف تزداد والمطالب الخاصة بالثورة سترتفع لمحاكمة الرئيس مبارك؟ هل سيصل الأمر لذلك؟ وما العمل حينئذ؟

أنهى اللواء صلاح قهوته قائلاً:

-سنترك تلك الرحلة لحينها يا عزت قد لا نضطر حينها لما سوف أفعل.

صمت العقيد عزت بعد قول اللواء صلاح فهو يعلم أنه طالما لم يخبره اللواء صلاح بما سوف يفعل فعليه احترام ذلك والتزام الصمت.

كان اللواء صلاح ينظر ببعض الأوراق أمامه حين التفت لعزت قائلاً:

-غدا سوف تتم مقابلتك مع السيد صابر الشربيني أريد منك معرفة نوايا العين من خلاله، أنا أعلم أن هذا يعد أمراً صعباً، السيد صابر الشربيني هو المحرك الأساسي للمطبخ السياسي في عهد مبارك، كما أنه يُعد صندوقاً أسود لكافة المعاملات بالحكومة والحزب، نعلم جيداً ذكاه ونعلم أنه رئيس الصفقات، لذلك من الممكن أن يطلب منك عقد صفقة مقابل ذلك، حينها أخبره أن صفقتنا تتمثل في حمايته من العين، هو يظن أن العين سوف تخرجه مما هو فيه أريد منك تضليله بشكل تام، جعله يظن بل يتأكد أن العين قد تصفيه بأي وقت، أعلم أنها مهمة صعبة مع رجل مثل صابر لكنه أمل لنا، وأنا أعلم أنك تستطيع فعل ذلك يا عزت ولذلك كلفتك هذا التكليف أمام السيد اللواء عمر أريد ألا نتخاذل بأية ملفات مطروحة أمامنا سواء عن البلد أو العين أو...

صمت وهو ينظر لعزت ثم أردف قاطباً حاجبيه ومشيراً لعزت قائلاً:

-صحيح؟ ما أخبار أبادون هذا أليس هناك أي جديد؟

نفى العقيد عزت الأمر برأسه وهو يقول:

-للأسف يا سيدي ليس هناك أي أثر له أو للسيدة آمال ابنة السيد صبري الورداني لكن هناك طرف خيط أفكر به وسأسير خلفه وسأحاول التوصل له. وقف اللواء صلاح من مكتبه واتجهه لعزت وهو يربت على كتفه قائلاً:
-على بركة الله، أعلم أن التكليف المُلقى على عاتقك كبير لكن تأكد أنني كلي ثقة بك.

وقف العقيد عزت وهو يتسم ويقول:

-شرف لي يا سيدة اللواء هذا التكليف.

ابتسم اللواء صلاح وهو يشير لعزت قائلاً:

-حسنًا سيادة العقيد أنت في إجازة حرة بقية اليوم وسأنتظر تقريرك غدًا عن مقابلتك مع صابر وما ستصل له بملف أبادون.

أدى العقيد عزت التحية العسكرية ثم التف ليخرج من الغرفة محدثًا نفسًا:
هناك فعلاً طرف خيط لكنه يعد ضرباً من الجنون، لكن فيما يحدث الآن ليس هناك ما يبشر بالعقل أبداً.

قالها وهو يخرج من الغرفة عازماً على التوجه لصديق قديم قبل ذهابه لمنزله.

صديق قد أوصاه بخدمة لأخ له منذ عدة سنوات.

لم تمر سوى خمس وعشرين دقيقة حتى كانت سيارة العقيد عزت يونس تدلف إلى مبنى المخابرات العامة، وقد رحب الجميع به بحرارة، فلم يره أحد منذ ثلاثة أعوام بعدما طلب التقاعد المبكر بتصرف غريب وغير مفهوم. الكثير منهم كان يعتقد أن العقيد عزت يونس والعقيد أيمن أبو اليزيد أحدهما سيكون رئيساً للمخابرات العامة ذات يوم والآخر سيكون نائباً له، الكثير من زملائهما كانوا يغيرون من ذلك خاصة مع تلك العلاقة القوية التي

تربطهما معًا، الكثيرون كانوا يعتقدون أنه لابد أن يكونا متنافسين، لكن على العكس تمامًا كانا يكملان بعضهما، علاقتهما تتخطى العمل لل صداقة أيضًا، هذا قبل الحادثة المفاجئة التي أودت بحياة أحد أفضل من عمل بالمخابرات العامة، المقدم أيمن أبو اليزيد.

أنهى العقيد عزت الترحيب بالجميع ثم تساءل عن مكتب المقدم خالد، حينما كان عزت لا يزال بالخدمة كان هو لا يزال رائدًا، أما الآن فقد علم أنه قد تولى مكان أيمن وتسلم مكتبه أيضًا.

تجاوز عزت الترحيب طوال مسيرته المتجهة لمكتب أيمن قديمًا إلى أن وصل إليه، حينما رأى المكتب تذكر تلك الأيام التي كانت تجمعهم بأخ لم تلده أمه بالفعل، شعر بالحزن وانقباضة قلبه، لكنه لم يُظهر أية تفاصيل على وجهه وهو يطرق الباب ويفتحه، فوجد خالد ذلك الشاب الذي كان يتعلم منه قد بدأ الشيب يسري بشعره وهو يجلس متصفحًا ملفًا من الملفات أمامه، ولكنه تركه بمجرد رؤية عزت وابتسم وهو يقف سريعًا ويتجه لعزت مرحبًا به بحرارة شديدة غير مصدق أنه قد رأى أستاذه بعد تلك الفترة وجلسا على الأريكة المقابلة للمكتب وخالد يقول:

-لا أصدق عيناى أنى قد رأيتك يا سيدى بعد مرور تلك المدة، الجميع تعجب بعد طلبك التقاعد المبكر وأنت على بعد خطوة واحدة من تولي قيادة هذا الجهاز، بل حينما أصدر الرئيس مبارك قرارًا بتعيين سيادة اللواء عمر سليمان نائبًا له الجميع تذكرك والبعض قد حزن وقال لو تواجد سيادة العقيد عزت الآن بذلك المكان كان قد حصل على لقب لواء ولن تجد المخابرات خيرًا منه لتولي مسئولية الجهاز.

ضحك عزت ضحكة دبلوماسية وهو يربت على خالد ممازحًا وهو يقول:

-الخير فيكم أنتم يا شباب، الميادين الآن تطالب بالشباب لتولي المناصب القيادية الآن،وها هي فرصتكم قد جاءت.

ضحك خالد وهو يقول:

-سيادة العقيد دعك من أقوال الشباب بالميادين حقوقهم المشروعة حلم

جميل، ولكنك تعلم جيداً أن المسؤولين عن تلك البلاد لن يسمحوا بذلك ولكل منهم وجهة نظره.

ضحك عزت بشدة ثم قال:

-مقدم بالمخابرات العامة يتحدث هكذا عن رؤسائه، لو كنت الآن بالخدمة لأحلتك الآن للتحقيق.

ضحك خالد بشدة وهو يتجه لمكتبه ويضغط زرّاً وهو يقول:

-لن تصدق كيف أفتقدتك يا سيادة العقيد، ولكن قبل أي حديث لأبد لمنزلك أن يضايفك، ماذا تحب أن تشرب؟

ابتسم عزت وهو يشعل سيجارة قائلاً:

-إذا كان لأبد، إذاً قهوة مضبوط.

دخل العامل للمكتب، وهو بالتأكيد مجند وليس بشخص مدني، وطلب منه خالد فنجانين من القهوة قبل أن يعاود خالد الجلوس والحديث مع عزت قائلاً:

-أريد أن أشكر تلك الظروف التي جعلتني أراك ثانية سيادة العقيد، إن كان بمقدوري أن أشكر من تواجد بميدان التحرير فرداً فرداً لفعلت.

عاود عزت الضحك وهو يقول:

-حتى الآن مع كل جملة تقولها تضحكني يا خالد، يكفيك من المجاملات، ثم من قال أنني أتيت لزيارتك اليوم لشيء يخص ما يحدث بمصر الآن، هذا يهتم به المختصون المتواجدون بالخدمة أما أنا فقد أتيت لشأن آخر.

بدأت الجدية على وجه خالد وهو يتساءل:

-خير يا سيادة العقيد ما هو ذلك الأمر الهام بعيداً عما يحدث بالدولة والذي جعلك تأتي للجهاز من جديد؟

نفث عزت دخاناً من سيجارته وهو يقول:

-تتذكر المقدم أيمن أبو اليزيد رحمه الله؟

أجاب خالد سريعاً:

-نعم بالتأكيد كيف لنا جميعاً أن ننسى سيادة المقدم أيمن رحمه الله، لقد كان وسيظل مثلاً يحتذى به هو وسيادتك سيادة العقيد حتى أن بعض من مهامكما تُدرس الآن لمن يلتحق بالجهاز.

تجاوز عزت هذا الإطراء وهو يطفئ سيجارته ويسأل:

-تتذكر تلك الليلة يا خالد؟ ليلة وفاة المقدم أيمن، حينما اتصلت بك وأخبرتك أنه سيأتي إليك وطلبت منك حينها تغطيته لذهابه لمنزله وعودته مرة أخرى، أتتذكر ذلك؟

أوماً خالد برأسه مجيباً:

-بالتأكيد سيادة العقيد.

-ماذا أخبرك المقدم أيمن حينها؟

-لم يخبرني بأي شيء حينها، أتى وقبل أي حديث منه أخبرته أنني أعلم كل شيء وأن سيادتك قد اتصلت بي وأخبرته أنني سأعمل على تغطية غيابه وأنه لا داعٍ للقلق، فشكرني على ذلك وخرج مسرعاً، كان يبدو عليه حينها العجلة لذلك لم أرد تعطيله.

طُرق الباب ودخل العامل بالقهوة فسكتا حتى وضعها وخرج ثم عاود عزت التساؤل قائلاً:

-فهمت، اعذرني يا خالد سأسألك سؤالاً آخر، أعلم أنني كنت بالخدمة حين تم اكتشاف الحادث والدفن وكافة ما حدث، لكن هل تم اكتشاف أي أقارب للمقدم أيمن، لقد ترك أيمن ثروة لا بأس بها فمن ورثها؟

صمت خالد قليلاً كما لو كان يتذكر، قبل أن يجيب:

-كما أتذكر كان لسيادة المقدم أيمن ابن عم واحد فقط لم نجد غيره ليتسلم تركته بعد وفاة سيادة المقدم وعائلته.

بدت اللهفة وعزت يسأل قائلاً:

-أريد اسم وعنوان ابن عم المقدم أيمن يا خالد للأهمية.

بدا التعجب على وجه خالد فلماذا يريد سيادة العقيد مثل تلك المعلومات، لكنه لم يجرؤ على الإفصاح عن تساؤلاته فنهض قائلاً:

-تحت أمرك يا سيادة العقيد تناول فقط قهوتك وأنا سأذهب لدقائق معدودة وأعود بما طلبت مني.

رشف عزت رشفة من قهوته وهو يقول بجدية بدت كما لو كانت أمراً:

-لا أريد أن أوكد أنني أريد هذا الأمر بسرية تامة سيادة المقدم.

قالها وابتسم فبادله خالد الابتسامة قائلاً:

-بالطبع سيادة العقيد بالطبع.

خرج خالد فجلس عزت يرتشف قهوته قبل أن يجد هاتفه يرن فأخرجه ليكتشف أن المتصل هو اللواء صلاح فأجاب:

-أهلاً سيادة اللواء.... إذا برنارد ليفي تأكد حضوره بالفعل بتاريخ ٢١ فبراير....

لا تقلق سيادة اللواء سيكون تحت الأعين طوال مدة تواجده وبعد زيارتي لصابر غداً سأحضر لسيادتك لمناقشة ذلك الأمر....ياذن الله... سلام سيادتك.

أغلق عزت الهاتف وعاود تناول قهوته قبل أن يدخل خالد ممسكاً بورقة وهو يقول:

-آسف إن تأخرت سيادة العقيد.

ابتسم عزت قائلاً:

-لا بأس يا خالد أنا من أعتذر إن كنت أربكتك أو تسببت في تعطيلك عن عملك، أخبرني هل أحضرت ما طلبته منك؟

بادله خالد الابتسامة وهو يقول:

-لا تقل ذلك سيادة العقيد أنت أستاذنا جميعاً، نعم اسمه الدكتور سالم

أبو اليزيد، هو دكتور جراحة شهير كما لديه عيادة خاصة وتلك المعلومات الخاصة به منزله وعمله ورقم هاتفه.

تناول عزت الورقة شاكرًا قبل أن يرتشف آخر رشفة من قهوته ويقف وهو يقول:

-أشكرك سيادة المقدم، أشكرك لوقتك ومساعدتك.

وقف خالد مصافحًا له وهو يتسم قائلاً:

-تحت خدمتك سيادة العقيد في أي وقت، لكن تلك الجلسة بالتأكيد.

-بالتأكيد سيادة المقدم بالتأكيد.

قالها عزت قبل أن يتجه للباب للخروج، وقبل أن يخرج استوقفه خالد قائلاً:

-سيادة العقيد، هل لي بسؤال فقط؟ ما رأيك بما يحدث الآن وما رأيك فيما سيحدث، هل ترى خيرًا أم ماذا فيما هو قادم؟

التفت عزت له ممسكًا بالباب وهو يقول:

-لن أخفي عليك، ما أراه قادم غير مطمئن، نحن لسنا مثل بقية الناس نحن داخل المطبخ نرى ما يحدث، نرى الظلال وهي تتلاعب من وراء الستار، نرى جميع زوايا الأمور وما نراه بكافة الأبعاد لا يطمئن بالخير.

أوماً خالد بالإيجاب وهو يقول:

-هذا ما نراه أيضًا هنا يا سيادة العقيد، لكن ما العمل فيما هو قادم؟

ابتسم عزت وهو يقول:

-تأكد أن مصر بلد مؤسسات ولها من يهتم بها كما أن وجودكم لا يقلقني أنتم من ستحملون الراية بعد ذلك ووجود شخص مثلك يا خالد يجعلني أتفاءل بما هو قادم، أوصيك بالأمور خيرًا يا خالد.

قالها مبتسمًا وخالد يبادلها الابتسامة قبل أن يفتح الباب ويخرج من المكتب ومن المبنى بأكمله متجهًا إلى وجهته المحددة الآن.

منزل الدكتور سالم أبو اليزيد.

١٧ فبراير ٢٠١١ (الساعة التاسعة مساءً)

بمنطقة المقطم

سيارة سوداء، حتى زجاجها متشح بالسواد لا تستطيع رؤية من بداخلها تسير بتمهل حتى يتوقف سائقها أمام إحدى الفيلات بمنطقة نائية بالمقطم فيترجل من المقعد الخلفي دون إحداث أي صوت وقد فتحت له أبواب الفيلا دون أن يقابله أحد لسؤاله عن هويته.

يرتدي القادم ملابس داكنة يغطيها بمعطف أسود، على الرغم من عدم برودة الجو واحتياجه لذلك، لكن تشعر كما لو أنه كان يريد أن يزيد من غموضه غموضاً بذلك المعطف، لا تسمع صوت خطواته، يسير كما لو كان يسير على الهواء، يسير بهدوء إلى أن يصل للباب فيضغط على الجرس ليصدر الجرس صوته المألوف معلناً بوجود قادم، ولم تكد تمر سوى ثوان معدودة حتى فتح الباب، كان من فتح الباب رجل ستييني ذو لحية بيضاء تشعر كما لو كان شكله مألوفاً، كانت بعض الصحف تتناول أخباره بشكل دائم يصاحبه دائماً عنوان الجماعة المحظورة، يشير للقادم بالدخول، فلا يتردد القادم ويدخل إلى المنزل دون أي حديث وهو يخلع المعطف ويتقدم باتجاه أحد المقاعد دون الانتظار لأي ترحيب أو عرض من صاحب المنزل كما لو أن هذا المنزل منزله هو.

ترى الرجل الستييني يغلق الباب ثم يلتفت له مرحباً بشدة قائلاً:

-أهلاً بك مستر جون، تشرفت بزيارتك لي اليوم، أود أن أشكركم وأشكر السيدة آن باترسون على مجهوداتها طوال المدة الماضية.

ابتسم جون قائلاً:

-لا عليك نحن نتطلع للتعاون معكم منذ زمن بعيد، كيف لنا ألا نتعاون معكم ومع بطل مثل مستر حمدي عاطف، شخص مثلك لدينا كان قد أصبح

بطلاً كجون كينيدي مثلاً.

ضحك حمدي وهو يقول:

-أتريديني قتيلاً مثل جون كينيدي يا مستر جون؟ ثم منذ متى ورئيس تيار إسلامي يكون حليفاً قوياً للولايات المتحدة؟ لم أكن أظنها ستحدث في يوم من الأيام، لكن ما فعلتموه معنا خلال السنوات القليلة الماضية أخفى وازع الشك لدي من أن تكون لعبة تديرونها مع نظام مبارك، لكن وازع الشك اختفى وبقي وازع التساؤل، لماذا؟ لماذا تتعاون الولايات المتحدة ذات الكراهية للمسلمين معنا؟ ودعنا نتكلم بعيداً عن الشكليات، أنتم تكرهوننا ونحن نكرهكم، هذه هي الحقيقة وأنا أعشق الحديث دون مجاملة، إذا لماذا قدمتم لنا يد العون طيلة الفترة الماضية؟

صمت جون قبل أن يتحدث بابتسامة مزيفة قائلاً:

-أحب من يتحدث بالصراحة المطلقة مثلك مستر حمدي، ولنقل غن أحد أسباب التعاون معكم هي صراحتكم تلك، لكن تلك الصراحة نعلم جيداً أنها ليست بكل الأمور، نعلم أن ذات الأمر لو كان أمام مسز باترسون لم تكن لتقوله، بل كنت قد طوعت بعض الأمثلة من دينكم على حب المسحيين والتآلف بين الدول، لكن دعنا من كل تلك الترهات، المصالح مستر حمدي المصالح تجعلنا نتجنب أي شيء ونحن نعلم منذ فترة أن نظام مبارك قارب على الانتهاء لذلك كان لابد لنا من الاتجاه ودعم النظام الآخر والاكثر تنظيماً من يستطيع تحمل أعباء حكم مصر الفترة القادمة لذلك كان لابد لنا من التعاون معكم.

لا تقلق، النظام هنا قبل رحيله لا يقتلنا، هو يضعنا تحت يديه يريدنا فرعاً من فروعهِ ولكن بصبغة إسلامية، نحن نعلم ذلك تمام العلم وتركناه يظن أننا نريد ذلك أيضاً يظن أنه يتلاعب بنا ولكنه كالأحمق لم يعلم أننا نتلاعب به.

-هذا ما نريده منكم أيضاً أن تتلاعبوا بمن هم في السلطة حالياً، نريد أن يشعروا أنكم تنفذون ما يملونه عليكم وما يريدونه ومن جهتنا سندعمكم وسنزكيكم حتى تصلوا لسدة الحكم في مصر.

قالها جون قبل أن يتراجع حمدي بمقعده مبتسمًا وهو يقول:

-لن أقول لك إننا لا نريد مساعدة أحد كما قلت أنت مسبقًا، نحن نجيد التلاعب، كما أننا الأكثر تنظيمًا الآن بالشارع المصري، كما أننا الآن نستطيع القول أن حتى القائمين على السلطة بالدولة الآن ما هم إلا ممر لنقل السلطة لنا، ويعلمون بشكل قاطع أن الأمر ما هو إلا مسألة وقت فقط وسيتم تسليم السلطة إلينا، نحن رؤساؤهم الآن مستر جون وهم كالموظفين المأجورين لدينا ونحن من نتحكم بالأمر، نحن من سنجعلهم بأماكنهم لفترة ما، وحين انتهاء تلك الفترة وفق ما نريد سنجعلهم يتنازلون عن السلطة لنا طوعًا أو كراهية، الأمر لا يهم نحن نجيد ذلك، وبالنسبة لعرضك فلم لا، نحن لا نعادي أحدًا كما أننا نريد أن نظهر المعدن الحقيقي للإسلام وهو التعاون مع جميع الأطراف دون عدااء مع أحد.

ابتسم جون كثيرًا ثم ضحك ضحكة خفيفة قبل أن يقول:

-سيد حمدي إن كنت تجيد الحديث وتجيد التلاعب وأنا أشهد بذلك، لكنك لن تجيد التلاعب معنا، التلاعب سمتنا وأنت تعلم بهذا، وتعلم أننا لسنا وحدنا أنا هنا لست ممثلاً عن الولايات المتحدة، أنا ممثل عن العين وأنت تعلم ما هي العين جيدًا فأريد منك أن تتأكد أنكم بحاجة إلينا وليس الأمر أننا بحاجة إليكم أنتم، العين بكل مكان وإن رفضتم عرضنا نستطيع أن نمحو تاريخ الثمانين عامًا لديكم وإنشاء تاريخ حديث لجهة أخرى حديثة، فأرجو أن تعلم حقيقة الوضع سيد حمدي قبل أي حديث آخر.

بدا التوتر على وجه حمدي وهو يقول:

-بالطبع بالطبع.

ثم وقف وهو يستطرد:

-نحن بيت كرم وحتى الآن لم أعرض عليك واجب الضيافة ماذا تحب أن تشرب سيد جون.

قال جون ملوحًا له بالجلوس:

-لا داعي لذلك لا داعي أنا هنا للحديث معك بأمر هام ثم سأرحل على الفور.

جلس حمدي وهو يتساءل:

-ماهو ذلك الأمر؟

أجاب جون وهو يضع قدمًا على الأخرى:

-بعد عدة أيام وبالتحديد يوم الثاني والعشرين من فبراير زيارة السيد برنارد ليفي وهو شخص هام جدًا للعين نريد منكم ترتيب الأمور الخاصة بتلك الزيارة مع السلطات القائمة بالدولة نريد الأمان التام لمستر ليفي.

-وما أهمية ليفي هذا؟ وما المقابل لذلك؟

قالها حمدي فبدا الغضب على وجه جون وهو يقول:

-حمدي أرجو منك ألا تغيّر وجهة نظري ووجهة نظر رؤسائي بك، أنتم - ولنجعل الأوراق مكشوفة - تعملون لدينا من الآن وذلك في مقابل أن تُسلم السلطة لكم، نحن نستطيع تغييرك أنت من خلال جماعتك، العين بكل مكان وتتحكم بكل شيء لا يغرّنكم أنكم خارج السجون وتمتلكون السلطة الآن، نستطيع تغييرك، تغيير جماعتك، تغيير الشعب بأكمله حتى، لذلك نرجو منكم وتأكيدًا مرة أخرى منا أنكم لا تعملون معنا بل تعملون لدينا، ونحن لا نحبذ أن يكون من يعمل لدينا كثير الأسئلة يا صديقي نفذ ما يُطلب منك فقط، هل الأمر صعب لتلك الدرجة؟

لم يرد حمدي فاستطرد جون:

-مستر حمدي هل الأمر صعب؟

بدا حمدي مرتبكا وهو يقول:

-لا لا.

أنقذ حمدي من ارتبائه ارتفاع جرس المنزل معبرًا عن ضيف آخر قادم، فتساءل جون وقد بدا الشك بتساؤله:

-هل تنتظر أحداً آخر؟

هز حمد رأسه بالنفي مجيباً:

-على الإطلاق حتى أن من يعمل لديّ قد أعطيته اليوم بالكامل إجازة وعائلتي جعلتها تنقل إقامتها بالمنزل الآخر، لا يوجد أحد سواي أنا وأنت ولا أنتظر أحداً آخر؟

لم تبتعد نظرات الشك من عيني جون وهو يأمر حمدي:

-إذا أريد منك أن تعلم من القادم، لا تفتح له، اسأله قبل فتح الباب، وإن كان شخصاً دون أهمية فاطلب منه الرحيل على الفور.

لم يتفوه حمدي بأية كلمة بل وقف متجهاً للباب وهو يسأل عن القادم فأتى صوت ما بلهجة أجنبية فقال جون:

-إنه بيل سائقي الغبي لقد أكدت له عدة مرات ألا يأتي لهما مهما كان الأمر لكن افتح له الباب مستر حمدي وأنا لي تصرف آخر معه بعد ذلك.

فتح حمدي الباب فوجد القادم شاباً ثلاثينياً ذا جسد نحيف وشعر بني ناعم يقف مرتجفاً فوجد جون يقف ويتجه له ينعته بشتائم باللغة الإنجليزية ويسأله عن السبب الذي جعله يأتي إلى هنا، وقبل أن يصل جون للباب وجداً بيل يسقط أرضاً بعدما دفعه أحدهم للداخل ومن خلفه ظهر هو ممسكاً بمسدس كاتم للصوت قائلاً:

-كيف لكم أن تضعوا خطة انتقال السلطة بمصر من دوني؟ أليس لي نصيب بتلك الكعكة؟

قالها بسخرية مبتسماً، فقد كان القادم هو أبادون.

الفصل التاسع

تقف سيارة عزت أمام إحدى البنايات بمنطقة مدينة نصر، يوقف سيارته ويترجل منها وهو يمسك الورقة ويقرأ العنوان مرة أخرى ثم يتجه إلى مدخل البناية فيسأل حارسها عن شقة الدكتور سالم، يخبره الحارس أنها الكائنة بالدور الرابع، يشكره ويتجه للداخل ويضغط زر المصعد وهو ينتظر.

كان يعلم أن الوقت متأخر لمثل تلك الزيارة لكنه كان يعتمد القيام بها في هذا التوقيت حيث إنه يعتمد أسلوب المباغثة في الحوار، ومن أفضل أساليب المباغثة هو اختيار التوقيت الذي لا يتوقعه الخصم على الرغم من أن الدكتور سالم لا يعلم بقدمه لكن هذا التوقيت سيجعله في حالة يصعب عليه التفكير إلا في الحقيقة التي يريدها فقط.

جاء المصعد فاستقله عزت وهو يفكر.

هل ما يفكر به صحيح؟

أمن المعقول أن يكون الأمر مثلما يشك به؟

بداخله يتمنى لو كان ما يفكر به صحيحًا، وبذات الوقت جانب آخر منه لا يريد ذلك، بداخله اثنان يتشاطران مشاعره، الأمر ذاته صعب.

أخرجه من ذلك التفكير وصول المصعد للطابق الرابع ففتح باب المصعد وهو يكتشف من حوله الطابق الذي يحتوي على ثلاث شقق إحداهم بابها مطلي باللون الأسود وقد تزين باسم د. سالم أبو اليزيد.

طرق عزت الباب وانتظر حتى جاء صوت من الداخل يتساءل عمن الآتي فلم يجب عزت وانتظر حتى فتح الباب وقد ظهر من خلفه رجل ببداية الخمسينات من العمر يرتدي ملابس النوم وعلى وجهه كما لو كان نائمًا أو يستعد للنوم فنظر لعزت نظرة متعجبة وهو يسأل:

-مَن حضرتك؟

حاول العقيد عزت رسم ابتسامة على وجهه وهو يجيب:

-أعتذر لحضرتك عن قدومي في مثل هذا التوقيت قبل أي شيء، مع حضرتك العقيد عزت يونس زميل ابن عمك سيادة المقدم أيمن أبو اليزيد رحمه الله.

تماسك سالم عند سماع اسم أيمن وهو يتساءل:

-أيمن؟ وما الأمر المتعلق بأيمن والذي يترتب عليه حضورك أستاذ عزت إليّ في مثل هذا الوقت المتأخر؟

على الرغم من المفاجأة وعلى الرغم من تماسك سالم إلا أن عزت لم يكن كشخص عادي، فهو يستطيع رؤية الاختلاف والتعبيرات على وجوه الأشخاص حتى وإن كان بسيطاً وهذا بحكم وطبيعة عمله، وهو يعلم جيداً أن الجملة الأخيرة من سالم لم تكن إلا وسيلة إحراج لكي تجعله يتراجع أو يعتذر عن الحضور وينصرف لكن عزت قال بكل هدوء:

-الأمر هام دكتور سالم وأنت تعلم الظروف التي تمر بها الدولة الآن، لنقل إن الأمر يتعلق بأمن الدولة فهل تسمح لي بالدخول، مجرد زيارة قصيرة ولن يتعدى الأمر العشر دقائق.

مرة أخرى يشعر سالم أن عزت يضعه بما هو يريد، يشعر كلا الطرفين أن كل منهما يلاعب الآخر، عزت يريد حديثاً من سالم، وسالم لا يريد الحديث عن أي مواضيع تتعلق بأيمن، لكنه لم يجد مفراً بعد جملة عزت الأخيرة سوى السماح له بالدخول.

دخل عزت ومن خلفه سار سالم وعزت ينظر حوله بهدوء قائلاً:

-أبدي إعجابي يا دكتور سالم ببيتك الأنيق والمؤثث بطريقة بسيطة وهادئة تدل على ذوق رفيع.

أجاب سالم بشكل مقتضب:

-أشكرك سيد عزت، كنت قد أخبرتني أن الأمر يتعلق بأيمن رحمه الله وبأمن الدولة، الآن هل لي أن أعلم ما الرابط بين ابن عمي رحمه الله وبين أمن الدولة؟.

تنحنح عزت مبتسماً ثم أخرج علبة سجائره وهو يُعطي لسالم إحدى السجائر

التي رفضها متعللاً بأنه لا يدخن، فوضع عزت السيجارة بفمه وهو يستأذن من سالم بأن يشعلها فأخبره سالم أنه لا إزعاج في ذلك، أشعلها عزت وهو ينظر لسالم قليلاً ثم قال:

-دكتور سالم المقدم أيمن كان أكثر من أخ لي، كنت أنا وهو لا نتفارق سواء عملاً أو صداقة خارج العمل، حتى أن علاقتنا قد امتدت لخارج العمل بين العائلتين قبل أن تحدث تلك الحادثة في تلك الليلة السوداء رحمهم الله جميعاً.

صمت سالم فأكمل عزت:

-كان أيمن كثير الحديث عنك، وكنت أتمنى أن أتشرف بمقابلتك في ظروف أفضل من تلك، لكن لن أطيل عليك، أتذكر تلك الليلة التي حدثت بها تلك الحادثة؟.

-نعم أذكرها جيداً، كنت أتمنى أن أكون متواجداً خلال اندلاع النيران، كنت أتمنى أن أحاول التصرف دون حدوث ذلك.

-أعلم شعورك دكتور سالم رحمهم الله، لكن ألم يتصل بك أيمن حينها، ألم يخبرك بأي شيء؟

نفى سالم الأمر برأسه قائلاً:

-على الإطلاق، أيمن لم يتحدث معي حينها، كم كنت أتمنى أن يتحدث معي، كنت أتمنى سماع صوته حتى ولو لآخر مرة.
رمقه عزت بنظرة قبل أن ينفث دخانه قائلاً:

-دكتور سالم، أنت الوريث الوحيد للمقدم أيمن أليس كذلك؟

-نعم وأظن أن ذلك مثبت لديكم.

قالها سالم بسخرية واضحة فتفادها عزت وهو يسأل:

-اعذرني، ثروة أيمن كانت كبيرة على ما نعلم، كيف لك أن ترث مثل تلك الثروة وحتى الآن لا تستخدمها؟

بدا بعض الغضب يظهر على وجه سالم وظهر ذلك على نبرة صوته وهو يقول:

-سيادة العقيد، ابن عمي توفي في حادث أليم وخسر على إثره حياته وحياته زوجته وأبنائه، كيف لي أن أستخدم ثروته بعد تلك الحادثة، ثروته كما هي بالبنوك وما أستخدمه منها هو لأعمال الخير على روح ابن عمي وعائلته.

أطفأ عزت سيجارته وهو يقول:

-اسمح لي أن أبدي إعجابي بشخصيتك دكتور سالم، أنت أخ بالفعل والآن علمت لماذا كان أيمن يعدك أخًا بالفعل.

قال سالم بنفاد صبر:

-سيادة العقيد لا أظن أنك قد تركت أعمالك وما تمر به البلاد الآن لكي تمدح بي وبكرم أخلاقي، هل يوجد أي شيء آخر؟.

ابتسم عزت وهو يقف ويقول:

-لا على الإطلاق أنا فقط كنت أتمنى زيارتك منذ زمن، وما يحدث الآن بالبلاد نظن أن له صلة بحادث ابن عمك لذلك أردت أن أسألك تلك الأسئلة كتأكيد لتحرياتي ليس إلا.

أظهر سالم بعض الفضول وهو يتساءل:

-أتعني أن ما حدث لم يكن مجرد حادث عن غير عمد، وأن هناك جناة بالأمر؟.

ربت عزت على كتفه وهو يقول:

-كل شيء سوف يظهر قريبًا يا عزيزي، كل شيء سيظهر قريبًا.

قالها وهو يُخرج الكارت الخاص به ويعطيه لسالم قائلاً:

-هذا الكارت الخاص بي، إن أردت أي شيء أو تذكرت أي أمر غير معتاد بما يخص أيمن أرجو منك الاتصال بي.

أخذ سالم الكارت وهو يصطحب عزت للباب وودعه قائلاً:
-تذكر أنني بانتظار مكالمة منك قريباً دكتور سالم ونحن صف واحد.
قالها وهو يُغلق الباب خلفه دون أن ينتظر سماع رد من سالم.

١٧ فبراير ٢٠١١ - منزل أبادون

كانت هي تسير بين جدران القبو، القبو الذي أصبح منزلاً لأبادون، منزل غير مرئي، منزل يختفي فيه ذلك الظل الذي تجري خلفه عدة جهات في مقدمتها سلطات الدولة ويواجه من جهة أخرى سلطات تعلو سلطات الدولة بل كانت تتحكم بسلطات الدولة وتوجهها دون أن تعي ذلك.

وحده فقط هو يعلم أن كل ذلك يجعله يحمل على كاهله جبلاً من الهموم، يكفيه فقط حزنه على عائلته وعلى الرغم من ذلك تجاوزه، تجاوزه بدافع الانتقام في المقام الأول لكن انتقامه قد أفاد أناساً كثيرين، الآن لا تعلم ماذا إذا لم يكن أبادون في تلك الحياة ماذا كان سيحدث لمصر، هو يعلم ما يريدونه، يسبقهم دائماً بخطوة، يلاعبهم لعبتهم الآن بل ويلاعب السلطات المصرية التي لا تعي ما يحدث حولها، حقاً يا أبادون أنت أحد أبطال الظل، هل سيأتي اليوم الذي تظهر فيه للنور، هل سيأتي اليوم الذي يعلم فيه الجميع ما يفعله أبادون لهم، كم تتمنى ذلك.

أحياناً كانت تندهش من نفسها، كيف لها أن تحب قاتل أبيها بمثل هذا الشكل، نعم إنها تحبه لا تستطيع أن تنكر ذلك، وهو يحبها تشعر بذلك، الحب شعور فطري غريزي لا يحتاج أن نخبرنا أحدهم أننا نعيش حالة الحب، نحن نعلم أننا نحب لأننا ببساطة نحب.

لماذا أحبت أبادون الذي شعرت به منذ أول مرة رأته فيها؟ لا تعلم، لكن هل تساءلت في أحد الأيام لماذا هذا والدك؟ لماذا هذا وطنك؟ هذا هو الحب لا نختره، هو يختارنا ونحن ضحاياه هو من يختار ضحاياه.

تسير بالمنزل وتفكر، عندما ترى المنزل لا تشعر أنك بالقبو، لقد أثت بشكل

كامل وأنيق، تشعر أنك بمنزل كامل وكافة ما تحتاج به، أربع غرف ومطبخ معد لإعداد الطعام بشكل كامل، أثاث حديث ومكتبة كبيرة بها كتب كثيرة في مجالات مختلفة بداية من الروايات حتى كتب العلوم والتاريخ، الآن علمت مصدر ثقافته.

كانت تسير بالمنزل وهي سعيدة أن ترى هذا المكان الذي أخرج تلك الحالة المعقدة كأبادون. كانت تكتشف جميع أرجائه إلى أن وصلت لإحدى الغرف، لكنها كنت موصدة لا تستطيع دخولها حاولت عدة مرات فتح الباب لكنها لم تستطع ذلك، ما شأن تلك الغرفة وما بها.

قتلها الفضول فأسرعت بإحضار سكين من المطبخ تحاول معالجة مزلاج الباب، هي تعرف جيداً أن ما تقوم به يخالف ما تربت عليه، يخالف مبادئها بعدم اقتحام ما يخص الغير، لكن أبادون ليس غيراً الآن، أبادون أصبح هي وهي أصبحت أبادون، يكفي أنه قد تركها دون أن يوضح وجهته.

كان عملها بالمشفى وما تواجهه قد جعلها تتعلم الكثير مما كانت تخفيه عن أبيها، كان دائماً يرى أن ما تعمل به وما تفعله لا يمت بصلة لأولاد الأصول، وفي النهاية أتضح أنه هو لا يمت بصلة للإنسانية.

عالجت الباب وفتحته ودخلت الغرفة وهي تضيء أنوارها وما شاهدته أوقفها دون حراك.

كانت لا تعلم ما هو شعورها.

أمامها كانت صور، عدة صور، تراه هو من خلالها دون تشوه بوجهه، وسيم للغاية، ببعض الصور يحتضن طفلة، وبصور أخرى طفلاً، وبصور أخرى الاثنين معاً، وهناك صور لامرأة جميلة ذات جمال هاديء تبدو عليها الطيبة، تلك هي زوجته، له حق في أن يحبها كل هذا الحب، لم تعلم لماذا شعرت بتلك الغيرة من امرأة ماتت بطريقة لا تستحقها، نتيجة عمل زوجها، لكنها امرأة تغار، سكتت وهي تنتقل بنظرها لبقية الصور، تلك الصورة يبتسم فيها وهو يمازح شخصاً يبدو صديقاً حميماً له، صورة أخرى كان شاباً ويتردي زي الشرطة ويتسلم إحدى الشهادات من أحد رؤساء كلية الشرطة، ابتسمت

وهي ترى الفرحة بعينيه، تلك الصور تمثل ماضيًا مبهجًا لأبادون، جانبه المضيء قبل أن يظهر جانب شخصية أبادون، كم كانت تتمنى لو رآته حينها، لكن ما يهون عليها أنها لم تكن لتستطيع أن تبقى معه حينئذ.

كانت ترى بقية ما يوجد بالغرفة كانت هناك لعبة دب قطني قد احترق بشكل كامل، لكن أبادون لا يزال محتفظًا به ابتسمت بألم وهي تفكر بأنه لابد أنه يخص أحد أبنائه.

كانت تسير بالغرفة وهي تشعر بروح أبادون السابقة تكتشف عالمه وماضيه، لا تعلم كم من الوقت مر بهذا العالم ولكنها سمعت صوتًا أخرجها مما هي فيه يقول:

-مَن أنتِ؟ ومَن أتى بكِ إلى هنا؟

طوال طريقه للمنزل كان يفكر فيما يشك به، مقابلته مع الدكتور سالم لم تطفئ حبه، وقبل أن يقابله كان يعلم نتيجة تلك المقابلة، لكنه يحاول تحريك المياه الراكدة، يحاول إحياء قضية قد أغلقت منذ عدة سنوات وقيدت ضد مجهول، هل يُحيي ذلك صاحب القضية أيضًا؟

بعد تلك الليلة وبعد أن تأكد كالعادة أنه ليس هناك من يتبعه اتجه أبادون لمنزله أو القبو، كان عليه أن يجتاز بقايا وركام المنزل المحترق والذي كان قد طلب من سالم أن يبقى كما هو كأحد عناصر التذكرة لما حدث عند خروجه أو دخوله من هذا المكان، يريد أن يظل الأمر كما هو لا يعلم إن كان ذلك تذكرة دائمة له أم أنه يتلذذ بتعذيب نفسه كنوع من أنواع العقاب النفسي بعدما تسبب بمقتل زوجته وطفليه، لا يعلم ولكنه يعلم شيئًا واحدًا فقط، أنه يريد كل ما حدث كما هو بهذا المكان.

دخل أبادون للمنزل المحترق وهو يبحث عن مدخل القبو واتجه إلى أحد الركام وأزاح عنه بعض الأخشاب المحترقة وبعض الصخور وكشف ذلك عن

أرضية محترقة هي الأخرى حينها قام بتحريك إصبعه بشكل مربع فكشف ذلك عن حاجز لا يُرى سوى بأعين خبيرة تعلم هذا المكان جيداً، واتجه صوب أحد أركان ذلك المربع وهو يزيح أحد قفازيه ويضعه عليه فسمع تكة خفيفة، حينها أخرج أحد المفاتيح وأزاح غباراً آخرٍ بأحد الأركان كاشفاً عن فتحة لدخول ذلك المفتاح، حينها اتجه للخلف قليلاً وهو يُمسك أحد البقايا المعدنية الناتجة من احتراق المنزل التي لم تكن سوى مقبض أمسكه وهو يزيح ذلك الباب كاشفاً عن سلالمة أسلفه قد أضيئت بإضاءة باهتة فبدأ بنزول بعض درجات السلم ومن خلفه أحكم غلق هذا الباب من جديد بالمفتاح أيضاً وعاود نزول درجات السلم.

كان يشعر بحاجته في تلك اللحظة لرؤية آمال، يعلم أن قلبه قد تعلق بها، يريد إبعاد ذلك الشعور الذي بدأ يسطير عليه، كان يشعر بعدم الراحة النفسية تجاه ما يشعر به، وأحياناً كان يشعر بخيانتته لزوجته المتوفاة، كيف له أن يحب غيرها مهما كانت الظروف، لقد وهب نفسه للانتقام والانتقام فقط، لكنه مهما حاول كتمان ذلك الشعور لن يستطيع، لقد وُلد الإنسان بدون أزرار يستطيع التحكم من خلالها بمشاعره، حاول مراراً وتكراراً قتل ذلك الشعور، لكنه حتى بابتعاده عنها حينما رحل من المصححة لم تفارق وجدانه فكيف له أن يتجاهل ما يشعر به وقد أصبحت مثله ليس لها في هذه الدنيا سواه الآن.

نفض عنه ذلك التفكير وقد وصل إلى منزله فوجد أن المنزل هاديء كما اعتاد عليه قبل قدوم آمال إليه، أين هي إذا؟ هل هي نائمة؟ لا يظن ذلك، بدأ بالبحث عنها بغرفتها لكنه لم يجدها اتجه للمطبخ والصالة فلم يجدها، لكنه لمح أن باب غرفته الخاصة قد فتح اتجه إليه سريعاً قبل أن يجد سالم وهو يجلس وأمامه آمال يتحدثان وبمجرد دخوله توقفا عن الحديث.

لأول مرة يشعر بهذا الغضب منذ أن رآها أول مرة هي ذاتها شعرت بذلك من تعبيرات وجهه، نظر للصور على الحائط ثم عاود النظر إليها بغضب، فانكملت آمال بمقعدها وهي تشعر بحجم ما فعلته بدخولها تلك الغرفة، لم يقطع تلك النظرات سوى صوت سالم الذي بدأ بالحديث قائلاً:

-أيمن، أين كنت طوال تلك الفترة، لقد أتيت لك بأمر هام ولقد تعرفت خلال فترة غيابك على الدكتورة آمال، إنها إنسانة رائعة للغاية، سعيد أنني وجدتتها هنا، سعيد يا ابن عمي أنه قد أصبحت لديك صحبة بهذا المنزل، لا تعلم كيف كنت أشعر حينما كنت أتركك هنا بمفردك وأنا لا أستطيع أن أصطحبك معي أو أن أمكث معك هنا طبقاً لتعليماتك.

تجاهل أبادون ما قاله سالم وهو ينظر لآمال قائلاً:

-ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟

بدا صوته غاضباً بشدة وهو ما لاحظته سالم فحاول تهدئة الأمر قائلاً:

-أيمن، اهدأ يا أيمن، لقد كانت تحاول إعادة ترتيب المنزل من جديد لك ولم يتبق سوى تلك الغرفة ولم تجد أمامها سوى أن تفتحها اهدأ أمر ونتهى يا أيمن.

صمت أبادون وهو ينظر ذات النظرة لآمال الذي بدا عليها الرعب وانكلمت أكثر بمقعدها كالطفلة فأبعد عنها أبادون نظره متجاهلاً إياها وموجهاً حديثه لسالم وهو يقول:

-سالم، لقد أخبرتك من قبل، لا أطيق أن تنادينني بأيمن هذا، قلت لك مسبقاً اسمي هو أبادون، أبادون وأبادون فقط.

-أنت تطلق على نفسك ما تريد، لكنك بالنسبة لي أيمن وستظل أيمن فقط.
بدا صبر أبادون ينفد وهو يقول:

-سالم ما الذي أتى بكِ إلى هنا وفي مثل هذا التوقيت؟

بدا سالم يتحدث بجدية أكثر وهو يسأل أيمن قائلاً:

-أيمن هل تعلم شخصاً يدعى عزت يونس؟

بدا أبادون كما لو تعرض لصاعقة عند سماعه للاسم فقال:

-عزت يونس؟ من أين أتيت بهذا الاسم يا سالم؟

جلس سالم وهو يقول:

-لقد جاء لي اليوم من ساعتين تقريباً وكانت المقابلة بيننا فاترة تعمدت أنا ذلك حينما شعرت أن الأمر يخصك، لكنه لم يطل بالحديث سألني فقط سؤالين، الأول هل تحدثت معك في ليلة الحادثة، والسؤال الثاني عن ثروتك، لماذا لم أستفد منها حتى الآن؟

بدا القلق على وجه أبادون وهو يسأل:

-وماذا أخبرته؟

أجاب سالم سريعاً:

-لم أخبره شيئاً، أخبرته أنك لم تتحدث معي على الإطلاق في ذلك اليوم وكم كنت أتمنى أن أتلقى اتصالاً منك حينها، أما عن ثروتك فأخبرته أنني أزهداها، فكيف لي أن أستفيد من ثروة أخي وقد توفى هو وعائلته في حادث أليم كالذي حدث.

صمت أبادون وبدا عليه التفكير فاحترم سالم صمته وآمال لا تتحدث بل تتابع الموقف بعينها فقط إلى أن كسر أبادون حاجز ذلك الصمت قائلاً:

-هل تتوقع أنه قد صدق ما أخبرته به؟

-لا أعلم لكن تلك الحقيقة، ما قلته هو الحقيقة وهو شعوري، إن كنت بذلك الموقف فلن أستفيد مما تركت شيئاً، كما بدا عزت هذا غريباً بعض الشيء، بدا كأخ لك شعرت كما لو كان ينتظر مني أية إجابة حول وجودك حياً، بالطبع لم أخبره لكنه أعطى كارتته الخاص لي وهو يقول إنه يظن أن ما حدث لك نتيجة حادثة جنائية بفعل فاعل وليس مجرد حادث عارض وأن الأمر متعلق بما يحدث بمصر الآن، حاولت معرفة ما الرابط ولكنه لم يخبرني المزيد، فقط طلب مني إن أردت الحديث بأي شيء يخصك أو إن تذكرت شيئاً أن أتصل به على رقمه الخاص.

أخذ أبادون الكارت من سالم وهو يسجل الرقم ثم قال:

-سالم، أريد منك العودة فوراً لمنزلك، لا أعلم كيف خرجت من منزلك في هذا الوقت وحظر التجوال الآن، لكنني أريد منك العودة، لا تحاول الاتصال

بي أو المجيء إلى هنا خلال الفترة القادمة، إن أحتجت لشيء سأتصل أنا بك وإن أردت إخباري بأي شيء للضرورة القصوى فلا تتصل بي حينها من رقمك الخاص اتصل بي فقط من رقم خارجي.

حاول سالم إضفاء بعض المرح خاصة بعد رؤية أبادون مشتتًا مما قال ومن قبله غضبه من آمال وهو يقول:

-بما يخص كيف أتيت إلى هنا وسط حظر التجوال فلا تقلق، كيف أكون أخ أبادون الشخص الذي تبحث عنه الدولة وعدة جهات أخرى وهو كالظل لهم ولا أتعلم منه، لا تقلق الحظر منذ إعلان مبارك تنازله عن الحكم لم يعد مثلما كان قبلاً، كما أن هذا الحظر يساعدني كثيراً في الكشف عن إن كنت مراقباً أم لا، فلا تقلق يا صديقي.

لم يهتم أبادون بما قاله سالم وهو يقول:

-سالم عد لمنزلك الآن قبل أن يبدأ بزوغ الفجر أريد في الصباح أن يراك الجميع بمنزلك وفراشك.

شعر سالم بالإحراج بعدما تجاهل أبادون قوله فنظر إلى آمال التي ما زالت مذعورة كالطفلة الصغيرة وهو يقول:

-تشرفت بك يا دكتورة آمال، لنا مقابلة أخرى بالطبع وسنتحدث كثيراً، اعطني بابن عمي جيداً.

قالها وهو يمسك بيد أبادون خارجاً من الغرفة ومتجهاً لبوابة القبو وهو يقول لأبادون هامساً:

-اسمعي يا ابن عمي، تلك الشابة علمت منها ما مر بها وليس لها سواك الآن، أعلم أنها قد أخطأت بعدما تجاوزت تلك الغرفة، صومعتك الخاصة لكن اسمع مني، يكفي ما فعلته بها الآن ويكفيك محافظتك على ذكرياتك طوال تلك الفترة والعيش معها، أنا لن أنسى مثلك ما حدث ونعمل على تحقيق العدالة ولم أخذلك بذلك فلا تخذلي علينا دائماً الاحتفاظ بذكرانا وبالتوازي خلق ذكريات أخرى وقد كنت بدأت أفقد ذلك حتى رأيت آمال

الآن وبدخولها هنا أعلم أن ذلك ليس بالشيء الهين وأنك تهتم بها، ومن حديثي معها رأيت مدى اهتمامها بك، أرجوك تجاوز ما حدث واهتم بها، هي لم يعد لها سواك كما لم يعد لك أنت سواها الآن.
حاول أبادون الحديث والذي بدا مترددًا منه وهو يقول:
-لكن.....

أسكته سالم وهو يتجه لدرجات سلم القبو وهو يقول:
-ليس هناك ولكن يا ابن عمي اسمع ما قلت وأنا أعلم جيدًا ما بداخلك الآن.
قالها وهو يفتح بوابة ذلك القبو بمفتاحه الخاص الذي أعطاه أبادون له لدخوله وخروجه القبو وقتما يشاء فنظر لأبادون قائلاً:
-كم أتوق لذلك اليوم الذي أرى فيه عودتك لحياة طبيعية مرة أخرى يا أيمن.
قالها مغلقًا الباب خلفه وأبادون يقف في حيرة وهو ينظر للغرفة المفتوحة فاتجه إليها رامقًا آمال التي ما زالت بمقعدها خائفة من ردة فعله فحاولت كسر حاجز الصمت وهي تقول بتردد:

-اعذرنى، أنا... أنا لم أكن أعلم أهمية تلك الغرفة لديك وإذا كنت أعلم مقدار غضبك مني، حينها أقسم لك أنني لم أجرؤ على دخولها أقسم لك.
لم يعلم أبادون ما يقوله فهو ما زال يشعر بالغضب منها مما حدث ومن تجاوزها لذكرياته ولكنه في ذات الوقت يشعر بالشفقة عليها وهو يراها ترتجف كالطفلة التي أخطأت بحق أبيها فتحدث بصوت حاول أن يكسبه الجدية والصرامة:

-أنت لا تعلمين ما فعلت به لقد اقتحمت مكانًا لم يكن عليك الدخول فيه، هذا المكان كان أنا، هذا المكان يذكرني ببقايا بعض من أيمن الذي مات تلك الليلة وصعد من رفاته أبادون، حتى أنا لم أجرؤ كثيرًا على الدخول إلى هنا إلا حينما أشعر بالاشتياق إليهم.

قالها وهو يشير على الصور المعلقة على الجدران فاتجهت آمال له وفاجأته بمعانقته عناقًا قويًا دافئًا كعناق أم وليس حبيبة وهي تقول:

-أعلم، لقد شعرت ببقايا أيمن، رأيت هنا روحه، رأيت ابتسامته الحقيقية وليست تلك الضحكة المريرة ضحكة أبادون، رأيتك يا أيمن من خلال تلك الصور شاركتك ذكرياتك التي لم أعشها معك وكم كنت أتمنى أن أعيشها معك.

لم يشعر أيمن بذاته إلا وهو يبادلها العناق ويقبل جبينها ويقول:

-لا أريد لذلك أن يحدث لا أريد أن أشعر بما أشعر به الآن، لقد مات قلبي يا آمال، وأنت تحيينه مرة أخرى، لا أريد لأيمن أن يعود أريد لأبادون أن يظل، أريده أن يبقى أنا قوي بأبادون ضعيف بأيمن، ولا أريد لأيمن أن يعود الآن.

فاجأته آمال بقبلة طويلة قبل أن تقول:

-وأنا سأساعدك سأظل بجانبك ستكون معي أيمن هنا وسأكون حينها معك آمال، وستكون أبادون بالخارج وسأكون ليليث معك بالخارج، أنا وأنت أصبحنا شخصًا واحدًا وقدرًا واحدًا.

قالتها وهي تقبله وأبادون يبادلها التقبيل، حينها شعر أبادون لأول مرة منذ سنوات أن المتوفي يُبعث من جديد.

لقد عاد أيمن لا يعلم إن كان ذلك أمرًا صحيحًا أم خاطئًا ولكنه قد عاد.

١٧ فبراير ٢٠١١ - الجمهورية الليبية

نزول الآلاف من الليبيين بشوارع ليبيا في موجات تظاهراتية مطالبة بتغيير النظام.

١٨ فبراير ٢٠١١ - السفارة الأمريكية بالقاهرة

كانت تجلس هي تتابع ما يحدث على ثلاث شاشات تنتقل بين مصر وليبيا واليمن، مستمتعة بما تشاهده لقد تحقق الحلم بسرعة تفوق ما كانت تتمناه، لقد وُجدت بتلك المنطقة من أجل ذلك، كانوا يعتقدون أن الأمر من

الصعب الحدوث، من الصعب إسقاط الدول بتلك الطريقة، يعلمون جيداً أنه لابد من تحضيرات بعيدة المدى مثلما حدث بالعراق وأفغانستان وغيرهما من الدول، الأمر لابد له من ترتيبات طويلة وخطط واضحة تأخذ وقتها تمامًا، كانت تراهم حمقى يريدون العمل بالطريقة القديمة التي لم تجد نفعًا، تأخذ وقتًا وجهدًا وأموالًا طائلة، هي تعلم أنه لا يهمهم الأموال، كيف يفكرون بالأموال وهم يحكمون الدول من مقاعد بنوكهم، كيف وهم أصحاب صندوق النقد الدولي، هذا البنك الذي يتبع الأمم المتحدة ويظن البلهاء أن العالم يُحكم بقانون، إنه يُحكم بقانونهم، لقد وضعوا القوانين ليتخطوها ووضعوا بعض الدمى التي يُلجأ إليها لإلقاء اللوم عليها، كانت تتعجب كيف لهؤلاء القوم بمثل تلك العقلية والتي تحكم العالم منذ زمن طويل ما زالوا يستخدمون الطريقة القديمة، المواجهات المباشرة، لماذا إراقة دماء جنودهم لماذا إنفاق أموال طائلة في مقابل ذلك وهم يستطيعون استخدام نظرية أثر الدومينو وإسقاطهم للدول التي يرغبون بها واحدة تلو الأخرى فقط بتحريك إصبعين وهم جالسون يشاهدون الأمر دون حراك منهم، يتخذون مقعد المتفرجين وليس عليهم المشاركة باللعبة وتحمل اللوم.

كانت تعلم أنهم من وضعوا لعبة تبادل الأدوار مع دميته المفضلة الولايات المتحدة، لعبة تبادل الأدوار بين الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري، كانت تعشق تفكير وإدارة الحزب الديمقراطي للأمور وتكره بشدة طريقة الحزب الجمهوري، هذا الحزب الأحمق والذي وُجد فقط لكي يُلقي عليه اللوم دائمًا بعد تخطيط منظم من الحزب الديمقراطي للأمور.

والآن وخلال تلك الفترة من حكم الحزب الديمقراطي للعالم أجمع وليس للولايات المتحدة فقط وجدتها فرصة سانحة لعرض خطتها عليهم على العين، لقد واجهت الكثير من الصعوبات للحصول على موافقتهم على تلك الخطة، وجدها الكثيرون عبقرية والأكثر وجدوها حالمة لكنهم في النهاية وافقوا عليها، لن يخسروا شيئًا لتكن لعبة الديمقراطية لشعوب تلك الدول التي يحلمون بها نوعًا جديدًا من ألعابهم هم العين، نوع جديد من الدمى التي تعطى لتلك الشعوب تمامًا كما تحضر دمية واحدة لعدة أطفال وتجعلهم يتصارعون عليها وأنت تجلس لتشاهد ذلك باستمتاع، خلق حالة الفوضى

الخلافة، خلق الفوضى بيدك وجعلهم يدمرون أنفسهم بأنفسهم، حقاً إنها فكرة عبقرية وقد دخلت حيز التنفيذ ومكافأة منهم على ذلك عينوها مندوبتهم الرئيسية بالمنطقة لمراقبة تحريك بيادقهم على رقعة تلك الدول، كانت هي مهندسة التنفيذ والمراقبة لحسن تنفيذ خطتها وحلمها الأكبر.

لكنها لم تكتف بذلك، فاجأتهم بما هو أكبر لم يتوقفوا عند هذا الحد، تُخلق الفوضى ويتزامن مع خلق الفوضى خلق كيان جديد منهم من ديانة وثقافة شعوب دول المنطقة، يريدون الإسلام فلنعظم إسلامهم، قالها حينها جون ماكين أحد أعضاء العين رداً على فكرتها هي محيياً إياها بشدة، ومن إيمانه بعقيدة الفكرة قالها بأحد المؤتمرات الخاصة به، لم تفخر بذاتها مثلما افتخرت بها هذا اليوم، إنها تقدير من العين لقد أصبحت أحد أذرع العين القوية التي تحرك كل شيء، حينها بدأ التفكير في خلق دولة إسلامية كما يريدون، ولكن أين تكون البداية، إن كانت فلسطين بيد العرب كان هذا الكيان قد خُلق بفلسطين حينها، ولكن لم الابتعاد كثيراً، لنجعل هذا الكيان بالشام، هم يريدون ذات أجواء القدس والخلافة الإسلامية لنعطيهم تلك الخلافة لنعطيهم ما يريدون.

الآن تشاهد بداية كمال خطتها، سقطت تونس، تونس كانت مجرد طعم البداية حتى أن التركيز حولها لن يدوم، ستكون عائناً لدول المغرب العربي، فقط عين أخرى للعين باتجاه الشمال العربي، لكن ما يريدونه هو قلب العرب، والآن سقطت مصر ولقد أحيطت الآن بليبيا ستسقط عما قريب لن يدوم الأمر طويلاً حتى مع عناد معمر القذافي، لن يكون عناده أقوى من عناد صدام حسين ولقد سقط وقتل فلن يهيم، ستسقط ليبيا ستسقط وقد يسر معمر القذافي ذاته ذلك بتسليح شعبه بنفسه، ستكون حرباً أهلية بالفعل، ما أجمل ذلك.

اليمن، إنها تُعد اليمن إحدى أكبر الدول العربية غباءً، دولة تملك ما لا يملكه غيرها من التاريخ، بل إنها تملك ما لا يملكه أحد غيرها من مقومات تاريخ وحضارة، ومال وثروة معدنية، لكن شعبها غريب بطباعه، تحسبهم كما لو كانوا إحدى قبائل الأمازون البدائية، لا تعلم كيف لشعب تلك الحضارة أن

يكون هكذا، اليمن تلك الأخرى لن تدوم طويلاً سيتكفل شعبها هو بهذا الأمر. الأمر الآن يكمن في مصر ولقد سقطت وأحيطت من جميع الجوانب، أحيطت شرقاً بسيناء تلك المنطقة التي تعد كنزاً تجاهله نظام مبارك بغباء شديد وجائزة منه للعين، هي تعلم أنه كان يعي ما يفعل، كان يخشى من تعمير سيناء وهي منطقة حروب يخسر في لحظة كل ما عمره فيها، لكن السحر الآن انقلب على الساحر وستصبح تلك المنطقة دائماً هي الخطر الأول لمصر. وهناك الخطر الآتي من الجنوب أمر بناء سد النهضة أو شك على التنفيذ خاصة بعد انفصال شمال السودان عن الجنوب والعلاقات مع الجانب الأثيوبي تتوطد مع العين فالأمر منته، هذا ناهيك عن الجانب الغربي وسقوط ليبيا والتخطيط لأكبر فوضى بالجانب الليبي، أي أن سقوط مصر بالكامل ما هو إلا مسألة وقت، كما أن العين ستضمن وجود نظام حاكم بمصر يسهل من مأموريتها، الأمر الآن يتعلق بسوريا، سوريا هي الدولة الوحيدة الباقية، هي التحدي الأكبر الآن ومفتاح خلق الفوضى الكبرى وبداية نشأة الكيان الإسلامي الجديد هو هناك بسوريا، وسوريا فقط.

كانت تفكر وهي تنظر للأحداث بالدول الثلاث أمامها على الشاشات، الأوضاع بدأت بالاشتعال باليمن من فترة والآن بدأت بليبيا وهي تتوقع أن تسبق ليبيا اليمن في السقوط لكن لابد من حشد الإعلام تجاه ذلك، الإعلام هو سلاح العصر وستستغله خير استغلال حتى يكتمل الحلم بشكل نهائي.

أخرجها من تفكيرها طرق على الباب فأذنت للقادم بالدخول ففتح الباب كاشفاً عن جون، الذي بدا في غاية الاحترام وهو يقول:

-صباح خير دائم عليك مسز باترسون.

نظرت له أن باترسون من أسفل إلى أعلى وقالت دون أن ترد تحيته:

-اجلس يا جون.

بدا جون يرتبك خاصة مع تلك المقابلة الفاترة من آن باترسون، هو يعلم مقدار غضبها بعدما علمت بما حدث أمس، فجلس دون أن يتحدث وعيناه على آن التي وضعت عينيها وتتنظر في إحدى الأوراق التي أمامها كنوع من

أنواع التجاهل فظل صامتًا دون حديث ولكنها لم تتحدث فقال:

-مسز آن.....

هنا قاطعته آن قائلة:

-ماذا تريد أن تقول يا جون؟ أتريد أن تقول إن ما نبحت عنه منذ سنوات كان بين يديك أمس؟ أم تريد أن تقول إنك لم تستطع إقناعه بالانضمام إلينا؟ أم ماذا يا جون، جون فيل أحد أهم رجال الـCIA قديمًا، الذي اختارته العين لإتمام عملياتها الخاصة يفشل في إحدى أهم بل أهم مهام العين، أرى يا جون إذا لم تكن تعلم حجم المهمة الملقاة على عاتقك فلتخبرني بذلك وأنا سأطلب منهم تغييرك أو أن تتنحى أنت بشكل ودي حفاظًا على ما تبقى من تاريخك.

كان جون بقمة الغضب، هو لم يعتقد أن يحدثه أحد بمثل هذا الشكل، لكن هذا ليس أي شخص إنها آن، العظيمة آن باترسون أحد أهم وأكبر أعضاء العين في هذا العصر وسيكون صريحًا مع ذاته، هو يستحق كل كلمة قالتها له، لذلك لازم الصمت حتى انتهت آن من حديثها فأجاب محاولًا امتصاص غضبها:

-مسز آن أرجو منك فقط الوضع بالاعتبار أن من نتحدث عنه هو أحد أهم الرجال الآن، بل إن العديد من الجهات على مستوى العالم أجمع تحاول الإيقاع به، حتى أن سلطات دولته لا تعلم عنه شيئًا، إنه كالشبح كالظل يختفي دون ترك أي أثر له مسز آن، ولقد آثرت أن يكون لقاءنا الأول صداميًا وأردت أن أترك له بابًا للتفاوض ومدته زيارة مستر برنارد ليفي.

خبطت آن المكتب بيديها وهي تقول:

-أريدك أن تعلم يا جون أن العين ليست أحدًا، العين ليست مثل كل هؤلاء، بل العين تتحكم بهم جميعًا، جميعهم يعملون لدينا لذا لا تقارن العين مع أحد، ولكني سأصمت سأعطي لك فرصة أخرى حتى زيارة مستر ليفي، إما أن ينضم إلينا وإما عليك تصفيته، لا أريد حينها سماع اسم أبادون هذا ثانية يا جون.

-أعدك، أعدك بذلك مسز آن.

نظرت له آن بعد قوله متسائلة:

-جون، هل قمت بالترتيب لزيارة مستر ليفي؟.

أجاب جون:

-أجل مسز آن تم ترتيب الزيارة مع مستر حمدي، الأمور انتهت وهو بدوره قام بالترتيب مع المجلس العسكري الحاكم الآن، الحكم سيدتي أصبح في يده وجماعته بالفعل هم من يتحكمون بالأمور، والمجلس العسكري دوره ما هو إلا سكرتير تنفيذي عليه تنفيذ أوامر الجماعة.

أومأت برأسها وهي تقول:

-أتفهم ذلك، لكن ماذا عن الترتيبات الأخرى؟

-ماذا تقصدين سيدتي؟

قالها جون فردت آن بسخرية واستنكار:

-ماذا أقصد؟ ألم أقل إن موهبتك وبريقك قد قاربا على الاختفاء يا جون، ما أقصده هو تهديد أبادون، أقت بتأمين الزيارة جيداً؟

-نعم يا سيدتي السلطات الحاكمة بمصر ستقوم بالتأمين على أكمل وجه و....

-كفى جون كفى، أنا من سأقوم بالترتيب لهذا الأمر.

-ماذا تقصدين سيدتي؟

-جون، رجال سيمون جرنارد انتهوا من مهامهم بسيناء بعد العمليات هناك وبعد مهمة فتح السجون.

بدا التعجب على وجه جون وهو يقول:

-سيدتي أرى أن الأمر لا يحتاج لتدخل رجال البلاك ووتر، الأمر بسيط ونحتاج هؤلاء الرجال بسيناء، لم ينتهوا مما كلفوا به بعد.

وقفت آن وهي تتجه إلى النافذة المحصنة وهي تنظر من خلالها على السيارات المدرعة الواقفة خارجًا والتي تحمي السفارة الأمريكية وهي تقول: -جون، تعلم جيدًا حتى تصبح قائدًا بحق عليك أن تعلم كيفية وضع رجالك وأن ترصهم وفقًا لما تحتاج، سيناء الآن جاهزة بعد ما حدث بها لا داعي لكل هؤلاء الرجال هناك وأنا لا أريد قوات كاملة لا أريد مئات الرجال أريد عشرة رجال فقط بشرط أن يكون سيمون أحدهم، أنت لا تعلم مدى أهمية زيارة مستر ليفي ولن تقتصر زيارته على المنطقة لمصر فقط بل ستمتد لليبيا وعدة دول أخرى، لذلك هذا الرجل هام جدًا، إنه أحد أهم رجال العين على الإطلاق، وتهديد أبادون لك أمس يجعلنا نضع أي شيء في عين الاعتبار، في عملنا هذا يا جون لا مجال للصدف، والخطأ الصغير يُحدث تغييرًا كبيرًا بالتاريخ، أسمعت عن تأثير الفراشة من قبل؟

لم يتحدث جون فابتسمت آن قائلة:

-تأثير الفراشة هي نظرية الفوضى، ببساطة شديدة جدًا تعني أن أمورًا صغيرة جدًا لا نحسب لها حسابًا، قد تُحدث تغييرات هائلة وكبيرة جدًا في أكبر الأنظمة، وفي أصغر الأنظمة، وربما على مستوى الكون أجمع .. فعلى سبيل المثال بنت تمشي في أفريقيا فتثير بعض التراب، قد ينتهي الأمر بحدوث إعصار هائل يؤثر على أمريكا! بمعنى آخر كل شيء مترابط .. كل شيء .. حدث صغير يقوم بحدث أكبر ثم حدث أكبر ثم حدث أكبر ويتنتهي المطاف بشيء كبير جدًا.. ربما لا يكون التأثير مباشرًا، فقد لا يظهر الأمر مباشرة، ربما يظهر بعد ١٠ سنوات.. ربما بعد قرن.. ربما بعد ١٠ قرون، أفهمت الآن يا جون.

-فهمت يا سيدتي.

-إذا لا مجال في عملنا لنظرية تأثير الفراشة، نحن من نصنع الفوضى، والفوضى الخاصة بنا لا بد أن تكون محسوبة موجهة لا تخرج عما خطط له، فوضانا منظمة يا جون بدأنها منظمة وسنهيها وفق ما نريد منظمة أيضًا.

صمت جون وهو يرى آن تتجه إلى هاتف مكتبها وتتصل برقم خاص ثم

تنتظر الإجابة وتقول مبتسمة:

-أهلاً، سيمون.... كيف الأمور لديك.... جيد.... أريد منك القدوم للقاهرة أنت وعشرة من رجالك فقط، بمهمة خاصة جداً، أنتظرِكَ غداً مستر سيمون إلى اللقاء.

تساءل جون بعد أن أنهت آن حديثها قائلاً:

-سيأتي؟

ضحكت آن ضحكة صغيرة قائلة:

-وهل يستطيع أحد رفض تعليمات العين، أو آن يا جون.

قالتها وهي تعاود النظر لما يجري على شاشات التلفاز مرة أخرى.

ترى تأثير فراشتهم، فوضاهم المنظمة.

١٨ فبراير (الساعة الواحدة بعد الظهر) - ليمان طره

ترتفع الخطوات بردهة السجن وبعض الضباط كبار الشأن بالسجن يحيطون بالمسجون بحراسة مشددة يرتدي ملابس بيضاء وليست زرقاء والتي تعني حبسه احتياطياً على ذمة قضية وليس حبساً دائماً، يسير المسجون بكبرياء، تشعر بغرور من مشيته وانتقل ذلك لمن حوله فتشعر كما لو أنهم لا يتعاملون مع محبوس على ذمة قضايا بل كما لو أنه ذو شأن ما بالدولة ويحرسونه حتى أنه لا يرتدي الكلبشات بيديه.

توقفت الخطوات أمام إحدى الغرف وفتح الباب وسُـمـح حينها لذلك الشخص وحده بالدخول فدخل وهو ينظر للغرفة التي لم تكن تحتوي سوى على منضدة معدنية عليها مصباح هو ما يضيء الغرفة فقط وكوبان من القهوة لا يزال يتصاعد منهما البخار، وفي المقابل يجلس أحدهم متوارياً بالظل ويشير للقادم بالجلوس، فيجلس القادم بذات الكبرياء وهو ينظر للشخص الجالس بالظل فيلمح شبح ابتسامة على أحد جانبيه فمه وهو ما توضحه الإضاءة فقط أما باقي وجهه فلا يزال يقبع بالظل، فحاول القادم الكشف عن بقية

وجهه، ولكن الجالس اقترب بوجهه له وهو يقول:

-كيف حالك يا أستاذ صابر إنه لشرف لي أن ألقاك الآن؟

لم يرد القادم بل بدأت تظهر على وجهه حالة من الضيق قبل أن يقول:

-هل أتيت إلى هنا لتقول لي كيف حالي؟ لا أعلم مَنْ أنت ولا ما هي أهميتك حتى يسمحوا لك بمقابلتي بمثل هذا الشكل، أنا ما زلت صابر الشرييني، حتى أنني ما زلت أختار من أقابله ومن لا أقابله، الأمر كله هنا أمر وقتي فقط وسيُعاد ترتيب الأوراق مرة أخرى وحينها ستكون الأمور مختلفة عن السابق، ستتمنون لو أنني ظللت صابر الشرييني مسئول الأمانة العامة بالحزب الوطني، حينها سترون وجهًا آخر لي قريبًا أعدكم بذلك.

ابتسم الجالس أمامه قبل أن يرتشف رشفة من قهوته ثم يقول:

-إذا كنت ما زلت صابر الشرييني ولك حرية اختيار من تقابلهم، فلماذا استجبت لدعوة مقابلتي؟

تراجع صابر بمقعده للخلف عاقدًا يديه وهو ينظر للجالس قائلاً:

-انظر يا هذا، أنا لا أضيع وقتي بتلك الألعاب الساذجة، اعلم أن الأمور قد تغيرت عن السابق، حتى إن كنت متأكدًا من أن وقتي لم ينته وأنها كبوة متعمدة لما هو آت، لكن على الأقل لابد أن أتعامل مع تلك الكبوة، وأنت أحد المسؤولين الآن بالجهات السيادية بمصر، وأنا الآن مواطن مصري يحق لك مقابلتي واستجابي، نحن مَنْ ابتدعنا هذا، لذلك حينما يأتي الأمر عليّ لابد أن أحترمه ولكن بطريقتي أنا، لك أن تسأل ما تريد وأنا لي أن أجيب على ما أريد أنا فقط.

بدا الوجوم على الجالس لوهلة، فهو لم يتوقع صراحة صابر الشرييني تلك على الرغم من أنه يعلم جيدًا من هو صابر الشرييني هذا، الجميع يعلم أنه ثعلب النظام، حتى إنه لطالما طالته شائعات بأنه مهندس العلاقات العامة بين النظام المصري السابق وبين الدول الأخرى عن طريق تأمين السهرات غير الرسمية لأعضاء تلك الدول والمسئول الأول عن رفاهيتهم بمصر طوال

فترة تواجدهم، لم يفقد الثعلب بريقه لكنه أيضاً كما قال لا يتعامل مع شخص عادي فلم يبذ الجالس أي اهتمام بما قاله صابر قبل أن يقول:

-إذا يا سيد صابر دعنا نتعامل بأوراق مكشوفة، معك العقيد عزت يونس من المخابرات العامة سابقاً والآن تستطيع القول أنني مسئول خاص للعلاقات الأمنية بالمجلس العسكري المصري الحاكم للبلاد الآن.

ضحك صابر بشدة ثم ارتشف رشفة من قهوته قبل أن يقول:

-أعتذر عن ضحكي بمثل هذا الشكل سيد عزت لكني لا أتمالك نفسي من الضحك عند سماع اسم هذا المجلس، مجلس العار وليس العسكري، هذا المجلس الذي اعتبره خائناً للبلاد، كما أعتبر مبارك ذاته خائناً للبلاد.

ارتفع حاجبا عزت دهشة وهو يتساءل:

-خائنون للبلاد؟ لماذا؟

تنهد صابر ثم قال:

-سيد عزت حينما أقسم مبارك على الولاء لتلك البلاد وحماية أرضها كان ينبغي عليه أن يعيي جيداً قيمة هذا القسم والولاء له، لكن أن تسقطه ثورة مدتها أسبوعان فقط فهذا عار عليه وستلتصق به تلك التهمة طوال التاريخ، لقد اتخذ القرار السهل لإراحة باله فقط، لم يكن ذاك الجندي الذي طالما تحدث دائماً عن خدمة وطنه وجيشه، هو يعلم جيداً أن ما يحدث مخطط من جهات أخرى، كان يعلم غضب الشعب وتحركه ويرى أن هذا حق مشروع للشعب وله حرية إبداء الرأي.

-وماذا عنكم أنتم بالحزب الوطني؟

-نحن؟ نحن كنا نرى أن هذا الشعب لا يعي ما يدور حوله، هذا الشعب كالطفل دائماً يبحث عن يراعاه، لا يستطيع أن يعتني بنفسه، هذا شعب لا ينتج ولا يعمل، لا يهتم سوى المأكل والمشرب والملبس والتكاثر، أترى أن هذا الشعب سيعي معنى الديمقراطية بالفعل، هل لديك بالفعل أشخاص وكيانات تستطيع أن تؤثر بالشارع المصري، هل لديك بديل جاهز يا عزيزي؟

-ولكن أنتم من ابتدعتم ذلك، أنتم من أزحتم أي شخص يستطيع أن يكون بديلاً للرئيس، ألا تتذكرون المشير أبو غزالة وحب الشعب له، هل تتذكرون السيد عمرو موسى وتقربه من الشعب وتحقيقه لنجاحات متتالية بمجال الخارجية، حينها قيل إنكم جعلتموه أميناً لجامعة الدول العربية حتى يبتعد عن الشارع المصري، هل نسيتم السيد كمال الجنزوري وإزاحته من رئاسة الوزراء وهو في أوج تألقه حتى يبتعد أيضاً عن الشارع المصري.

ضحك صابر بشدة وهو يشير لنفسه قائلاً:

-نحن؟ نحن فعلنا كل ذلك، الآن تتذكرون المشير أبو غزالة الذي إذا ما قدر أن يكون بالحكم لقلتم حصل عليه بالانقلاب أو حتى لو تم تعيينه من قبل الرئيس ستقولون حينها مثلما قلتم عن السيد عمر سليمان، كنتم تريدون نائباً للرئيس وطوال ثلاثين عاماً تطالبون بذلك وحينما جاء إليكم رفضتموه، جميعكم كنتم تتحدثون عن السيد عمر سليمان بأنه المنقذ الوحيد من مشروع التوريث وقد أتى إليكم ولكن ماذا فعلتم به؟ أجبني، الآن الشعب يطالب بمحاكمته هو ومبارك وأنتم تعلمون جيداً مدى نزاهة هذا الرجل، وإليكم مثلاً آخر سيادة اللواء أحمد شفيق، عندما أتى وقت الثورة الجميع اجتمع على نزاهته وما فعله بالطيرن المدني حتى الإخوان ذاتهم احتفلوا به والآن تطالبون بتغييره ومحاكمته، تتحدث عن السيد عمرو موسى سيأتي دوره وحينها ستنسبون ما تتحدث عنه الآن، جميعكم ستتهمونه بأنه أحد أضلاع النظام القديم، والسيد كمال الجنزوري كذلك، يا عزيزي هذا الشعب لا يعلم ما يريد، هو فقط يرفع سقف مطالبه مجرد عناد طفل صغير، طفل لا يستطيع الإتيان بقوت يومه، يريد كل شيء من الحكومة من الرئيس دون أن يعي أنه عليه واجبات قبل أن يكون له مطالب.

صمت عزت لا يدري بماذا يجيب، يرى أن صابر يتحدث بمنطق شديد، حديثه على الرغم من صدمته لكنه يقارب الحقيقة، نظر له عزت فوجده مبتسماً يعلم أنه أصاب كبد الحقيقة يرى ذلك على وجه عزت ولكن عزت باغته قائلاً:

-أريد أن أعلم كيف لشخص يعمل بالعين أن يدافع عن نظامه السابق على

الرغم من أنه كان باطنًا وحقيقة يعمل ضده.

بدا الوجوم على وجه صابر قبل أن يتمالك المفاجأة ويقول:

-العين؟ أنت تعلم عنها، إذاً لنجعل أوراقنا مكشوفة يا سيادة العقيد، النظام السابق معظمه يعمل للعين، إن كان الرئيس مبارك لا يعمل للعين بشكل مباشر، فهو يعمل للعين بشكل غير مباشر، يعمل للعين عن طريق وضع ثقته بنا، الثقة المطلقة خطأ كما أن الشك المطلق خطأ أيضاً، ومن قال لك إن العين تعمل ضدنا، هل رأيت ما يؤكد قولك؟ هذا الشعب لم يكن يحتاج لشيء في عهدنا.

- في عهدكم لم يكن الشعب يحتاج لشيء؟ إذاً لماذا ثار عليكم؟ لماذا طلب تغييركم، يكفي ثلاثون سنة جهلاً وجوعاً ومرضاً منكم.

-تحملنا المسؤولية نحن الآن سيادة العقيد، ألم تكن تنتمي لهذا النظام منذ عدة أيام فقط، رأيت أنت أحد عناصر هذا الشعب إنها جينات الشعب يا سيادة العقيد، ذات الشعب الذي كان يقول يحيا الملك هو ذاته الذي هتف باسم عبد الناصر بعدما وصل للحكم، هذا الشعب الذي كان يتمنى رؤية الرئيس مبارك هو ذاته من يهاجمه الآن، أتريد أن تعلم لماذا انقلب الشعب، انقلب الشعب بعدما تخبط مبارك وأبعدنا عن حيزه، بعدما وضع السلطة بيد ابنه جمال بعدما ترك له تغيير كيان الحزب الوطني.. من هذا الذي يدعى أشرف عز الدين الذي كان هو المخطط الرئيسي للخصخصة وهو من احتكر الحديد؟ ما هي مؤهلاته ليكون الرجل الأول بمصر؟ أبعث صابر الشربيني من عمله منذ أيام الرئيس السادات ومهندس الصفقات يزاح من المشهد السياسي لصالح موسيقار سابق ورجل أعمال حالي، هو من وضعنا بهذا الأمر هو من وضع بقمة أولوياته أن يحكم ابنه جمال فلا تسألنا من السبب الذي جعل الأمور تصل لهذا، وإذا لم تعجبك أيامنا فلتنظر للقادم يا عزيزي.

-وما هو القادم؟ ما هو الذي تخطط له العين؟

تنهد صابر وابتسم قبل أن يقول:

-انظر يا سيادة العقيد بصفتي سياسي مخضرم أعلم أن دوري بالعين قد

انتهى ولا أنكر أنني قد استفدت الكثير والكثير منهم، كروتي الآن تتجاوز السبعة أرقام وهذا يكفي، أعلم أنهم سيكرموني، هذا من شيم العين، لن يتركوني هنا، كما أعلم أنهم يعلمون أنك هنا الآن ويريدون مني أن أخبرك بما يحدث، تلك هي متعتهم، تلك هي قواعد لعبتهم، يريدون الآن أن تعود اللعبة كرقعة شطرنج تبارزون بعضكم البعض، خطتهم لن تتوقف لأي سبب حتى لو الجميع قد علمها، فوضاهم منظمة، فوضاهم تقودهم نحو ما يريدون، أريدك أن تعلم أن الدولة الآن - وليست الدولة فقط - بل المنطقة جميعها بين أيديهم، وبدأ لعبهم على المكشوف بزيارة برنارد ليفي بعد عدة أيام، العين تقود تخطيطاً منذ زمن، تريد أن تعيد المنطقة لما قبل اتفاقية سايكس بيكو، رأوا أنه يكفي ما نالوه من تلك الاتفاقية، لم لا يستخدمون سلاحاً جديداً ألا وهو الديمقراطية لاشتعال حروب أهلية بين شعوب بدائية، شعوب عالم ثالث، حينها سيكون الأمر من السهولة بعد ذلك في التحكم به بين تلك الجماعات المتفرقة، فرّق تسد يا عزيزي، أما بما يخص مصر فالأمر قد انتهى هم قد رأوا واستبدلوا بالفعل نظامنا بنظام آخر قائم في الظل، التيار الإسلامي المتعطش للسلطة يا عزيزي والأكثر تنظيماً الآن، لقد استغلوا شعبيته استغلوا أسطورة أنه ضحية الأنظمة بمصر على مر العصور والآن خرجوا من السجون ليحكموا مصر، وسيقدمون التنازلات والتنازلات من أجل ذلك، هناك عملاء لذلك بداخل مصر وهناك عملاء خارج مصر، احذر يا عزيزي من الدول الصغيرة التي تطمح لأحلام كبيرة، واحذر الدول التي بهويات إسلامية مقنعة مع انتمائهم لعقائدهم، الطموح يا عزيزي بالمنطقة سيكبر وسيكبر، الدول الصغيرة التي تمتلك إمكانيات مادية كبيرة ستعلو شأنًا، ستساعدنا العين لتحقيق أحلامها، لكن لغباء تلك الدول الصغيرة ستعمى عن الحقيقة، لن تتذكر حجمها وبعد انتهاء دورها سيتم التخلي عنهم، العين تجعل العالم كمنصة مسرح لكل شخص صغير، أي طفل صغير يركض عارياً بإحدى الحارات له دور سيلعبه لهم وعند انتهائه سيتخلون عنه، لكن الذكي فقط هو من يعلم تلك الحقيقة مبكراً ويحصد أكبر المكاسب لما بعد ذلك.

-أقصد بذلك أنت؟

-أنا وغيري سيادة العقيد.

قالها ونظر لساعة يده ثم قال:

-يؤسفني سيادة العقيد أن أطلب منك الاستئذان الآن، فكما قلت ما زلت صابر الشربيني، أنا من أقرر متى أتحدث ومتى أتوقف.

تنحى العقيد عزت قائلاً:

-سيد صابر إن كان كما تقول العين لا تهتم إذا كنا نعلم بأمرها أم لا بل هي تطمح أن نعلم بأمرها، فهل هناك ما يمنع أن نعلم بأهم رجال العين، أنا أريد محاورته فقط أريد قضاء بعض الوقت معه مثلما حدث معك الآن.

صمت صابر كما لو كان يفكر ثم قال:

-انظر يا سيادة العقيد، العين كما قلت الآن تريدكم أن تعلموا ما هي تريد فقط، ليس كافة العلم متاحاً، لابد لك أن تعي جيداً أن بعض التساؤلات من الأفضل ألا تعلم أجوبتها وبعض التساؤلات لكي تحصل على إجاباتها لابد أن تدفع حينها مقابل ذلك، ومقابل ذلك كبير، لكنني استمتع بكم وأنا أراكم تلعبون، سأقول لك ما تريد أن تعلمه لكن.....

قالها صابر ثم صمت منتظراً رؤية ردة فعل ذلك على وجه عزت، لكن عزت قال بهدوء دون رسم أي انفعالات على وجهه:

-ولكن ماذا سيد صابر؟

ابتسم صابر من ردة فعل عزت وهو يقول:

-قبل ما أخبرك ما تريد أن تعلمه اسمح لي أن أهنتك فعلاً على قدرتك على التحكم بانفعالاتك، بالفعل رجال المخابرات يختلفون عن أي رجال آخرين حتى الشرطة والجيش أنفسهم، انظر يا سيادة العقيد كما قلت لك بعض المعلومات لابد أن تدفع مقابلاً لها، لكنني لست غيبياً، لن أساومك وأنا أعلم أن قرار خروجي من هنا ليس بيدك ولا حتى بيد رؤسائك الآن، لكنني كما قلت أستمتع برؤيتكم تتلاعبون ببعضكم، لذلك سأقول لك ما يفيد وصولك إلى هذا الشخص، تذكر أن اللعبة لا تحتوي على رجال سياسة فقط بل رجال الاقتصاد أيضاً، ورجال الاقتصاد يتفوقون على رجال السياسة بها، حكم جميع

منظمات العين بدأ بالبنوك، واستعمار الدول الآن يتم عن طريق البنوك، لذلك لا بد أن يكون أهم رجالهم رجال اقتصاد وبنوك، ابحث عن شخص تلاعب بالظل أثناء حكم مبارك، الشخص الذي استفاد كثيراً من عمولات تصدير منتجات سيادية، ابحث عمن كان يشارك في الحكم من وراء ستار، لكي أكون واضحاً معك ولأساعدك أيضاً، من الصعب معرفته، اسمه لا يعلمه الكثيرون لكنه كان الوسيط الرئيسي بين مصر وعدة دول حتى دولة مثل إسرائيل هو الوسيط والشريك الرئيسي بين مصر وإسرائيل في أي صفقة تجارية. لكن اعلم جيداً إذا لم تستطع الوصول إليه في التوقيت المناسب لن يكون هناك، هو ليس مثلي لقد انتهى دوره تماماً، والعين تهتم بشأنه كثيراً هو كالصندوق الأسود لديهم لذلك لن يسقط، نصحيتي لك أن تصل إليه سريعاً يا عزيزي، أظن أنني فعلت ما بوسعي لك ولتعلم أن العين لا تريدني أن أفعل ذلك، لكنني سياسي أخبرتك بالطريق فقط وعليك السير فيه إن وجدت نهايته فأنت من فعلت ولست أنا.

ابتسم العقيد عزت وهو يقف ويقول:

-وأشهد بالفعل أنك سياسي مخضرم سيد صابر وسأكون صريحاً معك أنا أيضاً، إنني حزين لأنك من عناصر العين، كم كنت أود رؤيتك بجانب الدولة فقط.

تراجع صابر بظهره على الكرسي فاتحاً يديه وهو يقول بلهجة مسرحية:

-كلنا من عناصر العين يا عزيزي، الجميع كذلك حتى لو لم يعلموا.

ابتسم عزت وهو يومئ برأسه وملمملاً الأوراق من أمامه قائلاً:

-سعدت بلقائك سيد صابر، وأؤكد لك أن لنا لقاءً آخر.

ابتسم صابر وهو يطرق الباب ويفتح له فخرج مع المكلف بحراسته وهو يقول:

-إن كان لنا لقاء آخر سيكون خارج هذا السجن المؤقت يا عزيزي، وسأكون أنا من أقرر ذلك.

قالها مبتسماً وهو يسير مع حارسه تاركاً خلفه عزت في حيرة، لا يعلم إن كانت تلك المقابلة قد كشفت ما يطمح إليه أم لا.

الفصل العاشر

١٨ فبراير ٢٠١١ - قبو أبادون

يستقيظ أبادون من نومه ليجد بجانبه آمال نائمة لا يدري ما فعله ولا كيف سمح لحدوث ذلك، يتفحص وجهها ليجدها تشبه الملائكة عند نومها، يتبسم ويداعب شعرها لا شعورياً فتتقلب نائمة دون أن تستيقظ، يظل مستلقياً على السرير لا يعي ما حدث، لا يستطيع استيعابه، جزء من داخله يرفض ذلك، جزء من داخله يشعر بالحزن، يشعر أنه قد خان زوجته، لكن جزءاً آخر يرى أن آمال ما هي إلا تعويض عما حدث له، امتداد لزوجته، يتحدث مع ذاته، لقد مات بالفعل لم تكن لديه الرغبة في الحياة، كل رغبته فقط الانتقام، قلبه قد توقف وها هي تأتي لتحيا قلبه من جديد، الآن بعد ما حدث أصبحت زوجة له، لكن إلى أين ستصل تلك العلاقة، هو يعلم أنه ميت يسير على الأرض، لكن هل تستطيع هي استيعاب ذلك، يكره اسم أيمن لكنه يحبه منها هي، هي وحدها تعيده للماضي القديم فقط بجانبه الطيب الذي ظن أنه مات.

كان ينظر إليها عندما استقيظت مبتسمة كالملاك قائلة:

-صباح الخير يا حبيبي.

يتذكرها فيها، يتذكر زوجته، يتذكر تلك الكلمة منها، ولا يعي ذاته إلا مجيباً:

-صباح الخير يا حبيبتي.

١٨ فبراير ٢٠١١

مقر وزارة الدفاع المصرية الساعة السابعة مساءً:

يجلس عزت بمكتب اللواء صلاح بمقر وزارة الدفاع وهو ينتظر اللواء صلاح الذي أخبره الحاس بالخارج أنه في اجتماع صغير، كما أن لديه خبراً من اللواء صلاح أن ينتظره، فامتثل عزت للأمر وجلس ينتظر اللواء صلاح، كان الوقت

يمر ببطء شديد وعزت يحاول تفسير ما يحدث حوله.

من هو رجل الأعمال هذا الذي بالظل؟ من هو الوسيط بكل الصفقات مع الخارج؟ إن كان فعلاً على علاقة بجميع الدول ولديه كل تلك الاتصالات بالخارج فعلاً فكيف سيكون بالظل؟ هل فعلاً كان هنالك ما لا يعلمه مكتب إدارة الأزمات هو واللواء صلاح، ثم أبادون ذلك، تلك هي المشكلة الرئيسية فإن كان ما يفكر به صحيحاً فالأمر سيكون صعباً للغاية على جميع الأطراف و.....

-أقدم اعتذاري عن التأخير يا عزت لكن الأمر يستحق.

قالها اللواء صلاح وهو يذلف لداخل المكتب فاعتدل عزت قائلاً:

-كان الله في عونك سيدي...

جلس اللواء صلاح على المكتب وهو يقول:

-لقد كنت الآن في إجتماع مغلق مع سيادة اللواء عمر سليمان وسيادة المشير وقد كان هذا الاجتماع لعدة موضوعات هامة فغداً على سبيل المثال سيتم إعلان تأسيس أول حزب إسلامي بمصر.

صمت العقيد عزت قبل أن يقول متسائلاً:

-بتلك السرعة سيادة اللواء.

تنهد اللواء صلاح قبل أن يقول:

-كان لابد من إجراء هذا بأسرع وقت يا عزت المخطط الموضوع طويل المدى بعض الشيء ولا بد من أن نتحيز للتيار الإسلامي، كان لابد أن يكون هناك عربون صداقة ومحبة بين الجيش والتيار الإسلامي، تلك هي الطريقة الوحيدة لضمان الأمر.

-لكن كيف سيتم الإعلان عن إنشاء حزب ديني دون أن يتقدم أحد حتى الآن لتأسيس حزب على أساس ديني، ثم كيف سيتم التعامل مع مواد الدستور التي تنص على عدم وجود أية أحزاب على أساس ديني؟

ابتسم العقيد عزت وهو يطرق بأصابعه على المكتب قبل أن يقول:

-لا تقلق، مواد الدستور ستتغير طواعية لخدمة التيار الإسلامي وخاصة الإخوان، نسمع الآن أن الإخوان يريدون البرلمان مع عدم الحديث عن الانتخابات الرئاسية، يريدون التعجيل بانتخابات البرلمان، نعلم هذا من أعيننا لديهم سنعيظهم الانتخابات البرلمانية وسنجعلهم يعتقدون أنهم حصلوا على ما أرادوا، لكننا سنكسر شوكتهم بتفريقهم. التيار الإسلامي ليس واحدًا يا عزت بل هو منقسم، إخوان، سلفيون، وغيرهم، لذلك سنستغل هذا ونحاول كسب ودهم عن طريق إنشاء أول حزب لهم، هناك حزب يسعى منذ خمسة عشر عامًا للحصول على ترخيص أحزاب هو حزب منشق من جماعة الإخوان المسلمين، أي ما سنقوم به سنعيد إحياء أوراق التقديم والإعلان عن إنشاء هذا الحزب بجميع أعضائه السابقين، الأمر الذي سيدفع حينها بقية التيار الإسلامي للإعلان عن إنشاء أحزابهم السياسية، هذا ما نريده حينها يا عزت نريدهم أن يعملوا في النور أمامنا نريدهم أن يشعروا بأنهم المسيطرون على الأمر تمامًا، بل إن الجيش يعمل لصالحهم وأنهم الآن على قمة هرم الحكم بمصر، في المقابل سننشئ حزبنا نحن، سنعلن عن حزب إسلامي خالص بعيد عن الإخوان المسلمين وبقية التيارات الإسلامية المعروفة سيكون الحزب من التيار السلفي وهذا التيار لا يرى الإخوان على حق، في حين أن الإخوان لا يرون أنهم على حق، سنستغل نحن ذلك سيكون هذا الحزب تابعًا لنا دون أن يشعروا سنجعل قائده من السلفيين المخلصين أما من يعاونه فجميعهم جميعهم نعرفهم سنجعل التيار الإسلامي ينقسم وسنجعل هذا الحزب ظهيرًا قويًا لنا عند الحاجة ولقد تناقشت في ذلك الأمر مع سيادة المشير وسيادة اللواء عمر سليمان وسنبداً في إجراءات إنشائه وسيكون الاسم حزب الشمس.

-ومتى يأتي وقت الاحتياج لهذا الحزب؟

-حينها سيأتي آجلاً، اعلم يا عزت أفضل ما تقوم به أن تكشف حقيقتهم أمام الشعب بدلا من محاربتهم، الآن محاربتهم تعني إقصاءك من المشهد تمامًا وحينها سيحكم التيار الإسلامي قبضته على زمام الأمور إلى حين يعلمه الله

وحده، لكن الذكاء أن تكون معهم بصفهم حتى ولو كنت تابعًا لهم في بعض الأوقات، سيأتي اليوم حينها ليمحوا من التاريخ، إذا راجعت التاريخ جيدًا ستجد أن هذا ما حدث مع ما اسميه أنا انقلاب ١٩٥٢ أو ما تسميه أنت ثورة أيًا كانت التسمية الصحيحة، حينها علم الضباط الأحرار مدى أهمية هذا التيار بالشارع ومدى خطورة أن تكون في بداية الأمر وتعاديه، حاول عبد الناصر حينها في البداية معاندتهم وحاول اللواء محمد نجيب حينها استمالتهم وماذا كانت النتيجة، كان الأمر سينقلب رأسًا على عقب على مجلس قيادة الثورة حينها، لكن تعلم عبد الناصر الدرس سريعًا وعاد إلى مزاملة الإخوان، لم تمتد تلك الصداقة أو المزاملة مدة طويلة، انتظر عبد الناصر فقط حتى يكسب ود الشعب، حتى يُحكم قبضته تمامًا على زمام الأمور وعند التأكد من ذلك قضى عليهم تمامًا قبل أن يعود الرئيس السادات للتعامل المختلف معهم كان يريد أن يضرب اشتراكيي الرئيس عبد الناصر الرافضين لسياسات السادات سواء السياسية بصلحه مع إسرائيل أو الاقتصادية بعصر الانفتاح، فحاول استمالتهم، ولكن ما الذي حدث حينها اغتالوه عند أول تحكم لهم بزمام الأمور، تعلم من التاريخ يا عزت تعلم ذلك يا بني إن ما سنفعله نحن أننا سنعيد التاريخ لكن بصياغة جديدة سنعطي الحكم لهم تمامًا لكن دون أية مساعدة حقيقية لهم، سنكون عونًا لهم أمام الجميع وحينها سنخسر الشعب لأن الشعب سيراهم حينها يتخبطون والدولة تتهاوى حينها، لكن الأمر لا يهم حينها لأننا حين سننزل مرة أخرى للشارع سيكون هذا الأمر مدعاة لنا لتولي مقاليد الأمور بالدولة بشكل تام.

بدا الإعجاب على وجه عزت وهو يقول:

-منك دائمًا نستفيد يا سيادة اللواء.

ابتسم اللواء صلاح وهو يشير لعزت على الملف فأعطاه عزت له فظل اللواء يقرأه وهو يحترم صمته إلى أن انتهى من قراءته قبل أن يتساءل:

-من يكون هذا الشخص، من رجل الأعمال ذلك الذي كان وسيطًا بكل الصفقات؟

تساءل عزت قائلاً:

-سيادة اللواء ألا ترى أن الأمر يُعد غريبًا بعض الشيء، كيف لرجل أعمال وسيط بصفقات كبيرة ولا يعلم أحد عنه شيئًا، مجال السلطة والمال حتى وإن كنت تعمل بالظل لابد أن يأتيك قبس من نورهما.

نفى اللواء الأمر برأسه قائلاً:

-تأكد يا عزت أن الأمر ليس مثلما تظن، عالم الصفقات والسمسرة بمجال الصفقات الكبيرة دائماً ما يُغلف بالغموض، لا تستطيع التوصل إلى الوسطاء بسهولة، أتعلم أن معظم صفقات النفط والسلاح بل والغذاء أيضاً وسطاؤها ليسوا رجال أعمال بل رجال سياسة ومنهم رؤساء وملوك دول، يكون هناك بعض الأفراد، أما هم فيختفون خلف الستار، اترك هذا الملف جانباً يا عزت وسأتولاه أنا وأتمنى أن نستطع التوصل له قبل أن تتلقفه العين خارج البلاد.

-لكن سيادة اللواء ألا تستطيع أنت أن تجبر السيد صابر الشربيني على البوح باسمه.

تراجع اللواء صلاح ثم وقف وهو يشير بيده بالنفي قائلاً:

-لا لا يا عزت أنا أعلم صابر جيداً، صابر كما قلت أنت بتقريرك يعلم ما يريد قوله، وما لا يريد قوله لن يقوله، وإن ضغطنا عليه بوسيلة أو بأخرى ستعلم العين ذلك، نحن الآن نلاعب العين لعبة تعتمد على العقل يا عزت وليس القوة، لا نريد أن نلفت انتباههم إلى ما وصلنا إليه وما قاله صابر يكفي حتى الآن وسنحاول نحن أن نصل لهذا الرجل.

صمت عزت وهو يرى اللواء صلاح يتحرك ذهاباً وإياباً مفكراً قبل أن يعاود القول:

-دعنا من ذلك الملف، ماذا بشأن أبادون هذا، هل جد أي جديد؟

نفى عزت برأسه قبل أن يقول:

-لا سيادة اللواء لا تقلق أنا أحاول تقفي بعض الآثار التي ستقودنا إلى نتيجة هامة، لست متأكداً منها الآن لكنني سأطلعك على كافة الأمر بعد التأكد التام مما أريد.

تفهم اللواء الأمر ثم قال»

-عزت، برنارد ليفي سيكون بالقاهرة يوم الثاني والعشرين القادم وأنا أشك أن يظهر أبادون ذلك، فإن كان يسير بنفس الطريق بمواجهة العين، وهذا ما أراه من ملفه، فأشك أنه قد يظهر بساحة ميدان التحرير حينها لمجابهة برنارد ليفي، أرجو أن تتخذ احتياطك التام يا عزت، لا أريد لأي شيء أن يعكر ما نحن بصدده فعله، أريد الاطمئنان التام خارجياً من العين وداخلياً من التيار الإسلامي، أفهمت.

-فهمت سيادة اللواء ولا تقلق أنا بنفسني سأكون هناك لحماية الأمر.

قالها فتنهد اللواء صلاح قبل أن يقول:

-هذا أفضل، إذا اذهب يا عزت ولديك كافة الصلاحيات لحماية برنارد ليفي بذلك اليوم لديك تصريح مفتوح مني بالتصرف الكامل.

شكره عزت وهو يستأذن قبل أن يغادر المكتب فأردف اللواء صلاح مبتسماً بسخرية:

-يا لعجب القدر احمي من يقوم بالتأمر على مصر، لكن عزاءنا الوحيد أن ذلك ضمن خطة طويلة الأمد لإنقاذها.

٢٠١١/٢/١٩

وافقت دائرة شؤون الأحزاب في مجلس الدولة المصري على تأسيس «حزب الوسط الإسلامي الجديد»، وهو أول حزب سياسي مصري أسسه إسلاميون منشقون عن جماعة الإخوان المسلمين، وكان يسعى للحصول على ترخيص منذ ١٥ عاماً.

٢٠١١/٢/١٩ - مقر السفارة الأمريكية بالقاهرة

يطرق الباب بمكتب آن باترسون فتسمح آن للقادم بالدخول، تدخل مديرة

المكتب وهي تعلن لها أن مستر سيمون بالخارج يريد رؤيتها فتكاد آن أن تقفز من مقعدها وهي تقف وتقول:

-أدخله على الفور.

يدخل سيمون بخطوات واثقة، كان ضخم الجسد يبدو على ملامحه الجدية حتى وهو يصافح آن التي رحبت به بحرارة قائلة:

-سيمون، مَن كان يظن أنه قد يأتي اليوم الذي أستضيفك فيه بمكتب السفارة الأمريكية بالقاهرة.

ضحك سيمون وهو يجلس على المقعد المجاور لمكتب آن فجلست آن بدورها على مقعدها قبل أن يقول سيمون:

-بالفعل لديك كل الحق يا آن من كان يستطيع تخيل أن أحدًا من رجال منظمة البلاك ووتر إحدى أهم المنظمات الحربية الخاصة على مستوى العالم يتواجد بالقاهرة وأين في السفارة الأمريكية ذاتها.

-بل ولك أن تتخيل أن هذا الرجل هو سيمون جرنارد ذاته.

قالتها آن مبتسمة فبدأ سيمون يشعر بالزهو وهو يعتدل بمقعده قائلاً:

-الفضل كله يعود إليك يا آن وعلى المنظمة أن تكرمك على ذلك، خطتك فاقت النجاح المتوقع.

-على عكس ما توقعه سيمون أن تفتخر آن بذلك أو أن تبتسم أجابت آن بجدية:

-انظر يا سيمون، العين ليست مجرد منظمة كما تقول، بالنسبة إليّ العين هي أنا، أنا أشعر أن العين ذاتي، العين مشروع على الرغم من أن العين تحتوي على منظمات أعمار بعضها تجاوز القرون، وكان الحلم لنا كبيراً أن تجتمع تلك المنظمات المتنافسة على الرغم من وحدة أهدافها تحت لواء واحد، وها هو يحدث، وعندما تحقق حلمي لن أتركه يفشل، الحلم يبدأ من تلك المنطقة من منطقة الشرق الأوسط وحينها سيمتد للعالم أجمع.

ابتسم سيمون ابتسامة خبثية وهو يطرق بأصابعه على المكتب ويقول في هدوء:

-أعترف يا آن أن ذلك قد أعجبني ومن الممكن فعلاً أن يكون به جانب كبير من الصحة، لكن أنا أعلم ما بداخلك يا آن أنا أختلف عن الآخرين جميعاً وبيننا تعاملات عدة لذلك هذا بالفعل مشروعك وطموحك يتوازن مع حلمك للعين، لكي طموح خاص بالمنطقة وأنا أحترم ذلك.
ابتسمت آن قائلة:

-ما يُعجبني بك يا سيمون هو صراحتك ومواجهتك لأي شخص بالحقيقة دون أن تخشاه ولن أنكر أن لديّ طموح مشروع خاص بي، لكن ذلك كما قلت أنت يتوازن مع طموحي الخاص بالعين، وسوف يكون لك شأن حينها لن أنساك.

أوما سيمون برأسه متفهماً قبل أن يقول:

- لكل منا أحلامه ومشاريعه يا آن وحلم البلاك ووتر أنا أحمله، فرسان مالطا لن يكونوا حينها مساعدين بل ستكون دولة فرسان مالطا ذات يوم بعدما اعتقد البعض أن نابليون هذا قد أنهاها، أعدك كما تعملين لحلم العين أن حلم دولة فرسان مالطا سيقوم وسيحل حينها محل دول ذات ثقل، انتظري فقط الأمر لم يعد بعيداً.

-أرى أن أهدافنا مشتركة وحين تحقيق حلم العين سنساعدكم في ذلك.

قالتها آن فضحك سيمون بشدة قبل أن يقول:

-لكن حينها أحذركم ستكون مساعدة كما ساعدت المملكة المتحدة الولايات المتحدة في بداية عهدها وحينها تقدمت الولايات المتحدة على المملكة، تقدمت الصفوف الأمامية، وتفوق الابن على الأب.

ضحكت آن بشدة قائلة:

-لم تفقد حس دعابتك بعد يا سيمون.

ابتسم سيمون قبل أن يقول:

-بالطبع يا آن، لكن دعينا من تقسيم الكعكة الآن ودعينا نتحدث عن الأمر الذي أتى بي إلى هنا.

تجاوبت آن مع سيمون قائلة:

-انظر يا سيمون أظنك تعلم أن مستر برنارد ليفي سيبدأ جولته بالمنطقة خلال الأيام القادمة، واليوم الثاني والعشرون سيكون ذلك هو تاريخ زيارته لمصر أي بعد ثلاثة أيام.

أجاب سيمون وهو يضع قدمًا على الأخرى مشعلًا سيجارة قائلة:

-بالطبع أعلم ذلك يا آن زيارة مستر ليفي إحدى أهم الخطوات بالعين والجميع يعلم ذلك.

استطردت آن الحديث قائلة مداعبة سيمون:

-وتعلم أن التدخين غير مسموح هنا.

ابتسم سيمون قائلاً:

-ولكنه ليس على سيمون.

ابتسمت وهي تكمل:

-وهناك أيضًا من أظن أنك تسمع عنه بالعين ألا وهو أبادون.

نفث سيمون دخانه وهو يومئ برأسه:

-نعم سمعت عنه الكثير بل لقد تعجبت كيف لرجال مسز آن باترسون لم يستطيعوا الإمساك برجل واحد بهذا الشكل على الرغم من أن لديك أحد أهم الرجال بالسي أي إيه أتعلمين إحدى النقاط السوداء بعملية العين بأكملها ملف أبادون ذلك.

-لذلك طلبت منك الحضور.

قالتها آن وهي تنظر لسيمون، فابتسم سيمون وهو يطفىء سيجارته قائلاً:

-لم يستطع رجالك العمل معه فطلبت من سيمون الحضور لمواجهة رجل

واحد فقط، يا له من تقدير لي بعد كافة العمليات التي أقوم بها بالمنطقة ما بين ليبيا ونيجريا والآن سيناء أن آتي للقاهرة للإمساك برجل واحد فقط، ويا له من حظ تعيس لمن يسمى أبادون هذا ليواجهه سيمون جرنارد.

لم تبتمس أن بل قالت بجدية:

-سيمون أنا أعلم جيداً تاريخك بأكمله وأعلم أن تلك المهمة تعتقد بالتأكيد أنها تقليل من شأنك، لكن يا سيمون، وأنا لا أخجل أن أقول ذلك، لقد قلتها الآن أن رجالي لم يستطيعوا التعامل معه والعين تعلم ذلك، إذا الأمر ليس بتلك البساطة التي تتخيلها وإن كان الأمر بسيطاً هكذا لم أكن لأطلب منك الحضور إلى هنا فكما قلت يُعد ذلك نقطة سوداء بتاريخي أنا.

بدا التفكير الجاد على وجه سيمون قبل أن يجيب:

-حديث مقنع يا آن وما المطلوب مني؟

أجابت آن:

-لقد قابل جون رجلي أبادون بمنزل حمدي عاطف القيادي الإسلامي بل لقد اقتحم منزله وطلب جلسة ودية حينها وتحدث معهم بكل هدوء عرض عليه جون الانضمام إلينا كما تطمح العين بتجنيد أبادون لكنه رفض وأخبره أنه ينتظر برنارد ليفي.

ابتسم سيمون قائلاً:

-إذاً المطلوب مني أن أكون متواجداً عند زيارة برنارد ليفي وحمائته.

ردت آن بحماس:

-ليس هذا المطلوب منك فحسب يا سيمون بل الإمساك بأبادون وإحضاره حياً لي وإن لم تستطع قم بتصفيته.

رد سيمون وهو يقوم من مقعده:

-انظري يا آن إن كنت تريدين مني التدخل بالأمر فسأقوم بهذا الأمر وفق قواعدي أنا ووفق ما أراه أنا وما أراه هو التصفية لأبادون ذلك، التصفية فقط.

قالها دون أن يترك لأن حق الرد وهو يغادر المكتب قبل أن يتوقف ويستطرد
دون أن ينظر إليها:

-آن، سأكون متواجداً بميدان التحرير أنا وبقية رجالي يوم الثاني والعشرين
أرجو منك عدم إرسال رجالك للموقع حينها وإن رأيت أيًا منهم سأقوم
بتصفيته على الفور، ولا تعتبري ذلك مني عداً نحن في صف واحد ولكنك
طلبت مني التدخل في اللعبة وأنا أريد اللعب وفق قواعدي لتحقيق مكاسب
العين أيضاً، سررت بلقائك.

قالها مغادراً المكتب وتاركاً أن خلفه تتساءل هل كانت مصيبة بالأمر حين
قررت تدخله أم لا؟

الفصل الحادي عشر

٢٣ فبراير ٢٠١١ - ميدان التحرير (الثانية ظهرًا)

تواجد الثوار بميدان التحرير لا ينتهي، الشباب بالميدان لا يزال يحتفل، ولا يزال مرابضًا بالميدان يحتفل ويتربص بالقائمين على حكم الدولة الآن، يريد منهم تحقيق مطالب الثورة، ترى مظاهر الفرح تعم الميدان بأكمله، الأعلام المصرية تراها ترفرف بجنابات الميدان من الباعة الجائلين يبيعون منها لتسيير حياتهم لأول مرة منذ زمن تجد أن علم مصر بتلك القيمة عند هذا الجيل بعيدًا عن مباريات الكرة الآن فقط الجميع يحتفل تحت لواء وعلم مصر، بعض الشباب تزينت وجوههم بأعلام مصر باللون الأحمر والأبيض والأسود بكل مكان، مدرعات الجيش تحمي حدود الميدان، تجد بعض الشباب يتشاركون غذاءهم مع عساكر الجيش مظهر لم تعرفه مصر منذ زمن بعيد.

لكن وفي الشوارع الجانبية من الميدان تجد بعض الرجال متفرقين هنا وهناك، لبسهم مدني لكنك تشعر أن بهم شيئًا، وبالميدان وعلى حدوده تواجدوا أيضًا لكن اختلطوا مع رواد الميدان حينها فلم يشعر بهم أحد، كل منهم يحمل سلاحه بين جنباته، أما عزت فقد وقف أعلى أحد المباني وهو ينظر حوله للميدان بأكمله، يطمئن على تواجد رجاله كما تم التخطيط يتأكد أن كل شيء على ما يرام.

كان ينظر حوله يمكث بإحدى الغرف المستأجرة بأعلى أحد مباني الميدان حتى يكون الأمر بعيدًا عن أي مثار للشبهات وهناك أيضًا عدد من الشقق التي تم استئجارها لهذا الغرض بعمارات ميدان التحرير إلا أنه قرر المكوث في ذلك اليوم بالغرفة على أحد أسطح إحدى البنايات حتى يرى الوضع بأكمله من أعلى، إنها لحظات فقط، ما هي إلا لحظات حتى يخطو برنارد ليفي خطواته بالميدان، بعض الشباب الموالي للعين مباشرة أو بطريقة غير مباشرة يعلم ذلك وقد تم تحفيز معظم الشباب بالميدان على ذلك، برنارد ليفي فارس الحرية والديمقراطية، سيخطو خطواته بميدان التحرير الآن، بالطبع لم تفوت وكالات الأنباء الخاصة بالعين ذلك وجعلوه بطلا، كانت

جميعها تتحدث عن زيارة برنارد ليفي للشرق الأوسط بوصفه البطل القادم لنشر الديمقراطية على دول الشرق الأوسط جمعاء، لا يعلمون الحقيقة، ومن المؤسف أنه هنا أيضاً لحمايته، لكن هل ما ينتظره سوف يظهر بالفعل أم لا، إن كان هو، إن كان هو ذاته نفس الشخص الذي يعرفه جيداً فسيظهر، هو يعلم جيداً أن الشخص الذي يعرفه لم يتراجع يوماً عن خوض أي تحد، فإذا كان هو فهو ينتظره، لا يعلم حينها إلى ماذا ستؤول تلك المواجهة، لكنّه لا يريد أن يستبق الأحداث، ينظر مرة أخرى للميدان والجميع يستعد لزيارة فارس العين.

في الجهة الأخرى وبعد عدة بنايات، كان هو بوجهه الموشوم بوشم الجمجمة، يضع قبعة على وجهه، بجانبه موسيقى سيمفونية قداس الموت بكلماتها المميزة يرددتها باستمتاع وهو يلوك لبانة بفمه ويجهز بندقية قنصه والسيمفونية تصدح خلفه، تراه يتسم بسعادة فتظن كما لو أنه بإحدى الرحلات وليس بمهمة قتل فوق أحد أسطح أشهر البنايات ليس بميدان التحرير فقط بل بمصر بأكملها، بناية إعلان المياه الغازية، والتي أصبحت أحد معالم هذا الميدان، لم يجد أفضل منها يستطيع أن يرى من خلالها بانوراما للميدان، يجثو على ركبتيه يجهز بندقية قنص وهو يرى الميدان بأكمله، يراهم يحتفلون، يرى الشباب أمامه يحلم، لا يعلم هل يسعد لهم أم يشفق عليهم فيما هو قادم، من الصعب أن ترى أحدهم يحلم أمامك وبينني صرحاً عملاقاً من تلك الأحلام وأن تعلم علم اليقين أن ما يحلم به ما هو إلا كابوس مفزع، وما أصعب أن يكون هذا الكابوس هو وطنك ذاته.

ينظر من خلال منظار بندقيته ليتأكد من أن كل شيء على ما يرام، ولا يزال يردد سيمفونية قداس الموت وهو يلوك لبانته ينتظر تلك اللحظة الموعودة لحظة دخول ليفي، يعلم أن العين لن تنتهي بمصرعه، لكنه سيحاول، سيبقى الظل الذي يطاردهم دوماً، سيكون لهم الكابوس الذي لن يفيقوا منه، ينظر من خلال منظاره للحدود الخاصة بميدان طلعت حرب ويتذكر صباح اليوم يتذكر أنه لأول مرة منذ عدة سنوات يترك خلفه من يقلق عليه، آمال يتسم وهو يتذكر قولها وهي تراه يستعد لهذا اليوم:

-إلى أين أنت ذاهب؟ ولماذا تصطحب معك تلك البندقية؟

- إلى بعض الأمور التي لابد أن تُنجز.

- هل لهذه الأمور علاقة بزيارة من يسمى برنارد ليفي اليوم لميدان التحرير؟

قالتها والقلق يبدو عليها فيبتسم قائلاً:

- أرى أن قطتي الصغيرة أصبحت على وعي بما يدور حولها، لا أعلم صراحة هل أهنئك على ذلك أم أقدم لك التعازي؟

يتذكر استنكارها وهي تقول:

- لماذا تقدم لي تعازيك؟

- نعم، قديماً يا عزيزتي قالوا إن النسيان نعمة وأنا أيضاً أرى أنه في بعض الأحيان الجهل نعمة، ليست كل المعرفة صحية، في بعض الأحيان ما سوف تعلمينه سيغريك للأبد، لكن تكون لك حياة كما باقي البشر، أتذكرين حينما قابلتك أول مرة ماذا قلت لك حينها، أنا ليست لدي واجبات بل لدي حقوق فقط.

يسكت ثم يستطرد قائلاً بإعجاب واضح لها:

- واو، ما هذا الذي ترتدينه، وما هذا الوشم على وجهك؟

كانت ترتدي بذلة كحلية اللون هي الأخرى نسخة مطابقة لبذلة أبادون وعلى وجهها وشمّت وشماً آخر لجمجمة، فقالت في دلال وهي تحتضنه:

- أرادت ليليث أن تُعجب زوجها أبادون فقط.

يحتضنها أبادون وهو يقبل جبينها برفق قائلاً:

- لكن أبادون الآن أب فقط يخاف على حياة ابنته يا صغيرتي.

يتذكر عنادها الذي يشبه الأطفال وهي تقول:

- وأنا حياتي قد تغيرت، أصبح ما يهمك يهمني، أصبحنا شخصاً واحداً، أمورك هي أموري، وواجباتك هي واجباتي.

-- وأنا أقدر لك ذلك يا عزيزتي، لكن هناك واجبات خاصة بي فقط، واعذريني

الآن لديّ موعد لابد لي من اللحاق به.

قالها وهو يتركها ويسير مبتعداً قبل أن يسمعها تقول:

-خذني معك.

يتوقف ويتراجع لها ويمرر يديه على وجهها وهو يقول:

-أريدك أن تعلمي يا آمال أن أمرِك أصبح يهمني للغاية، لذلك لن أسمح أن تتعرضي لأي خطر.

-لكن....

-يضع إصبعه على شفيتها قائلاً:

-ليس هناك لكن.

يسمع صيحات بالميدان تخرجه من أفكاره ويراه، يرى أمامه برنارد ليفي وهو يسير كالموك، سيمفونية قداس الموت من خلفه تتعاضم بيتسم وهو يراه يسير بساحة الميدان كما لو كانت ساحته، يحيط به بعض رجال من التيار الإسلامي ولسخرية الأمر أن التيار الإسلامي يحمي الآن برنارد ليفي ذاته، بعضهم يحميه عن جهل بما سمعه عن فارس الديمقراطية، والبعض يحميه عن علم، ومن الجهة الأخرى يحميه بعض شباب التيار المستقل والذي شأنه شأن التيار الإسلامي أيضاً، أما الشباب المتواجد بالميدان فقد ظل يهتف، الكثير هتف باسم مصر والثورة والبعض هتف باسم برنارد ليفي، تحفز عند سماع اسمه وهو يراه يسير وهو يصافح البعض ويشير للبعض الآخر، الجميع سعداء، ويداه تشعر بالسعادة أيضاً وهي تتحفز للضغط على الزناد، ها هي اللحظة التي ينتظرها، ضربة قلب العين ذاته، تلك الضربة التي تختلف عن أي ضربات أخرى، ضربة ستخل توازنهم لفترة طويلة.

يداه تتحفز، إصبعه يحرك الزناد لكن....

صوت باب السطح يتحطم، يرى من خلاله ثلاثة رجال يدخلون بملابس سوداء يمسكون بأيديهم بنادق آلية ويتقدمهم أحدهم وهو بيتسم له قائلاً:

-مستر أبادون يا له من شرف عظيم لي مقابلتك هنا.

على بعد عدة بنايات جاء أحد الرجال لعزت القابع بغرفته وهو يقول:

-سيادة العقيد لقد ظهر بالفعل.

- أسرع عزت بالخروج من غرفته وهو ينظر حيث أشار له الضابط المرافق فقال عزت وهو لا يبعد نظره عما يحدث بسطح تلك البناية:

-سامي أريد منك تسجيل كافة ما يحدث بتلك البناية على الفور.

-علم سيدي.

قالها سامي وهو يسرع للغرفة أما عزت فقد ظل ينظر لهذا السطح والرجال المتشحين بالسواد يحيطون بأبادون بعد تحميمهم للباب وأسلحتهم موجهة لأبادون فظل عزت يراقب وهو يقول لنفسه:

-إن كنت أنت حقًا أتمنى أن تستطيع التصرف وحدك فلا أستطيع التدخل لحمايتك الآن، الأمر لي بالتدخل لحماية برنارد ليفي منك فقط لكن ليس لحمايتك.

أما على الجانب الآخر فقد ترك أبادون سلاحه بعد مشاهدته للرجال وهو ينظر إليهم بهدوء قبل أن يقول بلهجة ساخرة:

-رجال بلاك ووتر بالقاهرة ومن أجلي يا له من شرف حقًا، كنت أتمنى صحبة لسماع سيمفونيتي المميزة ولم أكن أعلم أن ربي سيستقبل دعائي ويرسل لي صحبة مثلكم بحق.

يرتفع حاجبا سيمون بسخرية وهو يقول:

-واو مستر أبادون، لقد سمعت حقًا الكثير عنك ولكنني أشهد لك أنك على ثقافة عالية من أن تعرفنا من أول وهلة.

يصمت سيمون قليلاً وهو يستمع لقداس الموت قبل أن يردد معها:

-وامنحهم الراحة الأبدية، يا رب، وربما ضوء دائم يلمع عليهم. أنت يا إلهي، وإنشاد الفن في سيون.

قبل أن يكمل أبادون:

- وإليك يجب أن يتم النذر في القدس. اسمع صلاتي. منحهم الراحة الأبدية، الرب، وربما ضوء دائم يلمع عليهم.

صفق سيمون وهو يقول:

-رائع حقًا رائع لديك ذوق لا بد أن أشيد به مستر أبادون.

ابتسم أبادون ساخرًا وهو يقف منحنياً ويقول:

-شرف كبير لي إشادتك تلك سيد سيمون، الحقيقة لم أكن أتخيل أن يشترك رجال البلاك ووتر بالقاهرة أنا أعلم ما تفعلونه جيداً بسيناء وبما تخططون للمنقطة بأكملها لكن أن أراكم بالقاهرة هذا حقيقة لم أكن أتوقعه.

هز سيمون كتفيه وهو يقول:

-أنا مثلك يا صديقي لم أكن لأتخيل أن تنضم القاهرة لملعبنا أيضاً، لكن وهذا شرف لك أن تعلم أن العين تقدرك حق تقدير لكي تطلب من سيمون ورجال البلاك ووتر التدخل، هل تقدر قيمتك حقًا مستر أبادون؟

ابتسم أبادون وهو يقترب منه قائلاً:

-أعتقد أن هذا شرف لي يا سيمون، كما شرف لي مقابلتك الآن، لكن أرجو منك تركي بعض الوقت فلدي أعمال أقوم بها هنا.

ضحك سيمون وهو يلوح بسلاحه ورجاله من خلفه ممسكين أسلحتهم أيضاً ثم قال باستنكار:

-مستر أبادون، أنا قمت بمدح ذكائك منذ قليل وبتقدير العين لك، والآن أنت تستخف بكل ذلك وتريد مني أن أتركك لتفعل ما تريد بمستر ليفي؟ لا يا مستر أبادون لم أكن أنتظر منك هذا التقدير لي.

تقدم أبادون منه متسائلاً:

-إذاً ماذا يا سيمون أنت هنا لمدحي ولتوضح لي اهتمام وتقدير العين لي أم أن هناك شيئاً آخر.

تنهد سيمون قائلاً:

-مستر أبادون في الحقيقة طلبت مني العين التفاوض معك للانضمام إليها أولاً أو الابتعاد وإن رفضت أحد الخيارين فلا مجال لي سوى تصفيتك.
-وأنا أرفض الخيارين.

-وهذا ما توقعته منك لذا فقد أخبرتهم بتصفيتك على الفور.
تنهد أبادون ثم تقدم وهو يفتح ذراعيه قائلاً:

-وها أنا أمامك يا سيمون فاتحاً ذراعيّ للعين بأكملها، ها أنا دون سلاح دون قتال، فألقِ عليّ تحيتك.

على الرغم مما علمه سيمون عن أبادون وما قرأه عنه لكنه لم يتوقع تلك السهولة التي قابله بها أبادون، بل لقد قابله كما لو كان يتوقع قدومهم وعاملهم كما لو كانوا أصدقاءه حتى الآن لم يقاوم، حتى الآن لم يبدِ أية دهشة، أي رجل هذا.

كان أبادون يقترب مترنحاً فاتحاً ذراعيه وهو يقول:

-ما بك يا سيمون؟ ألن تلقي تحيتك عليّ؟ ماذا بك، أراك متردداً هكذا.
نظر سيمون له وابتسم قائلاً:

-في الواقع لقد تفاجأت بك مستر أبادون ولديّ اعتراف لك، لقد نلت إعجابي حقاً، لكن أعتذر أن تعارفنا لم يدم طويلاً، الوداع يا صديقي العزيز.

قالها وهو يحرك أصابعه على الزناد وأمامه أبادون وقد بدأ بالضحك بهستيرياً وهو يقول:

-الوداع حقاً يا سيمون.

على البناية الأخرى كان عزت يراقب، يتحسس سلاحه، يتمنى لو يستطيع التدخل، يحاول التدخل لكنه يتراجع، إن كان هو حقاً فلن يتحمل أن يخسره حقيقة بعدما ظن أنه قد خسره طوال تلك السنوات، كان يراقب وسيمون يستعد لإطلاق نيرانه قبل أن تحدث مفاجأة صدمت الجميع بكل المقاييس.

رصاصه صامته مصوبة من بناية أخرى تخترق ذراع سيمون دون صوت وقد انفجرت منه الدماء، حينها شعر سيمون بنيران تخترق كتفه الأيسر والدماء تنفجر منه فجثا على ركبتيه متألماً ولم يكد ينظر حتى اخترقت رصاصه أخرى رأس أحد مساعديه وقد قفز إبادون للمساعد الآخر وهو يُخرج سلاحاً من ملبسه ويطلق رصاصه تخترق رأسه فسقط صريعاً وقبل أن يقف سيمون وجد إبادون يضغط بفوهة مسدسه على جبهته فلم يتأثر سيمون بذلك وهو يقف بعناد ممسكاً كتفه الذي تغطيه الدماء قائلاً:

-لم أكن أعلم أن لديك صحبة مستر إبادون.

حرك إبادون إصبعه باتجاه رأسه قائلاً:

-أحياناً لابد لك يا سيمون من تغيير استراتيجيتك لضمان نجاح لعبتك، أتعلم يا سيمون الغرض من ذلك اليوم ليس برنارد ليفي، لم أكن لأمسه بسوء أنا أعلم أن حودث سوء لهذا الشيطان سينقلب العالم رأساً على عقب تجاه الدولة هنا، وأنا لا أريد ذلك، لقد أردت منكم الاتجاه بعقولكم لطريق آخر، أردت منكم تصوّر أنني أسعى وراء ليفي ولكن الحقيقة أنه ليس سوى طعام، فمن أردته هو أنتم يا سيمون من سيحيط وسيحمي ليفي خاصة عناصركم المسلحة لكن لم أتوقع أن يكون صيدي سميناً لتلك الدرجة حتى يسقط بيدي أحد أهم رجال البلاك ووتر.

ابتسم سيمون وهو يقول:

-حقاً ما سمعته عنك كان بالقليل، ولك الشرف الآن أن تفتخر بما حدث.

ابتسم إبادون وهو يضغط بفوهة مسدسه على جبهة سيمون قائلاً:

-أنا لا أفتخر بالتخلص ممن هو مثلك يا سيمون أنت مجرد بيدق من البيادق، حتى ملككم لا أريده أنا أريد من يتلاعب بكم أريد من يحرككم جميعكم.

ضحك سيمون بشدة قبل أن يقول:

-لماذا يا مستر إبادون حينما أقر بذكائك تعطيني انطباعاً بعدها مباشرة أنني قد تعجلت في ذلك، أتظن حقاً أن للعين رئيساً أو ملكاً، أتظن أن

هناك شخصًا واحدًا يحررنا جميعًا، العين مستر أبادون كيان ممتد منذ مئات السنين سيذهب القائمون عليه كما ذهب من قبله وسيظل هو، سيأتي من بعدنا وسيذهبون أيضًا وسيظل هو، العين خالدة مستر أبادون حتى بعد تحقيق مرادها، العين دائمة دوام الحياة لن تستطيعوا الابتعاد عنها ولا الاختباء منها، العين بكل شخص بكم دون أن تشعرُوا، كل منكم يخدم العين وفق ما تريد العين ذاتها، حتى أنت مستر أبادون على الرغم من كافة ما تفعله إلا أن العين تستمع بك تريدك بصفتها وإن لم تنضم فهي تستمتع باللعب معك، أحيانًا يكون من الملل أن تجلس وتتلاعب بمفردك، تريد حينها نداءً آخر بالساحة ليعطي متعة لما تفعله، العين خطتها موضوعة منذ زمن بعيد، قد تحدث بها بعض التعديلات لكن هذا لا يغير أن خطة العين تظل كما هي، أما تلك التعديلات فتوضع طبقًا لما يحدث على الساحة حينها، وما يحدث بمصر الآن والمنطقة العربية جميعها، لم يكن ضمن خطة العين الأصلية ما يحدث الآن، لكن جاءت تلك الفرصة ذهبية وسانحة للعين فهنيئًا لها بها، لماذا ترفضها إذا، مستر أبادون بعد إقرارك لك وشهادتي لك بشخصيتك وبإمكاناتك أريد أيضًا أن أشهد بحسن اختيارك لهذا الوشم على وجهك فأنا حاليًا بنفسي أعرض عليك ما كنت أرفضه من قبل، انضم مستر أبادون للعين، انضم للفريق الفائز، العين ستفوز، ستفوز، لذلك أتمنى أن تعيد النظر بخططك مستر أبادون انضم للعين وسنفوز جميعًا.

تنهد أبادون ونظر للسماء وما زال سلاحه مصوبًا لسيمون ثم قال:

-لماذا جميعكم بمثل هذا الغباء يا سيمون، لقد أخبرني شخص منكم بذات العرض لكنني أجبت له قاطعًا أية محاولة منكم لتقديم هذا العرض مرة ثانية، لكن ذات العقلية للأسف تقدمون لي عرضًا لا يمكن قبوله.

لم يكذب يتم جملته حتى سمع صوتًا قادمًا من خلال الباب المحطم وهو يقول:

-مستر أبادون رائع أنك ما زلت تتذكرني بل وتحدث عني أيضًا لم أكن أعلم تلك الأهمية الخاصة بي لديك.

كان القادم جون وهو يتسم ويحيط به رجلان بأسلحتهما وحينما رآه سيمون

بدا الغضب على وجهه وهو يقول:

-أنت؟ ما الذي أتى بك إلى هنا، لقد حذرتكم من قدومكم إلى هنا.

أصدر جون صوت طقطة وهو ينظر حوله إلى رجال سيمون ومن حولهم الدماء، وهو يقول لسيمون:

-سيمون أرى أنك في موقف لا يمكن لك فيه إصدار التحذيرات كما أنك فشلت بمهتمك أيضًا، ألا ترى ما فعله أبادون برجالك ها هنا الآن، أنا أرى أن تدخلك لن يفيد أستطيع السيطرة على الأمور وحدي لكن هذه كانت وجهة نظر العين، ولعلي الآن قد تفوقت على العين، سيمون أنت خارج اللعبة الآن.

قالها وهو ينزل بسلاحه على وجه سيمون الذي سقط فاقدًا الوعي، وهنا وقف أبادون يصفق بكلتا يديه قائلاً بسخرية:

-يا له من موقف رائع لعلّي محظوظ بالفعل حتى أرى رجال العين يصارعون بعضهم البعض للنيل مني.

ابتسم جون متقدمًا من أبادون قائلاً:

-مستر أبادون إنه لمن دواعي سروري أن أراك مرة أخرى، وللمعرفة فقط رجال البلاك ووتر لا ينتمون للعين هم فقط يعملون لدى العين، خدم فقط، جند مأجورون لنا لكنهم لا يرتقون لأن يصبحوا منا تمام كعساكر رقعة الشطرنج الذين يتقدمون الصفوف الأمامية لحماية الملك وحاشيته من الخلف، هم مجرد دروع ليس أكثر ولا أقل ولا يملكون عقولاً.

صفق أبادون مرة أخرى بسخرية وهو يقول:

-أستمتع بحديثك يا جون حقًا لديك فلسفة رائعة.

ابتسم جون وهو يقف ومن حوله رجاله وهو ينظر لساعته ويقول:

-وأنا أيضًا مستر أبادون أسعد بالحديث معك، وعلى الرغم من اختلاف فلسفة كل منا الخاصة، لكنني أحترم فلسفتك أيضًا، ولكن اعذرني ليس أمامي المزيد من الوقت أنت تسمع الآن صيحات الميدان احتفالًا بمستر ليفي وأنا أريد

أن أشارك بهذا الاحتفال خاصة وأن مستر ليفي سيكون بالسفارة الأمريكية بعد عشرين دقيقة من الآن لذلك أنا هنا لأسمع ردك بما يخص العرض الذي عرضته عليك في ذلك اليوم.

هز أبادون رأسه في أسف وهو يقول:

-يا ويلي منكم جميعًا أنتم جميعكم حمقى لهذا الحد؟! لقد أجبت على سؤالك هذا في ذلك اليوم وأجبت عليه منذ قليل لسيمون، ردي هو أنه لا يمكن أن يصبح الكابوس حلمًا جميلًا لكم، أنا كابوس لكم وسأظل كذلك سأظل خلفكم دائمًا يا جون لا بجانبكم.

تنهد جون قائلاً في أسف:

-حقًا لقد أحزنتني إجابتك تلك، كنت أتمنى بالفعل أن نتعاون معًا لكن هذا اختيارك مستر أبادون.

-وعلى الجميع تحمل اختياراته.

قالها أبادون فاتحًا ذراعيه لجون وعلى الجانب الآخر كان عزت يراقب ما يحدث وهو يتحسس مسدسه لكنه لم يقدر على التصرف فنظر على الجانب الآخر على ذلك القنص المجهول الذي وجده بإحدى البنايات على الجانب الآخر من ميدان التحرير فوجده مستلقيًا وهو يستعد ويطلق رصاصة باتجاه جون والتي أصابت أحد رجال جون، أما جون فقد تجمد مكانه من المفاجأة واستغل أبادون ذلك فسقط على الأرض سريعًا ملتقطًا سلاحه وأمسكه وهو يطلق رصافته على رجل جون المتبقي وييده الأخرى أخرج سكينًا حادًا وأطلقه برأس الرجل الآخر الذي سقط سريعًا ووقف أبادون ينظر لجون الذي وقف مبتسمًا وهو يقول:

-دائمًا يسعدني التلاعب معك مستر أبادون، جعلتك دائمًا مليئة بالمفاجآت، ولكن ليس أنت فقط من يستطيع مفاجأة خصمه.

قالها مبتسمًا وهنا شعر أبادون بكتفه الأيسر يشتعل والدماء تنفجر منه، ولم يكتف بهذا الشعور فقط لكنه أيضًا شعر بالآلام بقدمه اليمنى والتي اخترقتها رصاصة صامتة فسقط أبادون على الأرض وهو يلهث وينظر لجون الذي

ابتسم بسخرية قائلاً:

-مستر أبادون أحقاً كنت تظن أنني لا أراقب تحركاتك بالميدان منذ ظهورك فيه، أتظن أن قناصك كان يُعد مفاجأة لنا حقاً، سيمون هذا أبله، كان يظن أنه يتعامل مع شخص هاو، لكني أنا أعلم قدرك حقاً مستر أبادون وأعلم أنك كنت تستعد لهذا اليوم جيداً.

تماسك أبادون على الرغم من الآلام بكتفه وقدمه وهو يقول:
-ماذا فعلتم أيها الحقراء.

ضحك جون وهو يُخرج من جيب سترته هاتفاً يظهر على شاشته آمال وهي تجلس على أرض أحد أسطح البنايات وعلى رأسها صوبت بندقية آلية يمسكها أحد رجال جون الملتئمين أما آمال فبدت مذعورة وهي بشكل غريب موشومة بوشم جمجمة على وجهها وهي ترتدي بذلة مشابهة لأبادون فأصبحت صورة أخرى من أبادون لكن أنثوية.

حينما رأى أبادون ذلك بدا الغضب على وجهه وهو يصيح:

-أيها اللعين أقسم إن مسها أحد بسوء سيكون آخر يوم لكم على الأرض ستتمنون لو لم تولدوا حقاً.

ضحك جنون كثيراً وهو يشير بسلاحه قائلاً لأبادون:

-مستر أبادون أرى كما قلت لسيمون منذ قليل أنك في موقف لا يمكن لك التهديد فيه، انظر لحالتك، كما لا تنس مسز آمال أو كما تسمي نفسها الآن مسز ليليث، أتلك هي آمال بنت السيد صبري الورداني، لقد تغيرت كثيراً حقاً، أمممممم أرى أن بينكما نوعاً من أنواع الجاذبية ومن الصعب عليّ أن أكون السبب في إنهاء تلك العلاقة مستر أبادون.

بصق أبادون باتجاه جون وهو يقول:

-جون أطلق سراحها، الأمر بيني وبينكم فقط.

جلس جون على ركبتيه باتجاه أبادون وهو يقول:

-مستر أبادون أنت من أدخلتها تلك اللعبة وأنا أعيب عليك في ذلك، أنت تعلم ما هو مقابل دخول لعبتنا تلك، لذلك إما أن تنتهي الآن وإما أن أطلق سراحها بشرط واحد.

بدا أبادون بغاية الغضب وهو يقول:

-لن أفعل وأقسم لك أني لن أتركك يا جون، أقسم لك أنني لن أترككم جميعاً. أوماً جون برأسه وبدا عليه أسى مفتعل وهو يقول:

- أنا حزين للغاية من تلك النهاية مستر أبادون، لكن ليكن عزاؤك الوحيد فقط وأنت تموت أنك تسمع بالأسفل صيحات انتصارنا، تسمع الهتاف باسم مستر ليفي وهو يعبر من ميدانكم ميدان حريتكم كالملك المتوج وبحراسة شعبك متجهاً للسفارة الأمريكية أتسمع ذلك.

كان أبادون يسمع صيحات التأييد الخاصة بليفي بأسف، أما جون فقد نظر باتجاه بناية آمال وهو يبتسم ويقول:

-كان حقاً يوماً سعيداً، وليكن سعيداً لك أيضاً مستر أبادون فستموت أنت وحببتك في ذات الوقت، ألا ترى أجمل من هذا الأمر شاعرية.

تماسك أبادون ومن داخله انطلقت ألف دمعة حزن للمرة الثانية يفقد فيها من يخفق لها قلبه، للمرة الثانية يفشل في الحفاظ على من يهمله، ينظر والدموع تتماسك بعينه لجون الذي قرب وجهه من وجه أبادون قائلاً:

-واو مستر أبادون واو، ألا تعلم أن ما أراه الآن أسعد لي من أن تنضم حقاً للعين، أشكرك بشدة على تمسكك بموقفك الراض للعين، أستمتع كثيراً الآن.

قالها وهو يمسك هاتفه ويستعد لمكالمة مع من يحتجز آمال، وأبادون أمامه تشعر به خارج العالم شارد الذهن يتمتم:

-اتركها، هذا الأمر بيني وبينك فقط.

ضحك جون وهو يتحرك باتجاه أبادون وهو يركل برجله جسد سيمون الفاقد

الوعي ثم يأتي ليدور حول أبادون الجاثي على ركبتيه أمامه قبل أن يمسك بقبعة أبادون ويلقيها بعيداً ثم يصفر وهو يتلاعب بأبادون مشيراً له بهاتفه وأبادون يكتم غضبه ويتمتم مكرراً:

-اتركها، لن أكرر طلبي مرة أخرى.

كان جون يضحك دون أن يجيب، وما زال يدور حول أبادون ثم توقف أمامه قائلاً:

-أتدري مستر أبادون حقاً لم أكن أعرف أن التحكم بمصائر البشر له تلك المتعة حقاً إني أحسدك على تلك الفترة التي كنت فيها متحكماً بمصائر البشر يا لها من متعة حقاً، كنت أود أن أطيل الحديث معك لكن الوقت انتهى يا صديقي العزيز ولا بد لي من الذهاب الآن.

قالها وهو يمسك بهاتفه قائلاً:

-نفذ.

حينها لم يشعر أبادون بنفسه إلا وهو ينقض على جون ويكيل له اللكمات حتى تناثر الدم من كل جنبات وجه جون دون أن يشعر بنفسه حتى أخرج سكينه وهو يضعه على رقبة جون ناظراً بعينه لعين جون وهو يقول بغضب:

-قلت لك اتركها الأمر بيني وبينك فقط، الآن فقط أيقظت ما حاولت أن أدفنه في السابق أشكرك على ذلك، انظر بعيني انظر إلى وجهي، ذلك آخر وجه ستراه قبل مماتك وأعدك لن تكون لوحدك سأرفق لك صحبة قريباً.

قالها وهو ينحر عنق جون والدماء تنفجر كالشلال على وجه أبادون، أما جون فبدأ جسده بالتشنج والدماء تتكون كبركة حول رأسه فبصق عليه وهو يقف ممسكاً بيده ورجله وبدأ بالشعور بالدوار نتيجة لفقدانه الكثير من دمائه لكن شعوره بالغضب كان يفوق ذلك فأمسك سكينه وبدأ بجر أرجله متجهاً لسيمون الفاقد الوعي فأمسكه من ملابسه وهو يصفعه حتى وجده يفتح عينه وينظر إليه بوهن فقال أبادون بصوت واهن:

-سيمون فاتك الكثير والكثير، صديقك جون لم أتمكن من أن أشكره بالقدر

الكافي لما فعله معي ولإعادتي للحياة مرة أخرى وهو يظن أنه قد تسبب بوفاتي لكن وفاتي لكم أنتم حياة وحياتي لكم وفاة، ونتيجة أنني لم أتمكن من توجيه الشكر له بالقدر الكافي فاسمح لي أن أرسلك إليه حتى تشكره بالنيابة عني.

-لم أفهم ما تقول.

قالها سيمون بصوت واهن فربت أبادون على رأسه قبل أن يقول:

-جون سيقوم بشرح الأمر لك.

قالها وهو يطعنه بالسكين بمنتصف جبهته وعينا سيمون تجحظ وفمه مفتوح كما لو كان يود الصراخ لكن طعنة أبادون أسكتته.

نظر أبادون لجميع الجثث من حوله وعيناه تفيض من الدمع وهو يسمع الهتافات بأسفل الميدان وقد بدأت بالخفوت بعد خروج برنادر ليفي من الميدان، أما أبادون فقد انحدرت دمعة من عينه وهو واقف ومن حوله الدماء بكل مكان قبل أن يجمع شتاته وما يشعر به وهو يجر رجليه محاولاً التغلب على الدوار الذي يشعر به تاركاً تلك البناية.

وعلى الجانب الآخر وبتلك البناية وقف عزت وهو ينظر لأبادون الذي بدا مشتتاً بعدما خسر ذلك القناص على الجهة الأخرى، وهو يراه يغالب حزنه وقد سمع سامي يخرج من الغرفة قائلاً:

-سيادة العقيد أبادون سيختفي من المكان، ألا نهجم الآن ونعتقله لا أرى أنسب من تلك الفرصة خاصة مع جراحه تلك.

نظر له عزت بأسف قائلاً:

-لا يا سامي اتركه يذهب.

بدت المفاجأة وعلى وجه سامي وهو يقول:

-لكن يا سيادة العقيد هو بين أيدينا الآن وهذا ما كنا نتمناه هجوم واحد فقط منا و.....

قاطععه عزت مشيراً له بالتوقف عن الحديث:

-سامي، وجود أبادون خارج أيدينا أفيد لنا كثيراً من أن يكون بأيدينا، أنت رأيت الآن، لقد أوقع برجال البلاك ووتر هنا بالقاهرة ومن كان يتخيل ذلك ولقد بتنا نعلم أن للسفارة والسفيرة الأمريكية يدًا بما يحدث وإن أمسكناه الآن سينكشف كل شيء لهم خاصة بعد مطاردته لهم.

أوماً سامي برأسه موافقاً وهو يقول:

-لديك كل الحق سيدي وأعتذر عن تدخلتي ذلك.

-لا تعتذر يا سامي لا بد لك أن تفهم بشكل كامل ما نرمي إليه.

تفهم سامي حديث عزت وتساءل:

-لكن سيدي من قام بمساعدة أبادون؟

لم يجب عزت وهو يرى أبادون يختفي من أمامه قبل أن يستدير متجاهلاً تساؤل سامي وهو يقول:

-سامي هل قمت بتسجيل ما دار الآن بشكل كامل سواء هنا أو بالميدان.

أجاب سامي:

-نعم يا سيدي.

-إذاً هيا بنا نغادر ذلك المكان.

قالها وهو يتجه للغرفة وهو يفحص ما تم تسجيله قبل أن يأخذ فلاشة الميموري الخاصة بالتسجيل فقال سامي:

-لكن سيادة العقيد ماذا سوف نفعل بتلك الجثث.

هز عزت كتفيه قائلاً:

-لن نفعل شيئاً يا سامي نريدكم أن يروا ما فعله أبادون برجالهم هذا أفضل لهم.

ابتسم سامي وهو يقول:

-إن كنت مكان أبادون وعلمت ما فعلته لي لشكرتك بشدة ولبحثت عنك سيدي لأعرض ما لديّ عليك.

ابتسم عزت وهو يقول:

-صدقني يا سامي ما فعلته له هو بدافع الإنسانية قبل كل شيء، نحن وهو نواجه ذات العين ونحاول إيقاف ما تفعله، لكل منا طريقته ولكننا نجتمع على الهدف ذاته وما فعلته يستحقه حقاً ذلك الشخص.

تنهد وهو يقف مستطرداً:

-كان من الوارد أن يكون هذا الشخص بطلاً إن كان في مكان وزمن آخر، لذلك حتى وإن كنا نتعقبه وإن كنا نطارده فهذا لا يمنع أن نحترم ما يفعله.

-لديك كل الحق فيما تقول سيدي.

قالها سامي قبل أن يترك الغرفة متجهين للباب الخاص بسطح تلك البناية وعزت ينظر نظرة أخيرة للميدان وهو يقول:

-كم كنت أتمنى أن يظل هذا الميدان خالياً من أي منهم، حاملاً براءة الثورة، لكن مرور برنارد ليفي هنا الآن أفسد كل شيء.

قالها وهو يغلق الباب خلفه تاركاً البناية.

أما أبادون فقد كان يعرج متجهاً إلى ذلك الشارع الخلفي الذي اتفق على أن تقابله آمال فيه بعد الانتهاء من مهتهما.

كان يسير ويلهث من التعب والدوار الذي يشعر به تاركاً الدماء خلفه تتساقط ولكنه لا يبالي لا يبالي بأي جروح فيكفي ما يشعر هو به الآن، كانت الدموع بعينه وهو يتذكر ما دار بينه وبين آمال هذا الصباح.

-خذني معك.

يتوقف ويتراجع لها ويمرر يديه على وجهها وهو يقول:

-أريدك أن تعلمي يا آمال أن أمرِك أصبح يهمني للغاية لذلك لن أسمح أن

تتعرضي لأي خطر.

-لكن....

-يضع إصبعه على شفيتها قائلاً:

-ليس هناك لكن.

يتذكر كيف تركها وهو يتجه لمغادرة القبو قبل أن تأتي خلفه قائلة في عناد:

-إن تركتني هنا سأذهب خلفك دون أن تشعر بذلك ولن تعلم حينها إلا بعد أن تجدني بذات المكان الذي أنت فيه.

يتوقف وهو ينظر إليها ثم يقول مبتسماً:

-يا لعنادك.

يتذكر ابتسامتها البريئة حتى من خلال هذا الوشم وهي تقول:

-ومن أين لي بهذا العناد، منك يا أبي، أأست أبي كما قلت منذ قليل.

يبتسم ويحتضنها ثم يقول لها:

-سأصطحبك لكن ستظلين بعيدة عن الأمر.

بدا الغضب الطفولي على وجهها وهي تقول:

-ألن أشارك في الأمر.

يتذكر وهو يبتسم ويسألها:

-تعلمين بالحروب دائماً ما يوجد جنود يحمون الآخرين وأنتِ ستحمين ظهري، أتجدين القنص؟.

يتذكر إجابتها بحماس:

-نعم بالطبع لقد كان صبري يصطحبني دائماً للصيد.

يضحك أبادون حينها بشدة:

-لذلك قمتِ باصطيادي.

لكنه يراها على الأرض وبجانبها يقف أحد الرجال يرتدي ذات ملابس رجال جون ممسكاً ببندقية آلية مهدداً بها إياها وبات من الواضح أن هذا الأمر مرتبط بما يحدث لأبادون.

حوّل نظره باتجاه أبادون فوجد أبادون يحاول التحرك لكن كلما بدت عليه الحركة هدده جون بشيء ما فتراجع، حينها أسرع عزت يطلب من سامي بالغرفة ببندقية القنص الخاصة به وأسرع من خلال المنظار الخاص بها يراقب ما يحدث حتى وجد جون يكاد يتحدث بهاتفه فاتجه ببصره باتجاه طرف الميدان الآخر ليجد الرجل يستمع لهاتفه ويبدأ بتجهيز سلاحه والفتاة تتوسل إليه وهي تبكي والرجل يبتسم من توسلها وقبل أن يطلق نيرانه عليها وجد عزت نفسه يطلق رصاصة صامتة باستخدام ببندقيته أصابت منتصف جبهته فأردته قتيلاً.

لم تصدق الفتاة حينها ما حدث وظلت تنظر حولها لمعرفة مصدر تلك الرصاصة ولكنها لم تكذب تفعل حتى انطلقت هاربة من أعلى سطح تلك البناية.

حينها عاد عزت لينظر باتجاه أبادون ولدهشته وجده وعلى الرغم من جراحه قد قتل جون وسيمون وبدا كما لو كان تحوّل لشخص آخر وهو يقف مذهولاً لا يصدّق ما يحدث قبل أن يأتي سامي له قائلاً:
-حسناً فعلت يا سيدي.

٢٣ فبراير ٢٠١١ - الصحف المصرية

-زيارة ناجحة تاريخية لفارس الديمقراطية برنارد ليفي لميدان التحرير.

-برنارد ليفي بعد زيارته لميدان التحرير أمس: ميدان التحرير أصبح معلماً من معالم الديمقراطية بالعالم أجمع .. ما فعله شباب مصر أصبح مثلاً يحتذى به وجعل من هذا الميدان أرضاً مقدسة للباحثين عن الحرية، أدعو كل الشباب للتواجد الدائم بالميدان حتى تحقيق مطالب الثورة كاملة.

-برنارد ليفي يزور قيادات من الجيش المصري ويعرب عن شكره وامتنانه لهم لحماية الثورة وقيادتهم لها لتحقيق أهدافها .. كما قام برنارد بزيارة لقيادات التيار الإسلامي ودعاهم لإزاحة الخلافات مع أي تيار مدني جانباً والبدء بنشر الديمقراطية بشكل كامل بمصر.

-التقت السفيرة آن باترسون السيد برنارد ليفي وتناقشا حول الثورة المصرية والوضع بمنطقة الشرق الأوسط بأكمله.

-هروب حسن سليمان رجل الأعمال الشهير خارج البلاد.

صحف المعارضة

هروب حسن سليمان مهندس صفقات النظام الساقط خارج البلاد مسئولية من؟ هل المجلس العسكري الحاكم متواطئ في هذا.. حسن سليمان هو أحد رؤوس شيطان النظام المصري السابق وهو مهندس صفقة بيع الغاز المصري لإسرائيل من ساعده على الهروب خارج البلاد.. لابد من الإفصاح عنه والمحكمة العاجلة.

٢٣ فبراير ٢٠١١ - مكتب اللواء صلاح بوزارة الدفاع

بدا الغضب على وجه اللواء صلاح وهو يلقي بجريدة معارضة على المكتب ومن أمامه جلس عزت وهو يقول:

-أرأيت يا عزت هذا هو من كنا نبحت عنه حسن سليمان هو الوسيط الرئيسي للعين، هرب وانظر صحف المعارضة ماذا تفعل، بعضها أراهن بعمرى على أنه مرتبط بالعين.

بدا عزت شديد الهدوء وهو يقول:

-سيدي، بعيداً عن العين، صحف المعارضة لطالما تلاعبت بتلك المواقف هي تنتظر دائماً موقف مخالف لتحدث عنواناً تستطيع به مداعبة مشاعر الشعب.

طرق اللواء على المكتب بيده وهو يقول:

-قل هذا للواء عمر سليمان، لقد علم كل ما حدث وهو في غاية الغضب الآن لقد كان في اجتماع مغلق معي لمدة ساعة، أتعلم ما سبب غضبه هو أننا توصلنا بالفعل لمعلومة وجود وسيط للعين، وسيط ضمن نطاق رجال الأعمال ولم نتوصل إليه، لا أعلم كيف لم يخطر ببالنا أن هذا الرجل هو حسن سليمان.

حاول عزت تهدئة توتر اللواء وهو يقول:

-سيدي الأمر كله يعود لأن الفترة الزمنية قليلة كما أنه كانت لدينا زيارة برنارد ليفي وما حدث خلال تلك الزيارة.

هدأ اللواء صلاح وهو يتراجع على مكتبه ويغطي وجهه بكفيه قبل أن يقول:

-بمناسبة تلك الزيارة وما أخبرتني به أمس، هل علمت أين ذهب أبادون بعد ذلك، وهل علمت العين بما حدث لرجالها؟

أوما عزت برأسه قائلاً:

-نعم يا سيدي العين علمت بما حدث لرجالها وبمنتصف الليل أمس قامت بتنظيف الساحة الخاصة بعملياتهم، قاموا بنقل جميع الجثث ولكن كان الأمر تحت أعيننا، أما عن أبادون فلا يا سيدي لما نعلم ما حدث له، حتى حياته من مماته لم نتأكد منها خاصة بعد كمية الإصابات التي حدثت له.

-حسناً فعلت يا عزت بتركه يذهب، هذا الرجل يعاني أيضاً، أتمنى لو أستطيع أن أعرف هويته حقاً.

-هناك خيط وطريق أسير فيه يا سيادة اللواء الآن خاصة بعد تلك الصور التي أخذت له.

قالها عزت فقال اللواء صلاح:

-ليكن الله معك، وأي مستجدات أخبرني بها يا عزت.

أوما عزت برأسه وهو يستأذن اللواء للذهاب فسمح له اللواء بذلك وجلس

وهو يشبك يديه قائلاً:

-وتلك من تسمى آن باترسون رأس أفعى العين هنا، كم أتمنى أن أرى وجهها الآن.

٢٣ فبراير ٢٠١١ - السفارة الأمريكية بالقاهرة

كان الجو بالسفارة الأمريكية يبدو متوتراً للغاية والسفيرة الأمريكية تجلس غير واعية لما يدور حولها تبدو كما لو كانت في عالم آخر حتى طرق الباب فأسرعت السفيرة بفتحه حتى وجدت أمامها رجلاً وسيدة دخلا على الفور حتى دون أي إذن منها، أما آن فقد بدت متوترة وهي تقول:

-مستر ديفيد وولش ومسز مارجريت سكوبي يا له من شرف كبير حضوركما إلى هنا.

جلس كل منهما على الأريكة الموضوعة، ووضع ديفيد وولش قدمًا على الأخرى وهو يقول:

-ماذا بحق الجحيم يحدث هنا يا آن؟ كيف لكل هذا أن يحدث وأنت هنا، لقد وضعتك العين بقلب الحدث الذي قمت أنت بنفسك بالتخطيط من أجله فكيف بعد كل ما تم إنجازه حتى الآن أن نخفق في شيء بسيط كهذا. ارتبكت آن أكثر وهي تجلس قائلة:

-صدقني يا ديفيد الأمر يستحق، بالفعل هذا الشخص كأنه ظل، شبح يظهر ويختفي وقتما يريد، أنت رأيت بنفسك نتائج ذلك هل كان أي شخص يتخيل أن تكون نهاية سيمون أحد أهم قادة البلاك ووتر هكذا بل وجون أيضاً، مسز مارجريت جون الذي أوصيتني به وأنه أحد أهم رجال الـCIA على الإطلاق قبل تركك للسفارة هنا وتسليمك لي قبيل الثورة المصرية، لقد أنهى عليهما في ذات الوقت واختفى، تبخر في الهواء دون أي أثر.

قالت مارجريت بهدوء شديد:

-اختفى؟ إذاً يا آن لماذا لم تضعي في اعتبارك أن هذا الشخص من الوارد أن يكون يعمل لدى السلطة المصرية أو أنه الدمية التي تحركها السلطة المصرية لتتلاعب بنا.

أومات آن بالنفي بشدة قائلة:

-لا لا يا مارجريت لا أعتقد ذلك، أسلوبه وطريقته الخاصة تتنافى مع كونه يتعامل مع أحد الأجهزة هنا بمصر، كما أننا نتابعه منذ زمن بعيد ونعلم جيداً أنه مطلوب من الشرطة المصرية، لقد قتل أشخاصاً ينتمون إليها حتى حينما كان النظام قائماً، لا أعتقد ذلك.

نفث ديفيد دخاناً آخر من سيجارته قبل أن يقول:

-آن، الوضع الآن لا يحتمل أن نرى، حسب خبراتنا لابد من وضع كافة الاحتمالات لنا، ولذلك فلقد تحدثت مع جيرى دوانفيلد لكي يحضر إلى مصر خصيصاً لهذا الرجل.

بدا الدهول على وجه آن وهي تقول:

-جيرى دوانفيلد بنفسه؟

أوماً ديفيد برأسه قائلاً:

-أعلم أنه من الصعب حضور جيرى لمثل تلك المهمات البسيطة وأنت تعلمين خير علم ما هي مهامه بالعراق والتي ستمتد لسوريا قريباً وكان من الصعب عليّ إقناعه بمثل هذا الأمر، تخيلي زعيم ورئيس البلاك ووتر إحدى أهم المنظمات القتالية المأجورة في العالم التي تقيم حروباً وتُنهي حروباً يأتي خصيصاً من أجل رجل واحد لك أن تتخيلي أهمية هذا الأمر لدينا.

لم تفارق الدهشة وجه آن وهي تقول:

-جيرى ذاته، لا أعلم كيفية التعامل معه، جيرى معروف عنه شدته، كما أنه يرفض أن يُملي عليه أحد الأوامر، لا أثق أنني أستطيع التحكم به.

بدا الغضب على وجه مارجريت وهي تقول:

-آن، لن يكون جيرى تحت إمرة أحد ولن يكون تحت إمرتك، جيرى سيتصرف كيفما يريد بل وستكونين أنتِ تحت إمرته.

بدأت آن تتحول للغضب وهي تصيح:

-مارجريت ماذا تقولين، آن باترسون لا تأخذ أوامر من أحد، آن فقط هي من تعطي الأوامر للغير.

بدا ديفيد هادئاً وهو يطفئ سيجارته قائلاً:

-آن، الوضع الآن لا يحتمل من سيملي الأوامر على من الأمر خاص بالعين مستقبل العين بأكملها بالمنطقة ولن تسمح العين أن تفشل بما قامت به هنا بعد ما وصلت إليه حتى ولو كانت مهندسة هذا المشروع ذاتها هي السبب في ذلك.

-ديفيد....

قاطع ديفيد آن قائلاً بهدوء المعتاد:

-آن، أريد منك أن تعلمي أن العين تقدر حقيقة الدور الذي قمت به خير تقدير لكن لتعاون بشأن ذلك، جيرى سيحضر للقاهرة خلال ثمانية وأربعين ساعة وسيتوجه إليك هنا مباشرة، هو لديه التصور بما سيقوم به ولديه ملف كامل عن هذا الشخص فدعينا نتجاوز هذا الأمر ونتحد فيما هو أهم، أريد منك الترتيب لنا لمقابلة القائمين على السلطة بمصر الآن، كما نريد منك ترتيب لقاء لنا مع أهم قيادات التيار الإسلامي بمصر والتيار المدني أيضاً.

انعقد حاجبا آن متعجبة وهي تقول:

-كنت أعتقد أن تلك الزيارة سرية.

قالت مارجريت دون أية تعبيرات على وجهها:

-الزيارات فيما يخص أهدافها، وأهم أهدافها ما أخبرناك به للتو، لكن حضورنا لمصر قد عرفه الجميع، لذلك لابد لنا من عدة لقاءات للتغطية على غرض الزيارة الحقيقي.

تفهمت آن وهي تومئ برأسها موافقة على ما قيل قبل أن يقوم كل من ديفيد ومارجريت وديفيد يقول:

-سنذهب للمبيت بالفندق الخاص بنا وبانتظار الترتيب لتلك الزيارة غدًا، نراك غدًا يا آن.

قالها وهو يغادر هو ومارجريت تاركين آن ما بين حيرة وغضب.

٢٥ فبراير ٢٠١١

بمنزل حمدي عاطف القيادي بالتيار الإسلامي (العاشرة صباحًا)

جلس حمدي عاطف سعيدًا بوجود ديفيد وولش ومارجريت سكوبي مع آن باترسون في وجود عدد من قيادات التيار الإسلامي فتقدم الخادم يقدم لكل منهم مشروبًا فأخذ ديفيد مشروبه الخاص قائلًا بمزاح:

-ألا توجد بعض المشروبات الروحية لديك مستر حمدي؟.

ضحك حمدي وهو يسعل قبل أن يقول:

-تقصد مشروبات كحولية سيد ديفيد؟ في الواقع ليس لدي، لكن إن أردت سأتي لك بها.

رفع ديفيد حاجبيه بدهشة مفتعلة قائلًا:

-واو مستر حمدي كنت أظن أن هذا يُعد من الخطايا في دينكم.

ابتسم أحد الجالسين قائلًا:

-نعم، ولكن لكم دينكم ولي ديني مستر ديفيد.

ارتشفت مارجريت رشفة من كوبها قبل أن تقول:

- في الواقع يعجبني دينكم سيد «شوكت» دائمًا ما تكون لديكم المبررات المقدمة على أي فعل لكم، فما بالك أن يكون ذلك من فم قائد كبير كشوكت الطائر أحد أهم القيادات الإسلامية في التاريخ.

مسح حمدي فمه بعدما فرغ من تناول كوبه وهو يقول:

-شوكت الطائر اسم مميز ومناضل إسلامي عظيم أنا اعتبره هو الذراع الأيمن بالكامل للجماعة بدونه لا توجد جماعة يتميز بالدهاء والذكاء والحكمة عند وقت الحاجة.

ابتسمت آن وهي تتحدث لأول مرة:

-جميعكم كذلك مستر حمدي ويشرفنا أن نرى لديك مستر شوكت ومستر أحمد منسي ومستر حمد العراقي جميعكم خير من تمثلون الأمة الآن.

بدا التفاعل المفتعل من ديفيد وهو يقول:

-بالفعل يا آن لقد أصبت في ذلك وهذا ما جعلنا نأتي اليوم مستر حمدي.

ابتسم حمدي بسرور وهو يخمّن ما قد أتوا له وهو يتساءل:

-ما هذا السبب العظيم سيد ديفيد؟

ابتسم ديفيد قائلاً:

-انظر مستر حمدي، لدينا نحن بأمريكا تصور كامل للشرق الأوسط الجديد شرق أوسط بلا حروب أو مؤامرات، شرق أوسط متعاون لا وجود لأي منازعات، سنساعدكم بقيام دولتكم الخاصة، نحن نؤمن بالدين الإسلامي الحقيقي ونطمح في أن تكون المنطقة بها عدة دول إسلامية معتدلة.

بدا التعجب على وجه الجميع قبل أن يتساءل شوكت بحذر:

-وما المقابل؟

ردت آن:

-هذا هو المتوقع منك سيد شوكت نتوقع منك دائماً العقل والتساؤل الهام الذي يفيدنا جميعاً، ما المقابل، حسناً سنتحدث إليكم صراحة، لن تكونوا دولة إسلامية فحسب بل نحن نطمح لإعادة الخلافة الإسلامية جمعاء وهذا سيكون في القريب العاجل بعد بداية اشتعال الأمور بسوريا، ستكون سوريا هي مركز الخلافة والأمور تتمهد هناك لذلك.

صمت الجميع كما لو كانت هناك صاعقة قد أصابتهم جميعًا قبل أن يستطرد ديفيد قائلاً:

-حينها سنطلب منكم ومن دول العالم الإسلامي أن تقفوا خلف حلمكم بمدته بالسلاح والعتاد وحتى بالأفراد، سوريا ستتحول لساحة إسلامية خالصة، لكن لنرجع لما يفيد الآن ما مقابل ما عرضناه عليكم اليوم، المقابل هو أنه بعد قيام مصر كدولة إسلامية وهناك أيضاً المملكة العربية السعودية وتونس بجانب ليبيا وبالطبع كما قلت سوريا ومن خلفكم إيران ستكونون جميعًا دولاً إسلامية نريد منكم حينها فتح الحدود بينكم وبين إسرائيل، تعاون مطلق وليس حذراً.

بدا التعجب على البعض قبل أن يتساءل حمد قائلاً:

-لكن إسرائيل دولة يهودية، عدوة للإسلام.

نظر له شوكت نظرة معناها الصمت ليطبق حمد فمه قبل أن يقول شوكت:

-أعتذر عن المقاطعة أكمل سيد ديفيد.

ابتسم ديفيد وهو يقول:

-تخيّلوا معي شرق أوسط جديد دون أي صراع نموذج يحلم به الجميع، أنتم ترون أن الأرض جميعها لكم فلنجعل الأرض كذلك، افتحوا الحدود مع إسرائيل واحتوا إخوانكم الفلسطينيين بأرضكم واجعلوا السلام ينتشر بين الجميع.

تساءل حمدي:

-ما معنى أن نفتح حدودنا مع إسرائيل؟

أجابت ماجريت:

-سيد حمدي أنتم ترون ضرورة إقامة دولة فلسطينية بجانب قيام الدولة الإسرائيلية هذا شرطكم للمعايشة بسلام، وأنتم ترون أن جميع الأرض لجميع البشر وأن الحدود ما هي إلا بدعة، وسيناء لم تستثمر فيها مصر شيئاً، إذا

اجعلوا سيناء تنضم لقطاع غزة لقيام دولة فلسطينية بجانب الدولة الإسرائيلية وسيذكر التاريخ هذا لكم.

بدا الجميع يفكر قبل أن يسأل شوكت:

-وبما يخص المسجد الأقصى من سيحميه عند مغادرة الفلسطينيين من إسرائيل، كيف تضمنون وجوده وعدم هدمه لإقامة الهيكل الخاص بالإسرائيليين؟.

قال ديفيد بلهفة:

-أنا أضمن لك ذلك بل وأعدك أن أجعل تلك المنطقة دولة خاصة بمفردها كما دولة الفاتيكان الموجودة في إيطاليا، سأجعلها دولة صغيرة تحت رعاية دولية كاملة.

تحدث حمدي قائلاً:

-إذا كنتم تضمنون لي هذا فلا مانع من تبني اقتراحكم.

بدت الفرحة على وجه الجميع قبل أن يقول ديفيد:

-ومن الآن نعدكم بأن تكون كافة السلطات لكم، سنساعدكم في ذلك وستقابل بعد قليل مع أحد أعضاء المجلس العسكري المصري ونضع خطة لتسليمكم السلطة وستكون أنت مستر حمدي رئيساً لجمهورية مصر العربية قريباً.

ابتسم حمدي وهو يقول:

-لا سيد ديفيد سأكون خليفة للمسلمين وخليفة المسلمين ليس رئيس دولة، الرئيس القادم هو شوكت الطائر، هو من ناضل كثيراً ويستحق ذلك يذكرني دائماً بسيدنا يوسف، لذا فهو من خرج من السجن ليحكم مصر، إنه يوسف هذا العصر، وقريباً سنطلق الحزب الخاص بنا وسنسيطر على كافة الأمور بمصر ونعدكم بتحقيق حلمكم بالمنطقة.

ابتسم ديفيد قبل أن ينظر لساعته قائلاً:

-أتمنى ذلك مستر حمدي وأنتظر من تعاوننا الكثير والكثير سنترككم الآن وسنتجه لرئاسة مجلس الوزراء علينا مقابلة أحد أعضاء المجلس العسكري المصري الآن للتحدث بشأن البلاد الآن وتيسير نقل السلطة إليكم.

وقف الجميع يتصافحون قبل أن يصافح شوكت ديفيد وهو يقول:

-أتطلع لتعاوننا المثمر، كما أنتظر منكم وعدكم بشأن الخلافة الإسلامية بسوريا.

ابتسم ديفيد وهو يقول:

-قريباً يا رئيس مصر القادم، انتظروا إشارتنا فقط.

«إذا كانوا يريدون الإسلام فلنعطهم إسلامهم لكن كما نراه نحن»

-جون ماكين -

الفصل الثاني عشر

فبراير ٢٠١١

مقر رئاسة مجلس الوزراء المصري (الساعة الواحدة ظهرًا)

انتهى ديفيد وأن ومارجريت من مقابلة رئيس مجلس الوزراء بعد اجتماع لم يدم سوى نصف ساعة فقط وبالاتجاه لمقابلة أحد أعضاء المجلس العسكري المصري بالمكتب الفرعي لرئيس الوزراء، وما إن وصلوا حتى استقبلهم اللواء س-ع الذي رحب بهم بحرارة وجلسوا جميعًا في قاعة الاجتماعات، فقال ديفيد:

-بيدو أن اليوم هو يوم مثمر لنا سيادة اللواء.

ابتسم اللواء وهو يقول:

-أعلم هذا مستر ديفيد، فأعلم بمقابلتكم اليوم صباحًا بأهم قيادي التيار الإسلامي بمنزل السيد حمدي عاطف ومنذ قليل كانت مقابلتكم برئيس مجلس الوزراء والآن أنا.

بدت ابتسامة صفراء تظهر على وجه ديفيد وهو يقول:

سيادة اللواء هل تتم مراقبتنا.

نفى اللواء بإشارة من يده هذا الأمر قائلاً:

-لا على الإطلاق مستر ديفيد ولا نجرؤ على ذلك نحن بعصر جديد ولا نسعى لأي خلاف بيننا كل ما هنالك أنه ليس هناك أية أمور تخفى الآن بمصر جميع الأوراق مكشوفة وجميع الصفقات متاحة بنطاق القانون.

ابتسم ديفيد وهو يتراجع على كرسيه وصاحبت ابتسامته ابتسامة آن ومارجريت وهو يقول:

-دائمًا ما تعجبني شخصيتك سيادة اللواء حقًا منذ زيارتك المتكررة للولايات المتحدة ومقابلتنا لك وأنا أشهد بذلك.

ضحك اللواء وهو يقول:

-للولايات المتحدة معزة وقرب خاص لقلبي وأكبر دليل على ذلك هو وجودي بها وقت قيام الثورة.

قالت آن:

-ونحن نعتز بهذا سيادة اللواء ولذلك نريد منك أن يمتد هذا التعاون فيما بيننا بشكل أكبر نطاقاً.

بدا التساؤل على وجه اللواء وهو يقول:

-لا أعلم ماذا تقصدين بذلك مسز آن.

رد ديفيد قائلاً:

-سيادة اللواء مصر تدخل عصرًا جديدًا ونريد بذلك العصر أن نكوّن تحالفًا جيدًا مع النظام الجديد نريد عمقًا واضحًا وأكبر وأعمق من ذلك الذي كان مع النظام السابق، لا أحد ينكر علاقتنا الجيدة بذلك النظام في ذلك الوقت لكننا نطمح في المزيد ونطمح بتعاون يغيّر من خريطة المنطقة بشكل كامل وذلك لن يتحقق إلا بمساعدتك ووجودك بسدة الحكم.

بدا الذهول على وجه اللواء وهو يقول:

-أنا؟ أنا رئيس مصر؟ لم يكن ذلك ضمن خططي، وإذا كنتم حقًا تريدونني رئيسًا لمصر ماذا كان غرض زيارة التيار الإسلامي صباح اليوم؟.

قالت مارجريت بهدوء:

-سيادة اللواء تلك الزيارة الغرض منها التقارب بين وجهات النظر بيننا، أنت تعلم العلاقة المتوترة بين التيار الإسلامي وبيننا منذ زمن، هم يعتبروننا أعداء لهم، لذلك كان لابد لنا من تلك الزيارة فقط، كما تم الاتفاق على أن تكون السلطة البرلمانية والتشريعية لهم فقط مع اتساع سلطات البرلمان في الدستور المصري القادم، أما أنت فأنت الرئيس القادم سيادة اللواء وليس غيرك.

عقب ديفيد على حديثها قائلاً:

--سيادة اللواء أنت ذو شأن كبير وعقلية وخبرة الجميع يحترمها ويعلمها جيداً، كما أن تقارب الشعب منكم الآن سيساعد في ذلك، كل ما نريده منك أن تضع ذلك ضمن خططك القادمة فقط، لن نجد أفضل منك رئيساً لمصر.

بدا السرور على وجه اللواء قبل أن يقول:

-هذا شرف ما بعده شرف لي، لا أتخيل نفسي في سدة حكم مصر.

شك ديفيد أصابعه وهو يقول:

-تخيل سيادة اللواء، تخيل ذلك ونحن معك، ابدأ بكسب شعبية بعيداً عن المجلس العسكري وعند اللحظة الحاسمة اعلن ترشحك لرئاسة الجمهورية وسنزكيك بها، أنت تعلم لا يوجد أي حاكم عربي بأي دولة إلا بتزكية خاصة منا.

بدا اللواء غير مصدق قبل أن ينظر ديفيد لساعته وهو يقول:

-اتفقنا سيادة اللواء؟ حسناً سأعتبر هذا منك موافقة وأنتظر اتصالاً منك عما قريب للتنسيق بيننا فيما هو قادم، والآن سنستأذن منك فلدينا زيارة لقائد التيار المدني محمود المرعشني لابد لنا من التنسيق الكامل بين تيارات المجتمع المصري لذلك سنذهب الآن ولنا لقاء آخر سيادة اللواء.

قالها وهو يصافحه مغادراً رئاسة مجلس الوزراء.

٢٥ فبراير ٢٠١١ - مقر السفارة الأمريكية (الساعة السادسة مساءً)

جلست آن وأمامها كل من ديفيد ومارجريت وبدا على ديفيد الإنهاك والتعب وهو يقول:

-جولة اليوم مرهقة فعلاً لكنها كانت مثمرة حقاً.

تساءلت آن:

-ديفيد أنا لا أفهمك حقًا، العين جميعها مجتمعة على أن يكون الحكم القادم للتيار الإسلامي، لماذا إذن ما قلته للواء المجلس العسكري وللسيد أحمد شفيق وللسيد محمود المرعشني، لماذا جعلت كلاً منهم يظن أننا نزيهه، وأنه الرئيس القادم لمصر؟

بدت ابتسامة ثقة على ديفيد وهو يقول:

-التيارات حاليًا في وضع ترابطٍ وتماسكٍ يا آن، لابد لنا أن نضع لبنة الفوضى والطمع فيما بينهم، لنجعل كلاً منهم يظن أنه الرئيس القادم، لقد أصبنا قمة الأهرام المصرية حاليًا بالحكم، المجلس العسكري ورئاسة مجلس الوزراء والتيار الإسلامي والتيار المدني، حاليًا كل منهم بدأ التحضير لكي يكون الرئيس القادم ومن هنا نخلق الفوضى بأنفسنا بدلًا من أن نجعل هناك حتى ولو نسبة ضئيلة من أن يتم التعاون والتفاهم فيما بينهم، كما أننا نضع أيضًا احتمالية فوز أحد الأطراف الأخرى ولو من قبيل المصادفة وهذا لا يوجد بقاموسنا، لكن لابد من وضعه فلو حدث هذا سيكون تحت إمرتنا وسنكون فائزين في كل الأحوال حينها.

ابتسمت آن وهي تقول:

-دائمًا ما تبهرني بما لديك يا ديفيد.

ابتسم ديفيد وهو يقف ومعه مارجريت وهو يقول:

-صدقيني يا آن نحن جميعًا نتشرف بالعمل معك ومشروع الشرق الأوسط الحالي هو مشروعك أولاً قبل كل شيء، وجميعنا نسعى لنجاحه وتحقيقه، جميعنا نعمل للعين ونقدر لك مجهوداتك حق تقدير، الآن سنرحل أنا ومارجريت، طائرنا ستغادر بعد ثلاث ساعات من الآن ولابد أن نكون بالمطار بعد نصف ساعة على الأكثر، سعدنا بلقائك ونحن خلفك دائمًا وأي اتصال منك سنكون بالقاهرة في أقل من أربع وعشرين ساعة، وغداً سيكون جيري هنا، أرجو منك التعاون بشكل كامل معاً يا آن فلندع خلافاتنا جانبًا ولنعمل جميعنا لتحقيق الهدف الخاص لنا، قريبًا ستسقط الدول وتغرق بالفوضى واحدة تلو الأخرى، ونحن الآن سنتجه لسوريا، لدينا المشروع الأكبر لنا ولابد أن نكون متواجدين بالساحة هناك.

ابتسمت آن وهي تصافحه وتصافح مارجريت وهي تقول:
-أقدر ذلك وليكن الرب معكما وبالتأكيد يا ديفيد بالتأكيد أعدك بالتعاون
التام مع جيرى وأنتظر منكم زيارة أخرى.
ودعها ديفيد مارجريت بعد أن مهدا لها الطريق نحو عصر جديد لمصر...
عصر تحت حكم العين....

بمنزل العقيد عزت يونس
يجلس العقيد عزت يونس مع زوجته وأبنائه عمرو، وعمره يقارب الثانية
والعشرين عامًا، ويدرس الهندسة بإحدى الجامعات الخاصة، وابنته مروة
التي تدرس هي الأخرى إدارة الأعمال بإحدى الجامعات الخاصة، على سفرة
منزلهم يتناولون العشاء، ومن حين إلى آخر يتحدثون حول ما يحدث بالبلاد.
بدأ عمرو بالحديث قائلاً:
-ما رأيك من منظور عمك يا أبي بثورة مصر؟ وماذا ترى حول المستقبل
لتلك الثورة؟

ابتسم عزت وهو يتناول طعامه قبل أن يقول:
-انظر يا عمرو، تلك الثورة حقاً هي أظهر وأنقى ما حدث بمصر منذ سنوات
عديدة، لأول مرة منذ زمن كبير تتجمع جميع الطوائف المصرية تحت راية
وعلم مصر ولهدف كبير وعظيم، لكن - وهذا هو المهم - للثورة دائماً يا بني
منتفعين. الشباب لهم كل التحية والاحترام من جميع أفراد الشعب المصري،
ولكن للمرة الثانية المنتفعون من الثورة لن يتركوها هكذا بل سيتسلقون
للقمة على أكتاف شبابها.

تساءلت مروة قائلة:

-ومن تقصد بالمنتفعين يا أبي، هل تقصد التيار الإسلامي أم من؟
تناول عزت قطعة من طعامه قبل أن يقول:

-المنتفعون ليسوا فقط التيار الإسلامي يا مروة، على الرغم من أن التيار الإسلامي هو أول وأهم المنتفعين حقاً، لكن يوجد آخرون أيضاً، المنتفعون قد يكونون من التيارات المدنية أيضاً، وقد يكونون من رجال النظام القديم، وقد يكونون حتى من الجيش.

بدا الصمت المطبق على الجميع قبل أن تتساءل زوجته:

-الجيش يا عزت؟ الجيش قد حمى الثورة، كيف يكون من المنتفعين بها، ثم كيف يعود أعضاء الحرس القديم للمشهد بعدما حدث لهم، لا أظن أنهم بذلك الغباء حتى يعودوا مرة أخرى.

ضحك عزت ضحكة قصيرة وهو يقول:

-عزيزتي، السياسة ليست مجرد بحر عميق بل هي محيط كامل، محيط لا يعلم قراره أحد حتى أكثر المخضرمين سياسياً لا يستطيع أن يصل له، السياسة لا يتم التعامل معها بغضب الشعوب بل هي تربيطات وعلاقات، من الممكن عن طريق الإعلام بعد امتصاص غضب الشعب أن أجعل لك من أحد أعضاء النظام القديم بطلاً، كما من الممكن - كما يحدث الآن - أن أجعل لك من أعضاء التيار الإسلامي ضحية، وعلى هذا الأساس تتم الدعاية لهم، الأيام بيننا وستشاهدين الأمر بنفسك، سيحاول النظام القديم العودة من جديد متمثلاً في أحد أركانه، لن يترك هذا النظام نفسه أن ينهار.

تناول عزت جزءاً من طعامه قبل أن يستطرد:

-أما ما يخص الجيش، فطبعاً أنا لا أزايد عليه، لقد حمى الثورة بالفعل، والجيش كجيش ووحده ذاته لا غبار على وطنيته وانتمائه لمصر دون أي مزايدات، لكن بالطبع وكأي مكان آخر ستجد البعض يحاول التسلق والوصول لغرض ما يخصه، أنا أثق في رجال الجيش أنهم سيمنعون حدوث ذلك، لكن بما يخص المستقبل هو مبهم يا بني، كل ما أتمناه فقط أن تصل البلد لبر الأمان.

لم يكذب يتم جملته حتى ارتفع رنين هاتفه، وحين رأى الاسم رد على الفور قائلاً:

-ألو، ما الأخبار يا خالد هل أنت متأكد؟ سأتيك على الفور.

قالها مغلقاً الهاتف قبل أن تسأله زوجته:

-إلى أين أنت ذاهب، أنت لم تكمل طعامك ومنذ زمن لم نجلس تلك الجلسة سوياً.

ابتسم وهو يقول معذراً:

-أعتذر لكم جميعاً، لكن هناك أمراً هاماً جداً بالنسبة إليّ ولقضية هامة النتائج الخاصة بها ستقلب الأمور رأساً على عقب.

ابتسم عمرو قائلاً:

-اذهب يا أبي وكان الله في عونك ولنكمل حديثنا بوقت آخر.

سيأتي اليوم وسأعوضكم عن هذا كله.

قالها وهو يدخل غرفته لإكمال ملابسه قبل أن ينطلق لحل أهم لغز واجهه، لغز أبادون.

٢٥ فبراير ٢٠١١ - مقر المخبرات العامة المصرية (الساعة التاسعة مساءً)

دخل عزت مكتب المقدم خالد متعجلاً وهو يصفح خالد بلهفة وهو يقول:

- أحقا ما أخبرتني به بالهاتف يا خالد.

أشار له خالد بالجلوس فجلس عزت، وخالد يقول:

-نعم سيادة العقيد بالفعل عينة الدم التي أحضرتها لي قد أرسلتها لمعمل المخبرات العامة وقمت بمضاهاتها بالملف الذي أحضرته لي وكلتا العينتين لشخص واحد فعلاً، لكن هل لي من تساؤل: مَنْ هو ذلك الشخص صاحب كلتا العينتين؟

تجاهل عزت تساؤل خالد وهو يقول:

-هل لي بنتائج تلك التحليلات يا خالد؟
فهم خالد على الفور أن عزت لن يجيب عن تساؤله، وبدون أي تردد فتح
الدرج الخاص بمكتبه وهو يقول:
-تفضل سيادة العقيد نتائج العينتين والمقارنة بينهما بهذا الملف مع النتائج
النهائية التي توضح أنهما لنفس الشخص.
أخذ عزت الملف وهو يقرؤه قبل أن يقول:
-شاكر جدًا لك يا خالد لقد قمت بخدمة كبيرة لي.
ابتسم خالد وهو يقول:
-سيادة العقيد لا تشكرني، أنت أستاذي ومازلت أستاذي.
رد عزت الابتسامة بابتسامة وهو يقول:
-وخير تلميذ لي يا خالد، لا أريد أن أؤكد لك أنني أريد سرية هذه النتائج.
ضحك خالد وهو يقول:
-سيادة العقيد لا داعي لأن تطلب مني ذلك، كما أن تلك العينات مبهمة
بالنسبة لي فلا داعي لهذا الطلب.
أوماً عزت برأسه وهو يبتسم ويقف معلناً عن مغادرته فقال خالد:
-إلى أين أنت ذاهب يا سياد العقيد، أنت حتى لم تشرب شيئاً ولم تأخذ
واجب ضيافتك.
قال عزت وهو يمسك الملف:
-اعذرني يا خالد الأمر مهم لي، ولديّ عدة أمور لابد من أن أنهيا اليوم.
ابتسم خالد وهو يقف مصافحاً عزت وهو يقول:
-إذاً أتطلع لرؤيتك مرة أخرى يا سيادة العقيد، وأية خدمات تحتاجها بأي
وقت تذكر أن تلميذك لا يزال هنا وتحت أمرك.

صافحه عزت شاكراً قبل أن يغادر مكتبه متجهاً مباشرة إلى مقر وزارة الدفاع المصرية.

٢٥ فبراير ٢٠١١

مقر وزارة الدفاع المصرية مكتب اللواء صلاح الششتاوي (الساعة الحادية عشرة مساءً)

طرق باب مكتب اللواء صلاح قبل أن يأذن اللواء للقادم بالدخول، فما إن فُتح الباب حتدخُل عزت الذي دخل وبدت عليه العجلة كما لو كان هناك شيء ما، فتعجب اللواء وهو يربعزت في هذا الوقت وهو يتساءل:

-عزت؟ ما الذي أتى بك إلى هنا الآن، لقد منحتك اليوم راحة بعد المجهود الذي قمت به خلال الفترة الماضية، حتى أن هناك جديداً ولم أرد أن أقطع إجازتك، لابد أن هناك شيئاً بغاية الأهمية لحضورك هنا الآن وبهذا التوقيت.

قالها وهو يشير بالجلوس لعزت الذي جلس وهو يقول:

- كنت أعلم أنني سأراك هنا يا سيادة اللواء، العمل الخاص بنا ليس لديه إجازات أو عطلات.

وافقه اللواء صلاح وهو يُعقب:

-بالفعل يا عزت أنا تقريباً لم أعد أذهب للمنزل، حتى زوجتي طلبت منها أن تظل ببيت ابنتي وزوجها، هي تراعي ظروف عملي، كان الله في عون أسرتينا كما أن ما حدث اليوم كان أمراً كبيراً بحق، هل لك أن تتخيل أن العين قد أوفدت كلاً من ديفيد وولش ومارجريت سكوبي مع آن باترسون وقام كل منهم بزيارة مجمعة لقادة التيار الإسلامي ولرئاسة مجلس الوزراء ولمحمود المرعشني زعيم التيار المدني حالياً.

بدت المفاجأة على وجه عزت وهو يقول:

-هذا غير مطمئن على الإطلاق، العين لم تكتفي بوجود آن وحدها وتوفد هؤلاء جميعاً لمصر، لابد أن الأمر قد اتخذ منحى آخر.

ابتسم اللواء وهو يقول:

-ليس هذا الأمر وحسب، بل هناك أمر لن تصدقه، مَنْ كان هناك برئاسة مجلس الوزراء واجتمع معهم.

تساءل عزت بقلق:

-مَنْ؟

أجاب اللواء قائلاً:

-اللواء س/ع أحد أعضاء المجلس العسكري المصري.

صُغق عزت وهو يقول:

-ماذا؟ غير ممكن؟ وما العمل سيادة اللواء الآن؟

صمت اللواء قبل أن يجيب:

-لا شيء، علاقة اللواء س/ع بالولايات المتحدة قوية، كما أنه كان هناك حينما بدأت الثورة بمصر، وحينما علم بأمر الثورة عاد لمصر واتخذ موقعه بالمجلس العسكري.

-أتظن أنه أحد أعضاء العين سيادة اللواء؟

نفى اللواء صلاح الأمر قائلاً:

-لا يا عزت، الأمر وما فيه أنها إحدى حركات العين لشق الصف المصري. زيارتهم تلك وبجميع التيارات المصرية سواء الإسلامية أو المدنية أو حتى قادة الجيش ومجلس الوزراء إن كانت تدل فإنما تدل على خشيتهم من وحدة الصف المصري التي ظهرت بالثورة المصرية، وها قد جاء وقت تقسيم الكعكة وغنائم الثورة بمصر، تطمح العين بجعل طمع السلطة يتغلغل بداخل كل نفس ومن هنا تستطيع العين السطيرة على من يحكم، اللواء س/ع لديه علاقات حسنة مع الولايات المتحدة منذ نظام مبارك، وتلك الزيارة لجس نبضه فقط للترشح لرئاسة الجمهورية ليس إلا.

تساءل عزت:

-لكن سيادة اللواء نحن نعلم علم اليقين أن ما تريده العين أن يكون الرئيس القادم رئيسًا من التيار الإسلامي، فكيف لهم أن يحاولوا إقناع أحد قادة الجيش بتولي هذا المنصب؟

ابتسم اللواء وهو يقول:

- لابد لك يا عزت من قراءة الموقف والحقيقة بشكل كامل، العين تقوم بتأمين نفسها، تقوم برص رجالها الجدد بعد سقوط الحرس القديم الخاص بها، العين لا تترك مجالاً للصدفة فإن سقط أحد التيارات يكون لها رجالها بالتيار الآخر، تريد أن يكون الأمر دائرة مغلقة، وأن تُحكم سيطرتها على تلك الدائرة، اترك هذا الأمر لي .. بالحق وقبل أن تخبرني بما لديك، خلال يومين على الأكثر ستتم إذاعة بيان حول الحجز على أموال مبارك.

تساءل عزت:

-والخبر غير صحيح بالطبع؟

أجاب اللواء صلاح:

-الخبر بمضمونه صحيح، لكن سيترك مبهمًا. الجميع يعتقد أن ثروة الرئيس السابق تتعدى المليارات وهو ما لم نتأكد منه حتى الآن، لكننا لتهدئة الشارع سنعلن هذا البيان وسنجمد أرصده الواضحة لنا فقط، وإن ظهرت أي أرصدة أخرى سيتم تجميدها أيضًا وفق ما نراه. اترك كل ذلك الآن وأخبرني بما لديك، ما الأمر الهام الذي أحضرك إلى هنا؟

قال عزت وهو يناوله الملف:

-أبادون يا سيادة اللواء، أبادون هو شخص نعرفه جيدًا أنا وأنت، أبادون هو سيادة المقدم أيمن أبو اليزيد.

صُعق اللواء عند سماعه الاسم قبل أن يقول:

-عزت لا تقل لي أنك تقصد

وافقه عزت بإيماءة قبل أن يقول:

-نعم يا سيادة اللواء، نعم هو سيادة المقدم أيمن أبو اليزيد، الذي كان يعمل بالمخابرات العامة معنا منذ عدة سنوات قبل تلك الحادثة التي أودت بحياة أسرته وحياته أو كما كنا نعتقد ذلك، المقدم أيمن أبو اليزيد أول من فتح ملف العين بمصر وجميعنا لم نأخذ الأمر حينها بالجدية المطلوبة.

أشعل اللواء صلاح سيجارة قبل أن يقول مفكرًا:

-أيمن أبو اليزيد، كيف؟ لقد مات بتلك الحادثة، كيف حدث ذلك يا عزت؟ إن أخبرني أحد آخر غيرك لقلت إنه لمجنون، شخص بعد كل تلك السنوات يعود من الموت، ومَن هو، هو ذاته الشخص الذي نبحت عنه طوال تلك السنوات، كيف علمت هذا يا عزت، كيف علمت أنه هو؟.

أجاب عزت وهو يقول:

-أبادون أصيب خلال الموقعة التي حدثت بالتحريير أول أمس أثناء زيارة برنارد ليفي، وبعد انتهاء الأمر ذهبت بنفسي للمكان الذي تواجد به وأخذت إحدى العينات من قطرات دمه التي نزلها خلال معركته تلك، كان يراودني شعور غريب تجاه أبادون، أشعر أنني أعرفه، وكنت أخبرت سيادتك أن لدي طرف خيط أحاول السير فيه، لكنني لن أبوح بما لدي إلا حينما أتأكد منه تمام التأكد، أخذت عينة الدم وقمت بفحص الملف الموجود بالمخابرات العامة وأخرجت منه تحليل الدم الخاص بالمقدم أيمن ووجدت العينتين متطابقتين تمامًا.

بدا عدم التصديق على وجه اللواء صلاح وهو ينفث دخان سيجارته قبل أن يقول مغمغمًا:

-هذا صحيح، الآن كل شيء منطقي بالفعل، شخص تُوفيت أسرته بحريق افتعلته العين، نجا بطريق أو بآخر من هذا الأمر وقرر الانتقام بما لديه من معلومات، الآن كل الأمور بدأت تتض ، لكن لماذا لم يتوجه لنا، لماذا لم يتعاون معنا، لماذا فضل هذا الاتجاه؟

قالها اللواء صلاح غاضبًا قبل أن يقول عزت بهدوء مختلف مع الموقف:

-اعذرني يا سيادة اللواء، مَن منا صدقه حينها، أيمن كان يحارب العين وحيداً دون أية معاونة، كما أعتقد أنه فكر بأن يتعامل هو مع الموقف بطريقته الخاصة، لم يُرد أن يتعرض الآخرون لأية مخاطر، يكفي ما حدث لأسرته.

تبدل الغضب حزناً وشفقة على وجه اللواء وهو يقول:

-وأين هو يا عزت؟ ألم يظهر بعد؟

بدا الحزن هو الآخر يرتسم على وجه عزت وهو يقول بنبرة حزن:

-لا يا سيادة اللواء بعدما حدث وبعد الجروح التي حدثت له لم يظهر، أخشى أنه لم يتحمل تلك الجراح وما نزفه من دماء.

هز اللواء رأسه بأسف وهو يقول:

-إذا ملف أيمن أو أبادون أصبح من اختصاصك كاملاً يا عزت، لا أريد منك الانشغال بأية أمور أخرى.

رد عزت مجيباً:

-أتمنى فقط أن يكون قد نجا مرة أخرى بعد موقعة برنارد ليفي.

وافقه اللواء قائلاً:

-ليكن ملف أبادون من اختصاصك بشكل كامل يا عزت إن نجا.

قالها آمالاً أن يكون قد فعلها مرة أخرى

٢٦ فبراير ٢٠١١ - مقر السفارة الأمريكية بالقاهرة:

جلست آن بعيدة عن مكتبها وأمامها جلس رجل يقارب الخمسين من عمره يضع قدمًا على الأخرى دون إكتراث وهو ينظر لـ آن، بدت عليه الثقة المطلقة، أما آن فبدا عليها الضيق، ولكنها حاولت تصنع الابتسامة وهي ترحب به قائلة:

-مرحباً بك يا جيرى بالسفارة الأمريكية بالقاهرة، سعيدة جداً بلقاء أحد

أعضاء البلاك ووتر هنا.

قال جيري بهدوء شديد وبنبرة جافة:

-لست أحد أعضاء البلاك ووتر يا آن بل أن مؤسسها بشكلها الحديث، إنها إهانة حقاً أن يتم تقديمي كأحد أعضائها فقط.

شدت آن على أسنانها من الغيظ قبل أن تقول:

-بالطبع يا جيري، بالطبع لا أحد ينكر المجهودات الخاصة بك، بل أنت من أهم أسباب تغيير الشرق الأوسط للشكل الحالي وجميعنا نقدر مجهوداتك

.....

أوقفها جيري بيده وهو يقول بهدوء:

-آن، إن وقتي هام للغاية، زيارتي لمصر لن تستغرق سوى ساعتين فقط، لقد جئت من العراق وكان من المفترض أن أنقل أعمالتي لسوريا، لكن قررت بعد حديث ديفيد معي وطلبه مهمة خاصة مني أن آتي للقاهرة ترانزيت لمدة ساعتين فقط لأتحدث معك بشأن ذلك الشخص الذي أدى لهزة العين العظيمة بهذا الشكل.

قالها بلهجة ساخرة واضحة، فردت آن وهي تضع قدمًا على الأخرى بسخرية:

-لم تكن الهزة للعين فقط يا جيري، أظن ان سيمون كان أحد رجالك وقد أنهى حياته هذا الشخص أيضاً؟

بدا الغضب على وجه جيري وهو يقول:

-حتى ولو كان قد نجا كنت قتلته بيدي تلك، لا أحد يهين العين ويبقى حيًا، وسيمون أهان العين بعدم قدرته على الإنهاء على شخص واحد، أنا هنا له سأضع حدًا لكل ذلك.

قالت آن بنبرة هادئة محاولة تهدئة الموقف:

-جيري، سأكون صريحة معك، لم أكن لأفضل تدخلك أو تدخل أحد من البلاك ووتر منذ البداية بالأمر، لكن مصالحنا واحدة، العين - وإن بدأت

كمنظمات متفرقة - أصبحت تحت لواء واحد، وحتى أنتم على الرغم من رفضكم الانضمام لهذا الكيان وفضلتم أن يظل لكم الهيكل الخاص بكم، إلا أن هناك اتفاقاً مسبقاً بيننا ألا وهو حماية مصالحنا المشتركة، نحن نحترم تطلعاتكم وطموحكم المشروع، لذا أرغب منك أن تدع ما بيننا من خلافات جانباً ولنتعاون نحو هدفنا المشترك، من تبحث عنه ليس شخصاً بل هو شبح، ظل يظهر ويختفي وقتما يشاء، تسبب في خسائر كبيرة سواء من جانبنا أو جانبكم أو حتى جانب دولته، لذا أرغب منك بتقدير الموقف حق قدره بالفعل وإطلاعي على ما لديك من تصور لحل الموقف كما أخبرني ديفيد.

صمت جيري قليلاً قبل أن يُعقب:

-لديك كل الحق، ولتقديري للموقف فأنا هنا اليوم، انظري يا آن، ما لديّ هو فكرة تكاد تكون جنونية لكنها الحل الأمثل لاصطياد ذلك الشخص، ألم يظهر هذا الشخص بعد ما حدث؟.

نفت أن الأمر قبل أن يقول جيري:

-إذاً قبل أن أغادر القاهرة سأشرح لك خطتي، لكنها تعتمد كل الاعتماد على ظهوره.

-كلي آذان صاغية.

قالتها آن قبل أن يبدأ جيري بشرح خطته لاصطياد الظل.

٢٧ فبراير ٢٠١١

-بدأت نيابة أمن الدولة العليا برئاسة المستشار هشام بدوي المحامي العام الأول التحقيق مع اللواء حبيب العادلي وزير الداخلية السابق، في التهم المنسوبة إليه، وتتعلق بقتل عدد من المتظاهرين بالرصاص الحي، وانسحاب جميع أجهزة الشرطة ليلة ٢٨ يناير، مما تسبب في حالة فوضى تامة في البلاد، بالإضافة إلى التورط في تهريب عدد كبير من المسجونين والمسجلين خطر والبلطجة واستخدامهم لإرهاب المتظاهرين والمواطنين. وواجهت

النيابة العادلي بتقارير الطب الشرعي التي كشفت استخدام قنابل مسيلة للدموع منتهية الصلاحية، واستخدام رصاص حي مُحرم دولياً.

-النائب العام المستشار عبد المجيد محمود يصدر قراراً بتشكيل فريق من المحققين لمتابعة التحقيقات الجارية في النيابات على مستوى الجمهورية في كافة الوقائع التي حدثت خلال المظاهرات وأسفرت عن حالات قتل وإصابات وأعمال التخريب والإتلاف العمدي وإشعال الحرائق، وما ارتبط بها من وقائع أخرى.

٢٨ فبراير ٢٠١١

-قررت السلطات الحاكمة التحفظ على أموال الرئيس السابق محمد حسني مبارك.

-صرح المستشار طارق البشري، رئيس لجنة تعديل الدستور، بأن التصويت في الانتخابات، خلال المرحلة المقبلة، سيكون ببطاقة الرقم القومي، مؤكداً أن عملية الانتخاب واللجان المشرفة عليها، ابتداء من اللجنة العليا إلى اللجان العامة ثم الفرعية، ستكون تحت إشراف قضائي كامل من أعضاء الهيئات القضائية، منوهاً بأن دور وزارة الداخلية سيقصر على تأمين العملية الانتخابية.

وقال البشري، خلال مؤتمر صحفي عقده أمس بمقر انعقاد اللجنة بوزارة العدل، إن ما انتهت إليه لجنة التعديلات الدستورية من تعديل لبعض نصوص الدستور هي المرحلة الأولى من عملها، لتبقى بعد ذلك المرحلة الثانية، التي تختص بتعديل نصوص القوانين المكملة أو المتفرعة من تلك النصوص الدستورية، وهي قوانين مباشرة الحقوق السياسية، وقوانين مجلسي الشعب والشورى، وقانون انتخاب رئيس الجمهورية.

١ مارس ٢٠١١

-ذكر مصدر مقرب من الرئيس السابق حسني مبارك، أنه تم نقله إلى المركز الطبي العالمي تحت حراسة أمنية مشددة، وأضاف المصدر أن الرئيس السابق كان ينوي السفر مساء اليوم إلى «تبوك» بالسعودية بالطائرة الخاصة للعائلة ومعه سوزان ونجلاهما علاء وجمال وزوجتهما، إلا أن برج المراقبة رفض سفرهم طبقاً لقرار النائب العام بمنعهم من السفر.

-وأشار المصدر إلى أن الرئيس السابق كان يجلس بالطائرة على أساس الموافقة على سفرة سراً، إلا أن أمن المطار رفض خروجه من المطار، وبعدها تم نقله إلى مستشفى المركز الطبي العالمي بعد أن تعرض لضيق في التنفس.

٣ مارس ٢٠١١

-تقدم أحمد شفيق باستقالته من رئاسة الوزراء، وتم تعيين الدكتور عصام شرف رئيساً لمجلس الوزراء، وقد استقبل المعتصمون بميدان التحرير قرار إقالة الفريق أحمد شفيق، رئيس الوزراء، بإعلانهم الاستمرار في الاعتصام لحين الاستجابة لباقي مطالبهم التي حددوها في بيان رقم ١ والذي كان يتضمن تشكيل حكومة تكنوقراط جديدة، وإقالة جميع الوزراء والمحافظين، وحل المجالس المحلية.

-طالب الشيخ محمد حسان الداعية الإسلامي بوقف الاعتصامات والاحتجاجات المنتشرة في مختلف المحافظات، لدفع عجلة التنمية، قائلاً إنه من سنن الله التدرج، ولا بد من الانتظار لتحقيق الإصلاح، وحذر حسان من المساس بالمادة الثانية من الدستور، قائلاً إن الشعب والجيش لن يسمحوا أن «تُمس بأذى»، مطالباً بتفعيلها، داعياً الله أن يرزق مصر بمن يحكم بكتاب الله وسنة رسوله، وأضاف: ليطمئن النصارى فالإسلام هو الذي حمى كنائسهم وأطفالهم فهو دين العدل والأمان والتسامح والسماحة، ولا ينبغي أن نجعل الإسلام فزاعة للغرب والآخرين فهو دين العدل والحق، وأكد أنه لا بد أن نضحى بأنفسنا إذا

طال هذه المادة أي تغيير.

- نفى مصدر مسئول نقل مبارك إلى المركز الطبي العالمي تحت حراسة مشددة، كما نفى ما تردد عن أن الرئيس السابق كان ينتوي السفر هو وعائلته أمس الاثنين إلى تبوك بالسعودية بالطائرة الخاصة للعائلة، وأن برج المراقبة رفض سفرهم طبقاً لقرار النائب العام بمنعهم من السفر.

٤مارس ٢٠١١

-احتشد الآلاف أمام مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية للمطالبة بمحاسبة رؤوس الفساد، وحل الحزب الوطني والمحليات لاحتوائها على ٥٢ ألف فاسد على حد قولهم.

-قطع أهالي قرية صفط اللبن التابعة لمدينة المنيا الطريق الزراعي مصر أسوان، احتجاجاً على رغيغ الخبز، وانتقلت على الفور أجهزة الأمن ومدير عام التموين للقاء الأهالي ومحاولة إيجاد حل للمشكلة.

-قرر المجلس الأعلى للقوات المسلحة، إجراء عملية الاستفتاء على التعديلات المقترحة للدستور يوم ١٩ مارس ٢٠١١، على أن تبدأ الساعة الثامنة صباحاً وتنتهى الساعة السابعة مساءً.والتعديلات المقترحة ستكون على المواد أرقام ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٨، ٩٣، ١٣٩، ١٤٨ من الدستور، بجانب إلغاء المادة ١٧٩، وإضافة فقرة أخيرة للمادة ١٨٩، ومادتين جديدتين برقمي ١٨٩ مكرراً، و١٨٩ مكرر (١) إلى الدستور. وطالب المجلس الأعلى في بيانه اليوم للجنة القضائية العليا المنصوص عليها في المرسوم برقم ٧ لسنة ٢٠١١ وسائر الجهات المعنية تنفيذ القرار.

-أكد الدكتور حمد العراقي القيادى بجماعة الإخوان المسلمين استمرار تظاهرة ٢٥ يناير، موضحاً أنه تم الاتفاق على إعطاء الحكومة الجديدة مهلة لمدة أسبوعين لتنفيذ باقي مطالب الثورة والمتمثلة في حل جهاز أمن الدولة والمجالس المحلية والإعلان عن أسماء الضباط الذين قتلوا شهداء ٢٥ يناير كاملة، والإفراج عن كافة المعتقلين، مردداً «في التحرير حتى التغيير»

وأضاف العراقي: «يجب أن نفرق بين أن الثورة مستمرة وأنا سوف نعطي مهلة أو فرصة»، موضحاً أن الفرصة لا تعني تفويض حكومة المهندس عصام شرف، فإذا لم تتحقق المطالب فالاعتصام السلمي مكفول، مؤكداً أن إرادة الشعب المصري هي التي أتت بحكومة شرف، كما أسقطت الرئيس السابق حسني مبارك.

-وفي الدقهلية، احتشد الآلاف من جماعة الإخوان المسلمين وائتلاف شباب ثورة ٢٥ يناير والجمعية الوطنية للتغيير وشباب الأحزاب، أمام ميدان الشهداء للاحتفال بقبول استقالة الفريق أحمد شفيق من الحكومة وتجديد مطالب الثورة - على حد قولهم - . وتدخلت قوات الجيش مساء اليوم لفض اشتباكات عنيفة بين مئات المتظاهرين وقوات الشرطة، وبحسب شهود العيان، فإن المئات تظاهروا أمام مبنى جهاز أمن الدولة بمنطقة الفراغة بالإسكندرية، ووقع تراشق بقنابل المولوتوف مع قوات الأمن، وحسب أقوال عدد من الشهود، فإن قوات الأمن هي التي استفزت المتظاهرين أولاً.

٥ مارس ٢٠١١ - بمنزل حمدي عاطف القيادي الإسلامي

يجلس شوكت الطائر بجانب حمد العراقي وأحمد منسي وعلى مكتبه جلس حمدي عاطف وهو ينظر لحمد قائلاً:

-تصريحك يا حمد أمس كان جريئاً وصادماً، يُعد هو أول التصريحات التي نؤكد فيها على وجودنا وعلى التأكيد للمجلس العسكري المصري بأننا هنا الآن خاصة بعدما تم تغيير وزارة شفيق دون الرجوع إلينا.

تساءل أحمد منسي:

-لكن تغيير هذه الوزارة هو ما كنا نبتغيه حقاً.

أوماً حمدي برأسه قائلاً:

-نعم صحيح هو ما كنا نبتغيه، لكن ليس بتلك الطريقة، نحن فقط من نقول متى وكيف يتم التغيير، لا نريد أن نعيد حقبة عبد الناصر مرة أخرى بعدما قمنا بمساعدته بنجاح انقلابه وبعد ذلك انقلب علينا نحن، لن أسمح لذلك

أن يحدث مرة أخرى، تلك الثورة قد قمنا بها وتحملنا أعباءها ولا يعلم أحد حقيقة ما فعلناه من أجل إنجاح تلك الثورة، لذلك لن نسمح لأي أحد بأن يحاول فقط المساس بمكانتنا بالثورة.

تحدث شوكت قائلاً:

-بالأمس اتصل بي أحد أعضاء المجلس العسكري ليفهم ما قد حدث لإلقاء مثل هذا البيان منك يا حمد، فأخبرته بالأمر كاملاً، لن نقبل بتحييد أو بتقليل دور الجماعة، أخبرني حينها أن هذا لم يكن مقصوداً، وأن ما تم كان يُعتقد أن الجماعة رافضة لوجود أحمد شفيق قائماً على رئاسة مجلس الوزراء، فأخبرته حينها أن ذلك أمر حقيقي لكن لا بد أن يُعرض علينا التغيير هذا قبلاً، أبدى تفهماً لذلك وتناقشنا حول التعديلات الدستورية القادمة يوم التاسع عشر من مارس، أخبرته برؤية الجماعة حول تلك التعديلات وأنها نتعجل الانتخابات البرلمانية والرئاسية ولا وقت الآن لإجراء تغيير دستوري كامل، سيتم ذلك أثناء انعقاد البرلمان القادم، لكن الآن ما علينا سوى سد ثغرات الدستور الحالي، لا بد لعجلة التغيير أن تتم بأسرع وقت.

تساءل حمد قائلاً:

-وما كان رده على ذلك؟

رد شوكت:

-ما تم إخباري به أن الدولة الآن تعيش عصرًا ديمقراطيًا بحثًا، وأن السلطة في مصر تقدر كيان الجماعة بشكل كامل، لكنهم - خاصة بعد الثورة - الأعين تراقب حركة تغيير الديمقراطية في مصر، لذلك الأمر متروك للشارع هو من يقرر إجراء التعديلات أو أن يتم تغيير الدستور بالكامل.

قال حمدي موافقاً:

-في هذا لديه كل الحق، وطالما أن الأمر متروك للشارع، فهذا يعني أن الأمر متروك لنا، الحشد ثم الحشد هو لعبتنا منذ زمن بعيد، نحن نعيد قواعد تلك اللعبة ولا بد لنا من تحقيق ما نريد، إجراء التعديل الدستوري، والتعديل

فقط هو من سيضمن لنا انتخابات برلمانية سريعة وانتخابات رئاسية أيضاً، وكلتاهما بالنسبة لنا أيضاً مسألة وقت ليس إلا، وسنحكم مصر بشكل كامل، حينها سيكون هنا لنا مطلق الحرية في تغيير الدستور وفق ما نريد نحن ليس الشعب أو هم، سنغير هوية مصر لنا، سنحصد ما نستحقه منذ زمن بعيد لقد اقترب الأمر يا إخواني.

بدت السعادة على وجه الجميع قبل أن يستطرد حمدي قائلاً:

-بمناسبة ذلك وقبل أي شيء لقد تناقشت في ذلك مع آن باترسون السفيرة الأمريكية وقد وافقت على ما سأقوله بشكل كامل بل وأبدت رغبتها في المساعدة وقتما نشاء.

بدا الانزعاج على وجه أحمد منسي وهو يقول:

-يزعجني التعاون مع الولايات المتحدة وسفارتها بمصر، ارى أن الجماعة الآن تستطيع الاعتماد على نفسها ولا حاجة لنا لأية مساعدة من أية جهة.

ضحك شوكت وهو يقول:

-أحمد أنت لست خبيراً بمجال السياسة بشكل كامل، أنت دكتور بمجال العلوم الفيزيائية حتى انتماءك للجماعة لم يغير تفكيرك كثيراً، السياسة لعبة مصالح أولاً، لا بد من تبادل مصالح، ومهما كانت الظروف والأمر تخدمك لا بد أن تكون هناك قوى تستند عليها عند الحاجة، دع هذا الأمر لنا يا أحمد ولا تقلق، التعامل مع الولايات المتحدة سيكون تعامل الند للند، لكن أولاً علينا أن نجاريهم حتى نحقق من نصبو إليه.

قاطع حمدي الحديث قائلاً:

-دعونا من هذا كله الآن، الأمر هام بالفعل، تحدثنا بهذا الاتصال عن الانتخابات الرئاسية، دعنا من البرلمانية فهي بحوزتنا، لكن الانتخابات الرئاسية نعلم أن التيار المدني موجود وأن حرس النظام القديم موجود أيضاً ستكون معركة شرسة لذلك لا بد لنا من التحضير لها من الآن.

تساءل حمد قائلاً:

-وكيف لنا أن نقوم بذلك؟

أجاب حمدي:

-أولاً تسمعون عن الأستاذ حامد صالح أبو ياسين والأستاذ عبد الرحمن أبو السعود؟.

أجاب شوكت:

-بالطبع الدكتور حامد أحد أعضاء التيار الإسلامي وجماعتنا، والأستاذ عبد الرحمن كان سيكون له شأن كبير قبل أن يبتعد عن النشاط والمجال الخاص بنا.

ابتسم حمدي وهو يقول:

-ممتاز جداً، في البداية الدكتور حامد سيبدأ إجراءات إنشاء أول حزب رسمي لنا، سيكون بصبغة مدنية وجميعنا سنكون أعضاء به، سيكون حزباً للحرية والعدالة، ثانياً سينزل كل منهما الانتخابات الرئاسية أمامك يا شوكت.

بدت الصدمة على شوكت والمفاجأة على الجميع وشوكت يتساءل:

-لكن كيف يا سيد حمدي، أنت قلتها إن رئيس مصر القادم أنا، مَنْ خرج من السجن ليحكم مصر، والجميع يعلم ما هو شأني بالجماعة.

ابتسم حمدي وهو يشير له بيده أن يهدأ قبل أن يقول:

-يا شوكت ما يعيبك فقط عصبيتك تلك، لا أعلم كيف ستتمكن منها عندما تكون رئيساً للدولة، حامد وعبد الرحمن لن يكونا منافسين بالمعنى الحرفي لكن سيكونان غطاءً لك، سأشرح لك: حينما يكون هناك أحد المزايدات الهامة يتم الاتفاق مع أحدهم على أن يكون هذا المزداد من حقه، والباقون فقط شكل، منظر لاكتمال الشكل الرسمي أمام الجميع، وبما أننا نتوقع جميعاً خوض التيار المدني وأعضاء الحرس القديم المنافسة، فلا بد لنا من الترتيب مع أكبر عدد ممكن من المنافسين، سيتم ذلك لكن هذا لن يكون مع أعلاهم شأنًا، لذلك علينا نحن خلق الأعلى شأنًا بأنفسنا، سندفع بحامد وعبد

الرحمن وسنزكيهما، سنجعلهما مشهورين وبطلين، حتى وإن لم يسمع أحد
عنهما بشكل كامل، الآن الدعايا بالإعلام وبمواقع التواصل الاجتماعي يمكن
أن تجعل من أي أحد بطلاً وقتما تريد، وبهذا سيكون لك منافسون بالوزن
الثقيل، ولن يأخذوا منك، سيأخذون من رصيد المتنافسين الآخرين.

بدأ شوكت يتلاعب بذقنه وهو يبتسم ويقول:

-فكرة عبقرية بحق، لكن نزول ثلاثة رجال ثقال الوزن بذات الحيز الخاص
بالتيار الإسلامي لن يضيف شيئاً.

ابتسم حمدي وهو يقول:

-هذا هو شوكت الذي أعرفه، لا لن يكونوا بذات النطاق الخاص بك، سيكونون
بملعب آخر لكنه قريب منك. مثلاً عبد الرحمن سنجعل منه صاحب الإسلام
الوسطي، قائداً للثورة البرتقالية بمصر، سنشبهه بأردوغان، وأنت تعلم حب
المصريين لرئيس الوزراء التركي، رجل ذو عقلية إسلامية منفتحة، سيكون عبد
الرحمن هو قائد هذه الراية، أما حامد فنسجعه ممثلاً عن التيار المتشدد،
سنجعله ممثلاً عن السلفية، وأنتم تعلمون أن قطاعاً ليس بقليل من الشعب
يعشق الوهابية، إذا سنمدهم بها، أما أنت يا شوكت فوراؤك وخلفك جميع
التيار الإسلامي بحق، ستكتسح الجميع حينها بإذن الله.

بدا الجميع يتحدث ويغمغم وعلى وجوههم تبدو علامات الإعجاب قبل أن
ينظر لهم حمدي قائلاً:

-هل أعجبتكم الفكرة.

أبدى الجميع إعجابه بها قبل أن يقول حمدي مبتسماً:

-قبل أن نقرأ الفاتحة على هذا الاتفاق، يُسير لنا الله أعمالنا، لي منكم طلب،
هل سمع أحدكم عن يسمي أبادون هذا.

أوماً شوكت قائلاً:

نعم أنا سمعت عنه الكثير والكثير.

رد حمدي:



-هذا هو طلب آن وطلبي أنا بذات الوقت، أريد منكم التحري عنه وإعلامي حين تجدونه أو يظهر، آن باترسون تريده بأي ثمن.

أوماً الجميع بالموافقة قبل أن يقول حمدي:

-إذاً توكلنا على بركة الله، لنقرأ الفاتحة على ما اتفقنا عليه اليوم، ولا أريد التأكيد لكم أن ما قد تم بيننا بنطاقنا فقط.

أبدى الجميع تفهمه لهذا قبل أن يشرعوا بقراءة الفاتحة.

الفصل الثالث عشر

٥ مارس ٢٠١١ - السفارة الأمريكية بالقاهرة

تجلس آن تتابع بعض التقارير قبل أن تتلقى اتصالاً لتنظر بالهاتف فتجد المتصل هو ديفيد وولش فتجيب على الفور:

-ألو، أهلاً يا ديفيد ما هي الأخبار لديك؟

يجيبها ديفيد على الطرف الآخر:

-كل شيء بخير يا آن، أخبريني كيف تمت المقابلة بينك وبين جيرى؟

-بخير يا ديفيد لا تقلق تفاهمنا وأخبرني بما لديه، يريد أن يجعل مني طعاماً لاصطياد أبادون وشرح لي خطته في سبيل ذلك.

-عظيم عظيم، لا تنزعجي يا آن نحن نحاول تذليل أية عقبة لديك ولا تأخذي الأمر كتقليل من شأنك.

-لا يا ديفيد لست منزعجة أتفهم الأمر بشكل كامل، نحن ننتظر ظهوره فقط، وجيرى الآن عندك بسوريا وينتظر مني اتصالاً في حال ظهور أبادون.

-ألم يظهر بعد؟

-لا لم يظهر منذ ذلك اليوم.

-من الوارد أن يكون قد لقي حتفه هو أيضاً.

-من الوارد يا ديفيد، ولكنني أستبعد هذا الأمر خاصة لعدم وجود جثته بالموقع.

تصمت آن ثم تستطرد قائلة:

-اتركنا من هذا الأمر يا ديفيد، واتكره لنا سننهيته نحن، وأخبرني بما لديك ما هو الوضع بسوريا؟

-سوريا تسير وفق ما نريد، تم الاتفاق مع رجالنا بالعين بالدول المجاورة على

فتح الحدود عند الحاجة لذلك لدخول الانتحاريين والمجاهدين بالتوقيت الذي نراه، والثورة السورية أصبحت قريبة سنستغل إرادة الشعب بتغيير سريع بسوريا لجعل الثورة مسلحة، والسلاح بدأ مده لبعض القوات المنشقة من الجيش، نحاول هنا نشأ صراع مسلح بين قوات الدولة وقوات أخرى من الجيش، اللعب هنا نريده أن يكون مكشوفاً، حرباً أهلية يا آن.

-عظيم عظيم، وأنا لدي الكثير أيضاً لقد تحدثت مع حمدي عاطف صباحاً، وأخبرني بخطة عبقرية لضمان نقل السلطة لهم، تلك الجماعة عبقرية سياسية بحق لكنها تطمح للكثير جداً.

-لا تقلقي من هذا يا آن، تلك الجماعة تعلم أنها تحتاج إلينا، ولدينا رجال بالداخل منها، لا تقلقي من هذا، نحن نريد نقل السلطة لهم وهذا سيُعد إنجازاً كبيراً لنا، فقط حفزيهم تحفيزاً دائماً لسرعة نقل السلطة، وعديهم بالمزيد والمزيد وبالدعم الكامل لهم.

-هذا ما تم بالفعل، نحن قريبون للغاية يا ديفيد، قريبون من تحقيق مشروع العين.

-اقتربنا يا آن، ولكننا لم نصل، نريد الكمال التام بالأمر، لذلك لا مجال لأية أخطاء.

-أتفهم ذلك.

-ليكن الرب معك يا آن، وأي جديد أخبريني فقط.

-حسناً يا ديفيد وسأتابع التطورات أولاً بأول.

-إلى اللقاء.

-إلى اللقاء.

وأغلق الهاتف.

٦ مارس ٢٠١١

-محاولة اقتحام القوات الإسرائيلية أمس ساحة المسجد الأقصى، ومئات المعتصمين من الفلسطينيين لمنع تدنيس الإسرائيليين للمسجد الأقصى.
-أصدر اللواء س.ع بياناً يدين بشدة ما يحدث بساحة المسجد الأقصى، وقد حذر السلطات الإسرائيلية من محاولة القيام بأي فعل متهور، منوهاً أن الأمور قد اختلفت الآن، وأن الجيش المصري على استعداد للدخول للأراضي الفلسطينية لحماية المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين.

٦ مارس ٢٠١١ - مكتب اللواء صلاح الششتاوي بمقر وزارة الدفاع

يُفتح الباب ويدخل اللواء عمر سليمان مبتسماً فيقف اللواء صلاح الششتاوي وهو يتحرك مسرعاً باتجاه الباب ومرحّباً به بلهفة قبل أن يجلسا على الأريكة الخاصة بالمكتب واللواء صلاح يقول مرحباً:

-سيادة اللواء عمر سليمان في مكنتي، أنا سعيد جداً بتلك الزيارة.

يبتسم عمر سليمان وهو يقول:

-ما بك يا صلاح، سيادة اللواء عمر سليمان، أنا عمر فقط يا رجل نحن زملاء وبنفس الرتبة، ومن يعلم لولا أنك قررت أن تعمل لحساب الدولة بشكل غير رسمي لكنت أنت منذ زمن رئيس جهاز المخابرات.

يضحك اللواء صلاح وهو يقول:

-لا تقل هذا يا عمر، أنت تستحقها منذ زمن، جهودك لا يستطيع أحد أن ينكرها وجميعنا نعلم أنه عند وضعك بهذا المنصب قد تم وضع الرجل المناسب بالمكان المناسب.

يصمت عمر سليمان وهو يخرج سيجارة يعطيها اللواء صلاح ويخرج سيجارة أخرى له ويشعلها قبل أن يستنشق أحد أنفاسها ويخرجه قائلاً:

-الأمر الآن مختلف يا صديقي، الآن كلانا يتعامل بالظل، لقد استطاعت العين أن تجعل الشعب ينقلب على الجميع دون استثناء، نحن الآن أمام أوضاع

جديدة تتطلب منا متطلبات جديدة ليس بمصر فقط ولكن في المنطقة العربية بأكملها.

أوما اللواء صلاح برأسه قبل أن يتسم عمر سليمان قائلاً:

-أسمعت آخر الأخبار اليوم؟

صمت اللواء صلاح منتظراً أن يستكمل عمر سليمان حديثه، فقال عمر سليمان بذات الابتسامة:

-أقصد تصريح اللواء س.ع اللواء المنتمي للمجلس العسكري بخصوص تصديه لأية محاولة لاقتحام المسجد الأقصى وما إلى ذلك.

ابتسم اللواء صلاح قائلاً وهو ينفث دخان سيجارته:

-من الواضح أن اللواء س.ع قد أراد الدعاية للانتخابات الرئاسية له مبكراً، كما أن ما يحدث بالمسجد الأقصى ما هي إلا محاولة من العين لمساعدته في ذلك، أنا وللحقيقة سأقول ذلك، أشهد بجرأة وعبقرية تحركات العين، حتى ولو كان دفعهم للواء س.ع للدخول في الانتخابات وهم يدعمون التيار الإسلامي في الحقيقة، لكنهم لا يتركون أية فرصة لأية صدفة، كل أمورهم تم ترتيبها بشكل منظم، سقط رجالهم، ولكنهم يعملون على تجنيد العديد من الرجال بكافة التيارات بمصر حتى بالجيش ذاته.

بدا الانزعاج على وجه اللواء عمر سليمان وهو يقول:

-اسمع يا صلاح أنا لا أثق إلا بك أنت، لذلك أريد منك تحمل مسؤولية إدارة مصر وفق ما خططنا له، الفترة القادمة لن أكون متواجداً بشكل كافٍ بمصر، سأكون بين مصر وسوريا، سأحاول السيطرة على ما سوف يحدث هناك، إن سقطت سوريا ستكون محاصرة مصر أسهل بشكل أكبر، خاصة مع ما يحدث بليبيا واليمن، لذلك لا بد أن أكون متواجداً بشكل كبير هناك، خاصة مع تواجد ديفيد وولش ومارجريت سكوبي هناك، لذا لا بد أن أكون هناك أيضاً، ولن أثق بأحد لتولي مسؤولية إدارة مصر سواك أنت مع المشير طنطاوي، دعه هو بالصورة، لقد اتفقت معه على ذلك، أما أنت فابق خفياً بالظل دائماً، دع

للإسلاميين حكم مصر، دعهم واجعل الشعب معهم، الشعب الذي سينتخبهم هو من سيُسقطهم يا صلاح، لكن لا بد ألا يكون المرشح الإسلامي شوكت الطائر، شوكت إن تولى حكم مصر لن نستطيع حينها إسقاطه بعد ذلك، ادعم الإسلاميين بالخفاء، وأنا سأحاول إقناع أحمد شفيق كوجه للنظام القديم أن يكون بالانتخابات أيضاً، حينها ادعموه بالعلن واجعل الجميع يعتقد أنه هو بلا شك الرئيس القادم، حينها سيتجه الجميع لمرشح التيار الإسلامي وسيدعمونه حتى يكون رئيس مصر، هذا أسهل، نريد حرق الإسلاميين أمام الشعب المصري للأبد، ولن يكون ذلك إلا بأن يرى الشعب بعينه أفعالهم، بعدما يصل الإسلاميون للسلطة سنجعلهم يتذوقونها دون أن تساعدكم سلطات الدولة، سنجعل غيابهم يقودهم للسقوط بأيديهم، صدقني حينها لن تكون سوى سنة واحدة فقط وستراهم يرحلون بلا عودة.

قال اللواء صلاح:

-حقاً أفتخر أنك صديقي يا عمر، أنت عبقرى بالفعل، لكن نريد أن نتأكد أن المرشح الإسلامي لن يكون شوكت الطائر.

رد اللواء عمر سليمان وهو يظفيء سيجارته:

-سنترك هذا للوقت، وإن تواجد بالفعل شوكت الطائر سنثير اللغط حول أنه لا يمكن لمن حُكم عليه بأحكام سابقة أن يكون رئيساً للجمهورية، سنجد عواراً قانونياً نستطيع إزاحته به.

-لكن من الوارد أن ينقلب الشعب حينها، خاصة مع الزخم الإعلامي الخارجي حول التيار الإسلامي.

قالها اللواء صلاح فبدأ التفكير على وجه اللواء عمر سليمان قبل أن يقول:

-لذلك قلت لك أننا سنثير لغطاً لهم من قبل حتى يكون لهم مرشح آخر أقل شأناً من شوكت، نستطيع التأكد حينها من إمكانية إزاحته، نريد من التيار الإسلامي أن يكون له عدة مرشحين وليس شوكت الطائر فقط، وحينها سأنزل بنفسى للانتخابات وسأجعل هناك قصوراً دستورياً بأوراقى حينها حتى يتم إبعادي عن الساحة الإنتخابية مع شوكت الطائر والمرشحين الذين نخشاهم،

وتكون الساحة لمن نريد نحن فقط، اترك هذا للوقت يا صلاح.
ابتسم اللواء صلاح معرباً عن إعجابه بما قاله اللواء عمر سليمان قائلاً:
-حقاً أنت رجل الظل يا عمر، أتمنى أن يذكر التاريخ ما تفعله.
-ليس من المهم ذلك يا صلاح، عملنا لا نريد أن نُجازى عليه، ما نريده فقط
الحفاظ على هذا البلد.

قالها عمر سليمان قبل أن يقول صلاح:

-لديك كل الحق يا عمر، لديك كل الحق، سنترك هذا الملف حينما يحين
وقته، خاصة أن التيار الإسلامي يردد الآن أنه يريد فقط نتيجة الإستفتاء على
التعديلات الدستورية وإجراء انتخابات برلمانية يشارك بها، على ألا يشارك
بالانتخابات الرئاسية.

-إنها مجرد كذبة يا صلاح سيشاركون.

قالها عمر سليمان فأوماً صلاح قائلاً:

-أعلم يا عمر ذلك جيداً، الأمر فقط لكسب الشعب حولهم بالانتخابات
البرلمانية، هم يخططون لحكم مصر بالكامل، يريدون الأغلبية البرلمانية،
ومن بعد ذلك الانتخابات الرئاسية، وبذلك يحكمون مصر بشكل نهائي.

قال صلاح:

-لن نترك هذا لهم أعدك بذلك.

ابتسم عمر سليمان وهو يضع يده على كتف صلاح:

-أعلم هذا يا صلاح، وأضع ثقتي الكاملة بك.

قالها ثم وقف فتساءل صلاح قائلاً:

-إلى أين يا عمر لم ننهِ حديثنا بعد.

قال عمر سليمان وهو يخلق أزرار بذلته قائلاً:

-للأسف يا صديقي سأتوجه من الغد لزيارة سوريا، وسأترك لكم الأمور هنا،

ابق دائماً مراقباً للعين، وتحكّم بالعملية في مصر يا صلاح، أنا أعلم أن هذا يعد عبئاً ثقيلاً بالفعل، لكنني أثق بك أنت وعزت.

ابتسم صلاح قبل أن يعانق عمر سليمان مودعاً إياه قبل أن يغادر المكتب ويجلس اللواء صلاح مفكراً بما قاله له عمر سليمان وبين التيار الإسلامي وما يريده وبين العين وهو يقول:

-عبء ثقيل فعلاً، وأحتاج لمعاونتك يا أيمن أين أنت يا أبادون الآن؟

يفتح عينيه لينظر حوله فيجد نفسه أمام حديقة غناء وأعواد من القمح تتناثر حوله، السماء صافية، والطيور يسمع أصواتها تختلط بصوت أمواج هادئة يراها من بعيد، يرى نفسه كما لو كان أعلى سطح جبل أخضر، يستنشق الهواء النقي يتساءل أين هو، هل مات بالفعل وهو الآن بجنة الله، هل أصبح شهيداً وهذه هي جائزته.

يسمع صوت طفلين يتضحان من بعيد يمعن النظر وهما يقتربان يراهما، لا يصدق عينيه، لا ليس ممكناً، أولاده، بالفعل هو بالجنة إذاً، يسمعهما وهما يركضان ويسمع منهما كلمة أبي بلهفة، تدمع عيناه وهو يجلس بركبتيه على الأرض لا يستطيع الوقوف، لا يصدق، تلك جائزته الأعظم أن يراهما مرة أخرى، يفتح ذراعيه ويحتضنهما بقوة يقبلهما بشدة ومازالا يضحكان، وجهاهما يشعان ضوءاً كالملائكة، يظل يردد: اشتقت إليكما، لا أصدق ذلك، حتى يسمع صوتاً من خلفه، ويدّ توضع على كتفه وهو يقول:

-ألم تشتاق إليّ أيضاً؟

يفغر فاه وهو لا يزال لا يقوى على الوقوف، لا يصدق أنها زوجته ترتدي فستاناً أبيض يشع نوراً هو الآخر، كانت جميلة فيما مضى، لكن الآن وجهها يشع نوراً هو الآخر مما زادها جمالاً فوق جمال، لا يشعر بنفسه وهو يقول:

-أنت؟

تبتسم بدلال قائلة:

-نعم أنا اشتقت إليّ؟

-جدًّا.

تنظر له مبتسمة وتقول:

-اشتقت إليك يا أيمن، اشتقت أنا وأطفالك لوجودك، أعلم أنك أيضًا اشتقت إلينا، لكنك لم تنته من مهتمك حتى الآن، زوجي لا يترك ما يقوم به، تحامل يا حبيبي على نفسك، الطريق أمامك ما زال طويلًا، ننتظرك يا عزيزي بالنهاية، نحن هنا من أجلك ومعك دائمًا.

يتسم لها ودموعه تنساب من عينيه قائلاً:

-لم أعد أقوى على ذلك؟

تبتسم وتقول معاتبة:

-زوجي لا يقول هذا.. أنت فقط سقطت ونحن البشر نسقط دائمًا، لكن الفارق من يستطيع الوقوف وإكمال المسيرة.

-كما عهدتك دائمًا مصدر قوتي.

قالها فابتسمت وقالت:

-أعلم هذا، لذلك بعثت لك آمال، هي ستكون مصدر قوتك حتى نلتقي مرة أخرى، اعتني بها، اعتني بآمال وابعث بتحياتي لها.

لا يصدق ما يسمعه، فتودعه مبتسمة وهي تمد يدها قائلة:

-هيا أمسك يدي، هيا يا حبيبي قف مرة أخرى لتكمل ما بدأته.

يمسك يدها ويبدأ بالوقوف

٧ مارس ٢٠١١ - قبو أبادون

ثلاثة عشر يومًا وما زال أبادون غارقًا بغيبوبته، يجلس ليل نهار بجانبه كل من

آمال وسالم يتناوبان على رعايته، لم تنس آمال ما حدث في ذلك اليوم، كانت تشعر باقتراب نهايتها وهذا الرجل يعدل من وضع سلاحه لإطلاقه عليها، قبل أن تراه دون أن تعي ما حدث، يسقط جثة هامة ورصاصة مخترقة منتصف جبهته، حينها لم تعلم ما عليها فعلة لا تستطيع سماع أبادون بعد أن قام هذا الشخص بكسر الهاتف الخاص بها، لم يكن أمامها سوى أن تذهب إلى ذلك الشارع الجانبي الذي أخبرها أبادون بأن تنتظره به بعد إكمال مهمته، أو إن حدث أي شيء ولم يستطيعا التواصل حينها، حينها اتجهت مسرعة إلى هذا المكان تنتظره، مر وقت طويل نسبياً بدأت تشعر خلاله بالقلق على أبادون، فكرت حينها أن تذهب إلى البناية التي هو بها على الرغم من تأكيده لها بعدم التوجه لها مهما كان الأمر الدافع لذلك، إلا أنها قلقتها وبدأت تتخذ قرارها بالذهاب للبناية قبل أن تجده وهو يترنح أمامها قبل أن يراها، لن تنسى أبداً نظرته حينها وهو يراها كما لو كان قد رأى شخصاً عزيزاً عائداً من الموت، أسرعت باتجاهه قبل أن يغيب عن الوعي بأحضانها، حينها أخذته بالسيارة الخاصة والتي أعدها أبادون للعودة، وخلال عودتها به اتصلت من هاتفه بهاتف سالم الذي وجدته على هاتفه، كانت عيناها غارقة بالدموع وهي تستنجد بسالم أن يلحق بها لإنقاذه، وقد لحق بها سالم وساعدها في ذلك عمله بالجراحة العامة، قام بأقصى ما قد يقوم به لإنقاذه ولكن حتى الآن واليوم الثالث عشر ولا يزال غائبا عن الوعي.

كان سالم يجلس أمامها وهو ينظر لأبادون نظرة يستعطفه أن يستفيق من غيبوبته، فوجدت الدموع تنساب بصمت من عينيها فمسحتها بيديها قبل أن تقول:

-دكتور سالم متى تتوقع أن يستيقظ من تلك الغيبوبة؟

تنهد سالم وهو يعتدل بجلسته ويقول:

-لا أعلم يا آمال، الغيبوبة يكون دائماً لها أسباب مختلفة بعضها يكون نتيجة إنهاك جسدي وهو ما حدث لأيمن، وأحياناً يكون لرفض المريض ذاته من قبل اللاوعي لديه أن يستفيق ويعود للوقوع الخاص به، وفي حالة أيمن يبدو أن الإنهاك الجسدي وما حدث له هو سبب تلك الغيبوبة، لكن بحالة أيمن

أظن أنه يرفض العودة للواقع الخاص به أي أن السبب عضوي ونفسي يا آمال.

بدأت دموع آمال تنساب مرة أخرى، فبدا الضيق على وجه سالم وهو يقول محاولاً تهدئتها:

-آمال ضعي بحسبانك أن ما مر به أيمن ليس بالقليل، شخص آخر غيره كان قد لقي حتفه بذات الوقت، لكن لحسن الحظ أن أيمن شخص عنيد حتى مع الموت، أرجو كادعي الله فقط أن يستفيق من غيبوبته قريباً، ولا تبك، أنا أعلم أن أيمن يشعر بك، وبكاؤك يعذبه.

حاولت آمال التماسك قبل أن تقف وتتجه لأبادون لتترك يدها تسير بنعومة على رأسه وهي تبتسم وتقول:

-هيا يا أبادون لا تجعلهم يهزمونك هم يريدون هذا وأنت لم تنته بعد، هيا يا أبادون أرجوك من أجلي افعلها.

بدأت تتحسس وجهه بيدها قبل أن تجد جفونه ترتعش فبدا الذهول والفرحة على وجهها، أما سالم فقد هبّ واقفاً والسعادة تبدو على وجهه هو الآخر قبل أن يرى أبادون يفتح عينيه ببطء ويغلقهما قبل أن يعاود فتحهما وهو ينظر لآمال وسالم، ثم قال بصعوبة محاولاً أن يبتسم:

-آمال.....

بدأت الدموع تنهار من عيني آمال غير مصدقة وهي تحتضنه بقوة، قبل أن يتأوه أبادون فاعتذرت آمال قائلة:

-أنا آسفة، لم أصدق نفسي، اشتقت إليك.

يبتسم أبادون وهو يرفع يديه بصعوبة ليتحسس وجهها قائلاً:

-وأنا أيضاً اشتقت إليك يا ليلث.

١٥ مارس ٢٠١١ - سوريا

-اندلاع العديد من التظاهرات بكافة بقاع سوريا مطالبة برحيل الأسد،
الملايين بالشوارع يطالبون برحيل النظام.

١٨ مارس ٢٠١١ - سوريا

انشقاق العديد من قادة الجيش الوطني السوري تضامناً مع تظاهرات
الشعب السوري ومطالبين برحيل الأسد والنظام بالكامل، وقد أعلن العديد
من القادة المنشقين عن إنشاء الجيش السوري الحر، وهو جيش من جميع
القادة السوريين الأحرار والمواطنين الأحرار، والهدف واحد وهو إسقاط
النظام السوري.

-الرئيس السوري لا يهتم بما يحدث ويرى أن تلك التظاهرات ما هي إلا لغرض
هدم الاستقرار السوري وأن هناك أيادي خفية تحاول العبث بسوريا، مهدداً
تلك الأيدي بقطعها، وأنه لا نية لديه للرحيل وترك سوريا للفوضى.

١٩ مارس ٢٠١١

تصريحات التيار الديني حول استفتاء اليوم:

١-إنها غزوة الصناديق.

٢-أبشروا ستقول الصناديق لتعديل الدستور نعم.

١٩ مارس ٢٠١١ الثامنة ليلاً:

أعلن التلفزيون المصري الرسمي مساء السبت ١٩-٣-٢٠١١ إغلاق مكاتب
الاقتراع في الاستفتاء علي التعديلات الدستورية، وبدء فرز الاصوات في هذا
الاستفتاء الذي شهد إقبالا غير مسبوق في مصر منذ عقود.

من جانبه، قال منصور عثمان رئيس اللجنة القضائية العليا المشرفة على
الاستفتاء ردًا على واقعة الاعتداء على رئيس جبهة التغيير محمود المرعشني

ومدى تأمين اللجان حرصًا على حياة المواطنين «لم تبلغ اللجنة القضائية العليا بأي واقعة اعتداء على المرعشني أو غيره، وإن كانت تلك الواقعة قد حدثت، فقد حدثت خارج اللجنة، ونحن مختصون فقط بتأمين اللجنة داخليًا والحفاظ على صناديق الاقتراع، أما خارج اللجنة فهناك تأمين من قبل قوات الجيش والشرطة والتي يبلغ قوامها ٢٨ ألف جندي و٨ آلاف ضابط».

وأشار رئيس اللجنة القضائية العليا في حديثه إلى أنه لأول مرة في تاريخ حياته ينزل إلى صناديق الاقتراع ويدلي بصوته، وقال «طوال حياتي لم أدل بصوتي في أي انتخابات أو حتى الاستفتاء على التعديلات الدستورية التي تمت في ٢٠٠٧ لم أذهب وأدلي بصوتي، لأنني وجميع المواطنين نعلم النتيجة مسبقًا ونعلم أن الأصوات تُزور، أما في استفتاء ٢٠١١ فهو استفتاء الثورة التي حررت مصر من التزوير وأشياء أخرى، لهذا أدليت بصوتي لأول مرة».

وحول أسباب اعتذار بعض القضاة عن ممارسة مهام عملهم في بعض اللجان قبل ساعات من ميعاد الاستفتاء وعددهم؟ أجاب «نحن سنحقق مع هؤلاء القضاة وسيتم محاسبتهم على الإهمال في أداء واجبهم وعملهم، ولكن المهم أننا تلافينا قصور هؤلاء القضاة بالدفع بقضاة آخرين على وجه السرعة بديلا عنهم، أما أسباب اعتذار هؤلاء القضاة فهي محل تحقيق الآن، ولكن أود أن أؤكد أن جميع اللجان أصبح فيها قضاة الآن من خلال مساعدة القوات المسلحة التي نقلت بطايراتها هؤلاء القضاة ليحلوا محل القضاة المعتذرين».

٢٠ مارس ٢٠١١

-الصناديق تقول نعم للتعديلات الدستورية، وكان حوالى ١٨ مليون ناخب ٤١٪ من أصل ٤٥ مليون ناخب مسجل قد أدلوا بأصواتهم في الاستفتاء، حيث صوت أكثر من ١٤ مليون ناخب (٧٧٪) لصالح التعديلات الدستورية، في حين أن نحو ٤ ملايين ناخب (٢٣٪) قد صوتوا ضد هذه التعديلات. الإصلاحات الدستورية التي تم إقرارها تضمنت وضع قيد على مدد الرئاسة بحد أقصى

مدتين لفترة أربع سنوات، وبنود تضمن الإشراف القضائي على الانتخابات، وشرط للرئيس أن يعين نائباً واحداً على الأقل، وتشكيل لجنة لصياغة دستور جديد بعد الانتخابات البرلمانية، وسهولة أكثر في شروط الترشح للانتخابات الرئاسية - إما عن طريق جمع ٣٠,٠٠٠ توقيع من ١٥ محافظة على الأقل، أو تأييد ٣٠ عضواً من أي من مجلسي الهيئة التشريعية (البرلمان) أو عن طريق ترشيح حزب حاصل على مقعد واحد على الأقل في البرلمان. وتم تأجيل قضية الحد من الصلاحيات الرئاسية إلى ما بعد الانتخابات كجزء من عملية صياغة الدستور الجديد. وتضمنت تلك التعديلات أيضاً إقرار عقد الانتخابات البرلمانية في غضون ستة أشهر من تاريخ إقرار تلك التعديلات تقوم خلالها مجموعات العمل بإنشاء أحزاب سياسية جديدة، وعمل حملات للمرشحين وتشجيع الحضور بين أنصارهم..

وقد اعترف كلا الجانبين بأن تلك الإصلاحات تزيد من الضمانات الديمقراطية، لكن المعارضين قالوا إن الإصلاحات لم تتعد عن الدستور الأصلي بما فيه الكفاية وأن الانتخابات إذا أجريت في وقت قريب جداً يمكن أن تنتهي في صالح جماعة الإخوان المسلمين جيدة التنظيم وأعضاء الحزب الحاكم السابق، الحزب الوطني الديمقراطي الذي كان يرأسه حسني مبارك. أما المؤيدون للتعديلات فقد عبروا عن قلقهم من أن الانتظار طويلاً يمكن أن يزيد من فرص استعادة المؤسسة العسكرية للسلطة أو حدوث عدم استقرار في البلاد قبل الانتخابات.

٢٠ مارس ٢٠١١

مشهد أفقي لمسجد «الهدى» بإمبابة، يظهر فيه رجل دين يرتدي عباءة وطاقية بيضاء، بلحية طويلة أكثر بياضاً منهما، في مشهد حالم ملائكي، يتربع حوله الآلاف من مؤيديه، المتلهفين لسماع كل كلمة يقولها عالمهم الجليل، الذي يبدأ حديثه بحمد الله ثم يتبعه بجملة «أحبتي في الله، بلغتني أخبار سارة بنعم» لينطلق التكبير في أرجاء المسجد، في جو بهيج يذكرنا بخطبة العيد، ليداخلك إحساس بالسكينة والسلام..

وفجأة.. «وكانت هذه غزوة الصناديق».. «غزوة الصناديق»!! ينقلب السلام غزوة والسكينة حرب، بين «الدين» وال«لا دين» والقاضي هو «الصندوق»، والحمد لله قالت الصناديق للدين «نعم».

وكان الصناديق يمكن أن تقول للدين «لا».. وكان الدين ينتظر موافقة من المستوى الأعلى «الصندوق».

وقالت الصناديق للإسلام نعم؟؟؟؟

٢١ مارس ٢٠١١ - بقبو آبادون

جلس آبادون وبجانبه آمال يشاهدان احتفال أنصار التيار الإسلامي والتقارير حول نجاح الاستفتاء على التعديلات الدستورية، شاهد العديد من الوجوه المختلفة أثناء عهد مبارك تظهر، تحتفل بالانتصار، يعلم أنهم قد حققوا ما يبتغونه، هذا هو أول الأساس لانتقال السلطة لهم، رأى تقرير منصور عثمان الذي ظهر محتفلاً ومنتشياً بما حدث، فتساءلت آمال وهي تضع يديها ممسكة بيد آبادون قائلة:

-أهو معهم يا آبادون؟

ابتسم آبادون وهو ينظر لها ويقول:

-بالتأكيد يا عزيزتي معهم، وجوههم تفضحهم دائماً، فرحته ونشوته بالانتصار وتبريره ما حدث للمرعشني يؤكد ذلك، لقد بدأ الأمر وهذا الاستفتاء هو بداية النجاح بالنسبة إليهم، تلك البداية فقط، والخطوة القادمة هي انتخابات مجلس الشعب ومن بعدها انتخابات رئاسة الجمهورية، سيضغطون بكل قوتهم لتحقيق هاتين الخطوتين، ومن ثم النجاح الكامل لهم، لينجح مشروع العين بالمنطقة، خاصة مع ما يحدث بليبيا وسوريا واليمن، وسيزداد عدد الدول كلما سقطت دولة بشكل كامل، وواجبي أن أمنع حدوث ذلك.

بدأت آمال تداعب يده وهي تقول:

-كم أتمنى أن نترك كل ذلك خلفنا، نساfer بأي مكان أنا وأنت فقط، ونبدأ

صفحة جديدة لحياة جديدة.

بدا الضيق على وجه أبادون وهو يقول:

-ذات يوم سيحدث هذا يا آمال، لكنه ليس الآن، ليس قبل أن أنهي ما قد بدأت.

ابتسمت آمال محاولة تشجيعه قائلة:

-وأنا معك يا حبيبي، معك دائماً.

وقف أبادون وهو يتجه لغرفته قبل أن تسير خلفه آمال متسائلة:

-أبادون إلى أين أنت ذاهب؟ أظن أن سالم قد أوضح لك حاجتك للراحة، بكل تأكيد أنا معك دائماً ومساندة لك بأي موقف لكن لا بد لك من الراحة أولاً لتستطيع المواصلة.

نظر لها أبادون وهو يبدأ بارتداء بذلته:

-ليس الأمر كما تتصورين يا آمال، ما يخص منصور سيحدث لكنه ليس الآن، الآن فقط لديّ زيارة لا بد أن أقوم بها أولاً.

بدا التعجب على وجه آمال وهي تقول:

-زيارة؟ لمن، وإلى أين؟

انتهى أبادون من ارتداء بذلته قبل أن يفحص سلاحه ويضعه داخل سترة البذلة وهو يقول:

-أتذكرين ذلك اليوم ، وتلك الرصاصة التي أنقذتك، تلك الرصاصة لشخص ما يعلم بأمر العين ويتابعهم مثلي تماماً.

تفاجأت آمال بقوله فتساءلت قائلة:

-من هو هذا الشخص؟

اتجه أبادون خارج الغرفة وهو يقول:

-ليس سواه، صديق قديم، أخ قديم كنت قد استأمنته على أمر العين هو

الوحيد الذي يمكنه فعل ذلك.

سارت آمال خلفه وهي تقول:

-أعلم أنك سترفض طلبي، لكن هل من الممكن أن تصطحبني لتلك الزيارة معك.

التفت أبادون إليها مبتسماً وهو يقول:

-بعد ما حدث لن أدخلك بأية صراعات، فقط ضعي بداخلك حياتنا الجديدة وابدئي للتخطيط لها من الآن مهما طال الوقت، أعدك بتلك الحياة يا عزيزتي، لقد بُعثت إليّ لأبدأ حياتي من جديد، ولن أجازف بكِ وأعرضكِ وأعرض حلمي هذا للخطر.

قالها وهو يطبع قبلة على جبينها فقالت له:

-عدني فقط بأن تحافظ على حياتك.

ابتسم غامراً لها بعينه:

-أعدك بذلك، فحياتي لم تعد ملكي، بل ملكك أنتِ، وأعدكِ بالمحافظة على أمانتكِ لي.

قالها قبل أن يتجه للصعود على درجات السلم لمغادرة القبو.

٢١ مارس ٢٠١١ -

(منزل العقيد عزت يونس (الساعة الواحدة بعد منتصف الليل)

يفتح عزت باب شقته وهو يدخل بعد يوم كامل آخر مُرهق، الآن بدأت الأمور تتعمق، بدأت أولى خطوات حلم العين، واللواء صلاح وهو في اجتماع دائم بأعضاء المجلس العسكري، محاولين السيطرة على الأمر بعد ما حدث، لذلك رأى من بعد نتيجة الاستفتاء أن يرسل زوجته وأولاده لمنزل والد زوجته حتى يتسنى له العمل براحة أكثر.

دخل منزله وأضاء الأنوار قبل أن يجلس على مقعد غرفة المعيشة مفكرًا فيما يحدث، يتمنى لو كان أيمن معه يسانده ويفكر معه فيما يحدث، لقد اختار أيمن بالفعل أن يساعده لكنه سلك الطريق الخاطيء، كم يتمنى لو أن لجأ إليه حين حدث ما حدث لكان استطاع هو وأيمن أن يغيرا الكثير بالمنطقة قبل أن يحدث كل ذلك، لكن أين هو الآن، هل من الممكن أن يكون قد لقي حتفه بعد ما حدث، يتمنى لو أنه تحمّل ذلك وعلى قيد الحياة الآن، على الرغم من عدم تعاونهما معًا بشكل صريح لكن أيمن حتى الآن يسانده بما يفعله حتى ولو بشكل خاطيء، ما يفعله أيمن يُرهق العين بحق.

يبتسم وهو يفكر أنه لو كان بأي وضع أو ظروف أخرى لكانت الآن مهمته مطاردته والإيقاع به، لكنه الآن يتمنى أن يتواجد وأن يسانده، أن يكمل ما يفعله.

قاطع تفكيره صوت خطوات ضعيف يأتي من الغرفة الداخلية، فأمسك عزت بمسدسه وهو يخلع حذاءه ويسير حافي القدمين بروية متجهًا لتلك الغرفة متحسبًا مسدسه قبل أن يدخل مقتحمًا إياها فوجد آخر ما كان يتوقع.

وجد أيمن يجلس على طرف السرير مبتسمًا له ولكنه بوجه مشوه واضعًا يديه بين رجليه قائلاً:

-كيف حالك يا صديقي؟ اشتقت إليك.

لم يعرف عزت حينها ما يفعله، كان الشعور داخله متناقضًا ما بين الفرحة وما بين هول المفاجأة، لم يتصور أن ما كان يفكر به يراه الآن واقعًا أمامه، لم يدر ما يفعله سوى أن يُنزل سلاحه، ودون أي وعي بدا شبح ابتسامة سعادة تخطو فوق شفثيه وهو يقول:

-أيمن؟

ابتسم أبادون وهو يشير له بإصبعه مصححًا:

-أبادون الآن يا عزت.

لم يجد عزت ما يقوله سوى أن جلس على مقعد بجانب الباب وهو يضع مسدسه جانبًا قائلاً:

-لم أكن أتوقع أن أراك بعد كل تلك السنوات يا أيمن.

ابتسم أبادون وهو يقول:

-أتعلم، أنت الشخص الثاني الذي لا يزال يردد اسمي القديم يا عزت.

تساءل عزت:

-ومن هو الشخص الأول، سالم أم آمال ابنة صبري الورداني؟

ضحك أبادون ضحكة قصيرة قبل أن يقول:

-كنت متأكد أنك لا تزال تملك تلك العقلية النادرة للتحليل يا عزت، لذلك وبعيداً عن ثقتي بك أنت من وضعت بين يديه ملف العين ليتحمل مسؤوليته من بعدي.

تنهد عزت وهو يقول:

-وطالما أنك على ثقتك وعهدك بي، لماذا لم تترك الملف لي وتبتعد أنت عن الانتقام، لماذا لم تلجأ لي بعدما حدث، أنت لم تكن صديقاً فقط يا أيمن، أنت أخ، كنت سأساعدك بقصاري جهدي.

بدا الانفعال على وجه أبادون وهو يقول:

-ألجأ لك، لماذا؟ لأهدد حياتك أنت الآخر، لأخسرك يا عزت كما خسرت عائلتي؟ لم أكن لأخسر أحداً آخر، بعد ما حدث اكتشفت أن الأمر كما كنت تقول أنت دائماً، الأمر أكبر مني ومنك ومن أي شخص بالدولة، حتى مبارك ذاته لم يستطع الوقوف ضدهم، مَنْ نحن لنتصدى لهؤلاء؟ ها؟ أجبني، مَنْ نحن؟ لذلك كان لابد لأيمن أن يموت، كان لابد لأيمن ذلك الفاشل الخاسر أن ينتهي من الوجود، ومن رماده ظهر أبادون، كابوس العين، هنا فقط أستطع التهديد، هنا فقط أستطع التحرك وتصفيتهم، الظل يا عزت لا يمكن إمساكه، لكنك تستطيع الإمساك بصاحب الظل، لذا قتلت صاحب الظل، ليبقى الظل، لينتهي الظل على ما فشل أيمن في تحقيقه.

بدا الانفعال الآخر على وجه عزت وهو يقول:

-أيمن أنت لا تعلم ما نفعله، نحن نتصدى لهم، لم ولن نقف مكبلين أمام ما يحدث.

قاطعهُ أبادون قائلاً:

-أتقصد أنت ولواءك صلاح الششتاوي وعمر سليمان؟.

بدا الذهول على وجه عزت وأبادون يُكمل قائلاً:

-أنا أعلم كل شيء يا صديقي، ولذلك كنت أرى خيراً فيما هو قادم أنتم بالفعل تقومون بمجهود طيب، لكن لا بد من وجودي، هم لديهم العين المحرك والمخطط، والبلاك ووتر أداة التنفيذ، لذا كان لا بد أن نواجههم بذات الأمر، أنتم المحرك والمخطط وأنا أداة التنفيذ يا صديقي.

لم يخف الإعجاب على وجه عزت قائلاً:

-كما عهدتك أنت أيضاً يا أيمن، لكننا استمررت بمنصبك، وعملك ذو شأن كبير فعلاً.

ابتسم أبادون وهو يقف ليتدبر لعزت الذي وقف وأبادون يضع يده على كتفه قائلاً:

-أريد أن تعلم يا عزت أنني لم أثق بحياتي سوى بك وبابن عمي سالم، وأعلم المجهود الذي تقوم به حقاً، أشكرك على كل ما فعلت عامة وعلى ما فعلته لإنقاذ آمال خاصة يا عزت.

ابتسم عزت وهو يقول:

-كان لا بد من ذلك يا أيمن حتى ولو كنت معترضاً على الطريقة التي تنجز بها الأمور، لكن هذا لا يمنع أننا نسير بنفس الطريق، كما أنك أخي وستظل كذلك.

ابتسم أبادون وهو يتعد باتجاه السرير ليمسك بقبعته ويرتديها قائلاً:

-حقاً كنت أحتاج لأن أراك وأن أتناقش معك يا عزت، اشتقت فعلاً إليك يا صديقي، جئت فقط لأحذرك، احترس فيما هو قادم.

رد عزت:

-وأنا أيضًا يا صديقي أود أن أخبرك أن العين بأكملها تبحث عنك، جيري رئيس وحدة البلاك ووتر بالعراق وسوريا الآن جاء خصيصًا لمقابلة آن باترسون خلال الفترة الماضية، يبدو أن الأمر خاص بك.
أوما أبادون برأسه قائلاً:

-أعلم ، أعلم جيدًا أنهم بانتظاري، وأنهم قد طلبوا عون الذئب الكبير، هذا أمر ممتع حقًا، لكنني لن أظهر الآن، أريد أن أرى ما سيحدث الفترة القادمة، أريد أن أرى خططكم أنتم يا عزت أنت وصلاح الششتاوي وعمر سليمان الموجود الآن بسوريا، لا أريد أن أتدخل وأفسد عليكم أيًا من خططكم.
تساءل عزت قائلاً:

-وأنت ماذا ستفعل يا أبادون؟

أجاب أبادون مبتسمًا:

-سأخذ راحة نسبية فقط، أعيد من خلالها قراءة الواقع الجديد منهم ومنكم، وعلى أساسه سأتحرك، وللعلم خطوتي القادمة ستكون باتجاه منصور عثمان، رئيس اللجنة القضائية للاستفتاء، هو أحد أذرعهم، لكنني لن أتحرّك الآن.
بدا على وجه عزت الأسف وهو يقول:

-أعلم للأسف أنه أحدهم، ولا أعلم ما أقول، لكن أنت قلتها، لا بد من أداة تنفيذ لدينا كما البلاك ووتر لديهم، كما أن وجودك يربكهم حقًا، اعتنِ بنفسك يا صديقي، وابقَ على اتصال معي.

ابتسم أبادون متجهًا للخارج وتبعه عزت قائلاً:

-لا تقلق عليّ يا عزت، أريد أن أظهر بالوقت المناسب لأبعثر الأوراق الخاصة بهم، أنا أعلم أن الأمر الآن يتأرجح لديهم ما بين وفاتي وما بين حياتي، أريد أن يكون الاعتقاد بوفاتي هو السائد، هذا سيجعل من ظهوري مفاجأة كبيرة لهم ولجيري حتى، حينها سيكون من السهل نسبيًا التخلص منهم، وتؤكد يا



عزت أنني سأبقى على اتصال معك خلال الفترة القادمة للتنسيق فيما بينا.
قالها وهو يفتح الباب للمغادرة قبل أن يقول عزت مبتسماً:
-لا أريد أن أسالك عن مكانك أو أية وسيلة اتصال لك، سأنتظر منك اتصالاً يا
أيمن، وأنقل لك تحيات اللواء صلاح.
ابتسم أبادون قائلاً:
-أنا لم أرَ هذا الرجل، هذا الرجل هو الآخر ظل، أريدك أن تنقل تحياتي له،
تحيات من ظل إلى ظل آخر، وأخبره أننا سنلتقي قريباً بالوقت المناسب.
-أكد بكل تأكيد يا أيمن، وأنتظر تلك اللحظة من الآن.
قالها عزت مبتسماً فابتسم أبادون قبل أن يغادر منزل عزت.

الفصل الرابع عشر

السابع من أبريل ٢٠١١ - بمكتب المشير طنطاوي بوزارة الدفاع المصرية:
وقف المشير طنطاوي وهو يستقبل اللواء صلاح الششتاوي بحرارة مبتسمًا
وهو يقول:

-سعادة كبيرة سيادة اللواء لتشريفك مكتبي اليوم.

بادله اللواء صلاح الابتسامة قائلاً:

-السعادة متبادلة سيادة المشير.

طلب منه المشير الجلوس وهو يقول:

-ولو أن ذلك لا يمنح عتابي الكبير لك حتى الآن، منذ نقل مكتبك وأعمالك
بوزارة الدفاع لم نلتق سوى بالاجتماعات العامة، الآن فقط قمت بزيارة
مكتبي، ألسنت مثل سيادة اللواء عمر سليمان؟

ضحك اللواء صلاح وهو يقول:

-لا تقل ذلك يا سيادة المشير أنت صديق عزيز أعتز بتعاملي معه، ويكفي
التعامل معك، فهذا يُعد شرفاً لي.

ابتسم المشير طنطاوي قبل أن يضغط زر مكتبه قائلاً:

-قبل أي شيء ما هو المشروب المفضل لديك.

ابتسم اللواء صلاح قائلاً:

-ليكن قهوة مضبوطة.

حضر السكرتير الخاص بالمشير طنطاوي قبل أن يطلب منه فنجانين من
القهوة، وبعد أن انتهى ابتسم المشير طنطاوي وهو يقول:

-كم كنت أود أن تكون تلك الزيارة زيارة ودية بحق، لكنني أعلم أن هناك
غرضاً هاماً من تلك الزيارة.

ابتسم اللواء صلاح بمودة قائلاً:

-أنت تعلم ما نمر به سيادة المشير، ولا بد أن نتكتاف جميعنا للخروج من هذا.

أوماً المشير طنطاوي برأسه متفهماً وهو يقول:

-بالطبع سيادة اللواء بالطبع، بإذن الله كافة الأمور بمصر ستكون بخير بفضل الله وبفضلك سيادة اللواء، والآن ما هو الأمر الهام لديك.

قبل أن يتحدث اللواء صلاح طَرق أحدهم الباب فسمح المشير للقادم بالدخول فما كان القادم سوى السكرتير حاملاً القهوة ووضعها قبل أن يخرج فتحدث اللواء صلاح قائلاً:

-الوضع بمصر الآن سيادة المشير هو ما حتم عليّ مقابلتك منفرداً، مصر الآن على صفيح ساخن وكرة الثلج قد تعاضمت، المطالبة بمحاكمة مبارك باتت مطلباً شعبياً، ولن تهدأ الأمور إلا بعد محاكمته، خاصة بعد الدور الذي تقوم به أبواق العين الإعلانية والتيار الإسلامي الآن في سبيل ذلك، وإن لم نحقق ما يطلبون ستكون الموجة الثورية الثانية قادمة وفي تلك المرة ستكون عليكم أنتم، على المجلس العسكري.

عقد المشير طنطاوي حاجبيه وهو يرتشف رشفة من القهوة قائلاً:

-أنت بالفعل على حق سيادة اللواء، أنا أتابع بالفعل حركة الشارع، وبالفعل أعلم ما يحدث بالكواليس ودور التيارات الإسلامية والعين في تأجيج مشاعر الثوار، لكن ألا ترى أنه من الصعب محاكمة رئيس سابق لمصر، خاصة أنه يُعد صندوقاً أسود لمصر، يعلم الكثير والكثير، ولن نستطيع أن نضحي بكل هذا أو بكل ما لديه، سيادة اللواء، السياسة لها ألف وجه وكما أن لكل منا وجهاً تراه، هناك عدة وجوه لا تراها ولا نعلم ردة فعل مبارك على هذا، من الوارد أن يقوم بهدم المعبد على الجميع.

رد اللواء صلاح قائلاً بهدوء:

-انظر سيادة المشير، مبارك له ما له وعليه ما عليه، لكن أنا أرجح أنه لن

يقوم بأي أمر غير مدروس، هو يعلم جيداً ما تمر به البلاد، كما أن أمر محاكمته سيكون مجرد إجراء شكلي، مبارك لن تخطو قدماه أيّاً من سجون مصر، سيظل الأمر مترجماً بين عدة مستشفيات خاصة، ليكن الأمر إجراءً علاجياً له ونقاهاة بعد ما حدث خلال الفترة الماضية حتى تهدأ الأمور، حينها سيحظى بحريته مرة أخرى، ليعلم قبل كل شيء أن ما نقوم به إجراء من أجله هو، قبل أن يكون من أجل مصر، من أجل سلامته، محاكمة مدنية هزلية أفضل من أن تقوم محاكمة ثورية له.

صمت المشير طنطاوي قبل أن يقول:

-أنت على حق بالفعل، سأحدث معه بشأن ذلك وأخبرك برده.

تنهد اللواء صلاح قبل أن يقول:

-حسناً، وأتمنى أن تبدأ إجراءات التحقيق معه قريباً، اقنعه بذلك سيادة المشير، وسأنتظر رده على هذا الأمر منك قريباً، والآن لنتخطى هذا ولنتحدث بشأن أمور أخرى.

-أية أمور؟

تساءل المشير طنطاوي فأجاب اللواء صلاح قائلاً:

-بداية التيار الإسلامي سيبدأ بالحراك من أجل الانتخابات البرلمانية بعد ما جناه من أرباح من خلال الاستفتاء، وسنهدئ الوضع بالشارع المصري ونلبيه بمحاكمة مبارك، لكن عندما تبدأ الضغوط من أجل الانتخابات البرلمانية أتمنى أن تكونوا جاهزين حينها لإجراء مثل تلك الانتخابات.

-والرئاسية؟

-الرئاسية لا ليست الآن، أجلوها دائماً حتى يختنق الوضع بالشارع، نريد للشارع أن يتجه لانتخاب التيار الإسلامي، كما تم الاتفاق مسبقاً، نحن نريد منهم ذلك، نريدهم أن يحرقوا وجودهم بأنفسهم، لنترك لهم السلطة لمدة عام واحد دون أي تدخل من قبلنا لهم، ودون أية مساعدة، بل سنضيق الخناق عليهم ولنترك الشارع حينها ينفجر وينتهي وجودهم نهائياً بمصر.

-جيد جداً.

قالها المشير طنطاوي فأكمل اللواء صلاح:

-هذا ليس كل شيء، أريد منكم قبولاً أوراق حزب الإخوان عندما يتم التقديم له، وسيتم التقديم له خلال الفترة القادمة. كما أريد منكم قبول أوراق حزب الشمس، هذا الحزب سيكون مسماراً لنا بالتيار الإسلامي سندعمه بالمال دون أن يعلم أنه نحن، سيكون هناك قيادات منه هي في الحقيقة منا نحن، سنخترق التيار الإسلامي من خلال هذا الحزب، ولذلك جعلناه يسبق في نشأته حزب الإخوان المسلمين حتى يتم الرجوع له. كما أن هذا الحزب سيكون إسلامياً بشكل أوضح من حزب الإخوان المسلمين، سيكون ذا مرجعية وهابية حتى ينضم له أكبر قطاع إسلامي سني ملتزم بمصر، وهذا هو ما نريده، نريد التحكم بأكبر قدر من الإسلاميين وتوجيههم بعيداً عن الإخوان المسلمين.

-حسناً، ستتم الموافقة على قبول أوراق هذا الحزب قريباً.

-هذا ليس كل شيء سيادة المشير، سيكون هناك شخص غير معروف على الإطلاق سيكون شخصاً دون أهمية سنحاول وضعه على الساحة الإعلامية، لن يخاطب حينها الطبقة المثقفة والعليا بمصر، لا، سنوجهه للطبقة الدنيا، الطبقة التي لا تعلم شيئاً، تلك الطبقة هي ما تشكل الجانب الأكثر عدداً بمصر وهي ما قد أهملها مبارك من قبل، لن نكرر نحن هذا الخطأ سنتلاعب بعقولهم، سنغذي وعيهم بما نريده نحن، حينها سيكونون عوناً لنا عندما نحتاجهم.

هز المشير رأسه دليلاً على الاستحسان قبل أن يقول:

-فكرة سديدة بحق، لكن هل وجدت هذا الشخص؟

ابتسم اللواء صلاح قائلاً:

-نعم وجدناه، شخص بسيط كل ما كان يتطلع إليه هو السلطة والشهرة، ونحن سنعطي كليهما له، شخص لديه قناة لا أهمية لها ولا يعلم أحد بشأنها شيئاً، تسمى الفراعين، أما هو فيسمى توفيق عكاشة، هذا بما يخص الجانب الإعلامي بتلك المرحلة، لكن فيما بعد ذلك سنجهز شخصاً ليقود التعامل الاقتصادي بمصر، سيكون هو الواجهة لنا في أية تعاملات اقتصادية، سنحاول تشكيل قوة اقتصادية من خلاله مع هالة إعلامية له، لكن ليس الآن، سيكون هذا في الوقت

المناسب.

ابتسم المشير طنطاوي قائلاً:

-أود أن أعرب لك عن مدى تقديري وإعجابي بما تفعله سيادة اللواء، بالفعل أنت تقود مصر خير قيادة بتلك المرحلة.

-شهادة لي ما تقول سيادة المشير، وأتمنى أن يوفقنا الله لما فيه الصلاح لمصر.

قالها اللواء صلاح وهو يقف، فتساءل المشير طنطاوي قائلاً:

-إلى أين سيادة اللواء؟، حتى أنك لم تشرب قهوتك بعد.

ابتسم اللواء صلاح قائلاً:

-لديّ كثير من الأعمال سيادة المشير وبمناسبة القهوة سنتناولها معاً قريباً بإذن الله، لكن لا بد لي من الانصراف الآن وسأنتظر منك موافقة مبارك على ما تم الاتفاق عليه.

وقف المشير طنطاوي مصافحاً اللواء صلاح قائلاً:

-حسناً سيادة اللواء أقدر مهامك، وأعمالك جيداً، وكما قلت لنا لقاء آخر ، وأود منك أن تنقل تحياتي لسيادة اللواء عمر سليمان بأية مكالمة تجرى بينكما، هو بسوريا الآن أليس كذلك؟

أوماً اللواء صلاح برأسه قائلاً:

-نعم وليكن الله بعونه لما يقوم به، سأنقل له تحياتك وسأنتظر منك اتصالاً سيادة المشير خلال الفترة القادمة.

-بالتأكيد.

قالها المشير طنطاوي قبل أن يعود اللواء صلاح لمكتبه مرة أخرى.

٩ أبريل ٢٠١١ - بمكتب المشير طنطاوي بوزارة الدفاع المصرية

أمسك المشير طنطاوي بهاتفه وهو يتصل بالرقم الخاص باللواء صلاح الششتاوي وهو ينتظر إجابته قبل أن يقول:

-سيادة اللواء أهلاً بك لقد تم الأمر بالفعل لقد وافق مبارك على ما أردناه وسيبدأ الأمر من بعد غد، هو ذاته يريد أن يهدأ الشارع تجاهه ولقد أطمأن بعد التأكيد له أننا لن نتخلى عنه وأن ما نقوم به من أجله
حسناً حسناً سأتصل الآن بالنائب العام وسيبدأ إجراءات التحقيق من بعد غد سيادة اللواء ليس هناك أي شكر ما نقوم به من أجل الصالح العام حسناً سأنتظر منك اتصالاً بأي وقت إلى اللقاء.

١١ أبريل ٢٠١١

قررت السلطات المصرية بدء التحقيق مع الرئيس المصري السابق محمد حسني مبارك في قضايا استغلال منصبه والترشح من خلاله وقتل المتظاهرين بناء على طلب الشعب المصري وتنفيذاً لأحد أهم مطالب ثورة الخامس والعشرين من يناير .

١٣ أبريل عام ٢٠١١

-أصدرت النيابة العامة قراراً بحبس الرئيس محمد حسني مبارك خمسة عشر يوماً على ذمة التحقيق في التهم المنسوبة إليه مع استمرار حبسه بمستشفى شرم الشيخ الدولي.

١٦ أبريل عام ٢٠١١

-أصدر النائب العام قراراً بنقل مبارك إلى المركز الطبي العالمي بطريق مصر الإسماعيلية لتلقي العلاج، مع وضع حراسة مشددة عليه، بعد تلقي خطاب من «الداخلية» تؤكد فيه أن مستشفيات السجون غير مستعدة لاستقبال مبارك، لعدم وجود غرف عناية مركزة بها.

١٣ مايو ٢٠١١

وافقت لجنة تشكيل الأحزاب أمس على إنشاء حزب الشمس الإسلامي، ويُعد هذا الحزب أول حزب إسلامي كامل.

٦ يونيو ٢٠١١

-وافقت لجنة شؤون الأحزاب على تأسيس حزب الحرية والعدالة التابع لجماعة الإخوان المسلمين أمس وقد أكد المرشد العام للأخوان المسلمين أن الحزب بعيد كل البعد عن عمل جماعة الإخوان، وأن الحزب قائم على أساس مدني بشكل كامل ويهدف لخدمة مصر دون النظر لأية انتماءات دينية.

٧ يونيو ٢٠١١ - السفارة الأمريكية بالقاهرة

كانت آن تجلس على مكتبها حينما تلقت اتصالاً هاتفياً فردت قائلة:
-ألو .

جاءها صوت جيري على الطرف الآخر قائلاً:

-ألم يظهر بعد يا آن؟

ردت آن قائلة:

-جيري، يا له من هاتف مفاجيء، أتتحدث عن أبادون حتى الآن لم يظهر .

-إذا سيكون الأمر إما أنه توفي أو أنه مختبئ بأحد الأركان.

-كنت أفكر أنا الأخرى في هذا ولكن ما العمل حيال هذا الأمر .

-لو أن السيد أبادون يخشى الظهور بحفل خاص منه، إذا لابد لنا من إقامة حفل خاص منا على شرفه.

-ماذا تعني يا جيري؟

-أن أنا على دراية بما يحدث بالقاهرة وأعلم أن التيار الإسلامي وخاصة الأيوان المسلمين قد حققوا الكثير خلال الفترة الماضية ألا حان الوقت الآن لزيارة من العين ومن قبلك لتهنئتهم.
-أتعني.....

-نعم العين ترب الآن منك على الذهاب للسيد حمدي عاطف وتهنئته على الحزب الخاص بهم، العين تريد أن يكون هذا الخبر بجميع الصحف وسوف تتكفل العين بالأمر من خلال وكالاتها بالخارج ولا أظن أن السيد أبادون سوف يفرط بفرصة مثل تلك.

-لكن يا جيري لابد من التحضير الجيد لمثل تلك الزيارة.

-آن، العين أمهلتك أسبوعًا من الآن لغرض تلك الزيارة ستكون بمنزل السيد حمدي وسأكون بمصر خلال ستة أيام من الآن سلام.

قبل أن تجيب أغلق الهاتف، فأغلقت آن الهاتف بغضب وهي تضع يديها على المكتب مفكرة، يبدو أن العين بدأت بالتخلي عنها بما يختص بمهام ومسئوليتها بالقاهرة، لقد أصبحت مجرد مندوب عنهم بمصر ، كل ذلك بسبب أبادون وإن كانت ترغب في استرداد مكائنها مرة أخرى فلا بد لها من إخراجه من جحره وتصفيته نهائيًا.

قالتها وهي تمسك الهاتف قبل أن تضغط يديها على عدة أرقام وتنتظر الإجابة من الطرف الآخر إلى أن قالت:

-ألو، مستر حمدي معك آن باترسون سفيرة الولايات المتحدة بالقاهرة

٨ يونيو ٢٠١١

-زيارة مرتقبة بين آن باترسون والسيد حمدي عاطف قريبًا بمنزله في حضور قيادات من الإخوان المسلمين والتيار الإسلامي، تأتي تلك الزيارة عقب إعلان جماعة الإخوان المسلمين إنشاء حزب الحرية والعدالة ذي المرجعية الإسلامية، وأعلن على أن الغرض من تلك الزيارة المباحثات حول الوضع

المصري والإقليمي الحالي والمباحثات حول سبل التعاون بين قيادات الإخوان المسلمين والولايات المتحدة فيما هو قادم.

٩ يونيو ٢٠١١

يأحدى المناطق النائبة بجبل المقطم الساعة الثانية بعد منتصف الليل توقفت سيارة فوق إحدى الحواف الخاصة بجبل المقطم بمنطقة نائية ومن أسفل ظهرت القاهرة بأكملها فأوقف القادم محرك السيارة وهو يفتح الباب ويترجل منها، وعلى الرغم من قرب بداية فصل الصيف إلا أن بعض نسائم الهواء قابلته فور نزوله وهو يقترب من حافة الجبل ويتوقف لينظر للقاهرة الساهرة من أعلى ليشعل إحدى سجائره ثم ينظر لساعته وهو يلتفت حوله حتى سمع صوتاً قادماً من الظلام يقول:

-لا تقلق أنا هنا.

قالها القادم الذي لم يكن سوى أبادون الذي أردف:

-أنا لا أتأخر على موعد قط يا عزت أم نسيت هذا .

نفث عزت دخان سيجارته وهو يقول:

-أعلم هذا يا أيمن، ولا تعلم شعوري حين تلقيت هاتفك.

ابتسم أبادون وهو يقول:

-سعادة أم قلق.

-الاثتان.

قالها عزت وهو يعطيه إحدى السجائر فرفض أبادون وأخرج غليونه وهو يشعله فقال عزت مبتسماً:

-ما زلت على عادتك بهذا الغليون.

نفث أبادون دخان غليونه وهو يقول:

-لا أتغير قط يا عزت.

ثم نظر لعزت وهو يقول:

-دعنا من تلك المقدمات، هناك ما هو أهم من ذلك كله ولهذا السبب قمت بالاتصال بك.

-أعلم هذا يا صديقي، ما بك وما الذي يدور في ذهنك الذي دفعك للاتصال بي.

قالها عزت فنظر إليه أبادون بوجهه ذي وشم الجمجمة قائلاً:

-منذ قدومي إليك آخر مرة والاتفاق معك على التعاون بأي جديد على الرغم من رفضي المسبق لذلك وأنا أنتظر أن يتم التعاون بيننا وما حدث من متغيرات الآن دفعني لأن أطلب المقابلة والحديث معك.

نفث عزت دخان سيجارته وهو يلقيها بعيداً ويقول:

-وما تلك المتغيرات يا صديقي؟

قال أبادون:

-ما رأيك ورأي قياداتك فيما يخص مقابلة آن باترسون المزعومة مع حمدي عاطف وقيادات التيار الإسلامي؟

هز عزت رأسه قائلاً:

-نرى أن هذا يعد احتفالاً بإحدى خطوات العين بمصر والمنطقة العربية، لا تنس يا صديقي ما حققته العين حتى الآن من مكاسب كبيرة بالمنطقة.

سار أبادون وهو يضع إحدى يديه بجيب بذلته وبالأخر أمسك غليونه وبجانبه سار عزت وأبادون يقول:

-أريد أن أسالك يا عزت هل بالفترة الماضية تم اكتشاف أي تحركات من أحد رجال العين البعيدين عن مصر خاصة بعد فترة إختفائي تلك.

بدا الصمت على وجه عزت فقال أبادون:

-عزت تذكر أننا بالجانب نفسه وأنكم أنتم من أردتم التعاون معي لذلك لا داعي لمثل هذا التردد.

تنهد عزت قائلاً:

-بالفعل كانت هناك تحركات من ديفيد وولش ومارجريت سكوبي بجانب تحركات من رجل آخر من البلاك ووتر ويُعد من العناصر الرئيسية جييري دوانفيلد، لكن جييري لم يحضر معهم حضر كل من ديفيد ومارجريت بالقاهرة وقاما بعدة مقابلات مع تيارات مختلفة أما جييري فتبعهما بعد ذلك.

ابتسم أبادون وهو يتوقف قبل أن يقول:

-كما توقعت تمامًا.

بدا التساؤل على وجه عزت وهو يقول:

-وما الذي توقعته يا أيمن.

نفث أبادون دخان غليونه وهو يجيب:

-بداية يا عزت تعود على مناداتي بأبادون هذا أفضل لي ولسلامة هويتي، ثانيًا زيارة جييري تلك أكدت ما كنت أشك فيه، زيارة آن ولقاؤها مع زعماء التيار الإسلامي الغرض الظاهري هو التفاهم والنقاش بين الطرفين هذا للعامة وللاحتفال بما حققوه وهذا لكم أنتم أما لي فما أراه يختلف عن هذا وذاك، تلك الزيارة ما هي إلا كمين لاصطيادي فقط وليس أكثر يا عزت.

تعجب عزت من قول أبادون وهو يقول:

-ماذا تقصد بذلك؟

-انظر حولك واربط الأمور جيدًا، في البداية سقط أحد أهم رجال العين والبلاك ووتر معًا سيمون وجون وكاد الأمر أن يصل التهديد ذاته لبرنارد ليفي، إن كان تهديدي للعين وما تخطط له يمثل لهم خمسين بالمائة فقط فبعد ما حدث يمثل الآن مائة بالمائة وهم لن يجعلوا خطرًا مثلي يوقف ما حققوه حتى الآن، لذلك تم تعويض سيمون بمن هو أخطر منه رئيسه المباشر جييري

وللعلم جيري لا يجيد التعامل مع العين بل ويرى أن البلاك ووتر أو فرسان مالطا هم الأحق بما يحققه العين الآن والعين تعلم هذا جيداً وأن باترسون لا تطيق جيري فتخيل الدافع الذي يجعلهما يتعاونان معاً.

صمت عزت قبل أن يتساءل:

-لكن ألا تظن أنه، ولا أقصد من هذا شيئاً سوى التساؤل فقط، أن ما قلته الآن قد يكون به شيء من المبالغة، من الوارد بل من الطبيعي أن تظن العين وفاتك بعد ما حدث فلماذا يقومون بكل هذا الأمر خاصة مع اختفائك طيلة تلك الفترة الاختفاء الذي يثبت وفاتك.

ضحك أبادون وهو يقول:

-ضع قليلاً من الاستنتاجات المنطقية فيما قلته أنا الآن يا صديقي وحل جميع المعطيات لديك، شخص ما أنهى على أهم رجلين بالعين سيمون وجون معاً ولا توجد له جثة ولا أي أثر، اختفى، تبخر في الهواء، أتظن أنه من المنطقي أن يوجد شخص قد مات ولا توجد له جثة، حتى ولو كنت قد لقيت حتفي حينها فعدم وجود جثتي دليل على وجود من يساعدني، لا بد لك أن تتأكد أن العين حتى الآن لا تعلم إن كنت بمفردي أم لا، كما أن عدم ظهوري طوال تلك المدة دليل على نجاحي كما أنه لم يحدث ذاك الشيء الكبير الذي يدفعني للظهور ومن ثم لم أظهر، لكنهم الآن يدفعونني للظهور، إن كان ليس هناك حدث بحق يدفعني للظهور فسيخلقون هم هذا الحدث، تذكر أن العين لا تعطي أبداً مجالاً للصدفة يا عزت، العين ذاتها تخلق جميع الصدف للتأكد من وصولك لما يبغونه هم.

بدا الاقتناع على وجه عزت وهو يقول:

-معنى ذلك أن حياتك في خطر بكل تأكيد، سيمون وجون على الرغم مما كان يمتلكانه وعلى الرغم من خبراتهما، لكنهما لا يضاهيان جيري وما يمكن له أن يفعله.

أوماً أبادون برأسه موافقاً وهو يقول:

-لذلك طلبت منك التواجد الآن يا عزت، أريد مساعدتك ولنعيد ما كنا نفعله



بالأيام الخوالي.

ابتسم عزت وهو يقول:

وكلي آذان صاغية يا صديقي.

قالها وبدأ أبادون بالحديث معه

الفصل الخامس عشر

١٤ يونيو ٢٠١١ - قبو أبادون (الساعة السابعة مساءً)

انتهى أبادون من ارتداء كافة ملابسه، كما انتهى من تجهيز أسلحته، فنظرت له آمال من خلفه وهي تقول:

ما زلت تعاند وتريد الذهاب على الرغم مما تعلمه بخصوص الكمين المنصوب لك، وما زلت تعاند على عدم تواجدي معك، إن كنت بهذا التصميم على التواجد بهذا الأمر فعلى الأقل لابد أن أكون بجانبك.

ابتسم أبادون وهو يقترب منها ثم طبع قبلة على جبينها وهو يقول:

-آمال، أنا أحب دائماً أن أكون صريحاً أنت تعلمين خطورة ما سيحدث اليوم، كما أن عودتي إلى هنا مرة أخرى محل شك، لذلك أريد منك أن تبقي هنا دائماً، أريدك أن تتعاوني مع سالم وأحد الأشخاص الآخرين وهو الوحيد من أثق به في إكمال ما بدأته، لا أريد لأي شيء أن يوقف ما بدأته حتى لو حدث لي شيء، أثق بكم أنكم ستكملون الطريق الذي سلكته منذ البداية.

بدأت دموع آمال تتساقط في صمت وهي تنظر لأبادون فمسح أبادون بقفازه دموعها وهو يقول مبتسماً:

-آمال، أنت أنا، أنت نسختي الأخرى، وإن كنت لا أثق بك لما كلفتك بهذا الأمر على الإطلاق.

بدا صوت آمال مختنقاً وهي تقول:

-إن كان الأمر كما تراه الآن فلا داعي للذهاب لنعتبر ذلك بمثابة مراوغة بيننا وبينهم، ولتضرب ضربتك بأي موعد آخر .

أوماً أبادون برأسه نافعياً لها وهو يقول:

-خطأ يا آمال، أكبر خطأ أن ننسحب من مواجهة العين حتى لو كان الأمر يعد كميناً لنا، هم يريدون مني التواجد، ولذلك جمعوا البيض بأكمله في سلة واحدة، وسأحاول استغلال هذا الأمر جيداً، ليكن قلب الطاولة عليهم.

-لكن حياتك يا أبادون، حياتك تهمني، حياتك أغلى منهم جميعهم.

قالتها آمال فتنهد أبادون وهو ينظر بعيداً:

-أعتذر لما سأقوله يا آمال لكن حياتي لم ولن تكون أغلى من طفلين لا ذنب لهما فيما حدث، حياتي ليست أغلى من زوجة لم تكن تستحق ما قد صار بها وكل الذنب أنها وقفت بجانب زوجها.

قاطعته آمال قائلة بهدوء:

-ألا زلت تفتقدها.

رد أبادون دون تفكير:

-لم تغب عني لحظة حتى أفتقدها، ستظل هي معي دائماً.

صمتت آمال وقد بدا الحزن بعينيها فقال أبادون:

-آمال هذا صدق مني وأنا لم أكن ولن أكون بوجهين، ولا داعي للحزن، يكفي أنها قد جاءت لي بغيوبتي وأوصتني عليك.

بدا التعجب والدهشة على وجه آمال وهي تتساءل:

-أحقاً فعلت؟

أوماً أبادون بوجهه وهو يبتسم ويقول:

-نعم لقد فعلت ذلك، رأيته هي وأطفالي وطلبت مني إكمال ما بدأته، كما طلبت مني أن أراعيك لكنني لم أرد أن أتحدث بشأن ذلك، وما جعلني أتحدث هو ما رأيته منك الآن، وجودها ووجودك لا يتعارضان يا آمال، هي أنتِ وأنتِ هي.

ابتسمت آمال قبل أن تقول:

-وأنا بجانبك دائماً.

ابتسم أبادون وهو يرد قائلاً:

-وأنا أثق في ذلك لذلك عليك إكمال ما بدأته إذا ما حدث لي شيء وبجانبك

سالم وشخص آخر أثق به كثيراً سيتواصل معك عندما يحين الوقت.

دون أن تعطي آمال له مجالاً قالت:

-أثق بعودتك إليّ سالمًا.

-وأنا أعدك ببذل الجهد من أجل ذلك، سأذهب الآن.

قالها أبادون وهو يتجه لدرجات السلم الخاص به ويصعده قبل أن تنحدر

دموع آمال بصمت وهي تقول:

-أرجوك عد إليّ سالمًا.

١٤ يونيو ٢٠١١ - منزل حمدي عاطف الساعة التاسعة مساءً

اجتمعت الأطياف جميعها، تجد أمامك آن باترسون تجلس مبتسمة ابتسامة ظاهرية ومن داخلها يراودها القلق، دون أن يعطي لها مجالاً للهدوء، حمدي عاطف وشوكت الطائر وحمد العراقي وأحمد منسي والعديد من قيادات التيار الإسلامي مع العديد من العاملين بالسفارة الأمريكية، كانت آن تجلس صامتة تتطلع للجدار المقابل لها دون حراك قبل أن يخرجها شوكت الطائر من صمتها وهو يقول:

-مسز آن ما بك منذ أن قدمت إلى هنا ومعك رجالك ومستر جيرري وأنت بلا حديث، أكان الحضور هنا من أجل هذا الشخص الذي تدعونه أبادون، أهذا هو الغرض الحقيقي من الزيارة، أم أن الزيارة بالأصل تعود لنا نحن؟.

ابتسمت آن وهي تقول نافية:

-لا بالطبع مستر شوكت تلك الزيارة الغرض الرئيسي منها تهنئتك بما حققتموه حتى الآن، ولكننا ما زلنا نتطلع للمزيد منكم.

رد شوكت متهكمًا:

-من الواضح ذلك يا مسز آن والدليل على ذلك هو اختفاء مستر جيرري ورجاله منذ مجيئكم إلى هنا.

ابتسمت آن ابتسامة مصطنعة وهي تقول:

-مستر شوكت أنت تعلم طبيعة عملي وطبيعة دولتي، هذا يحتم عليّ دائماً الحراسة بشكل خاص، خاصة عندما تكون تلك الزيارة علنية ويعلمها الجميع وهناك تهديد قوي مثل أبادون ذلك.

تنهد شوكت قائلاً:

-انظري يا مسز آن أنتم تعلمون جيداً من هو شوكت الطائر لذلك لن أجادلك فيما تقولينه لكن تأكدي أنني أعلم جيداً أن الغرض من تلك الزيارة الآن هو اصطياد ذلك الشخص، وأن هذا التجمع ما هو إلا وسيلة للإيقاع به، وعلى الرغم من أنني أرفض مثل هذا الأسلوب عامة ومثل هذا التعامل، وإن كان شخص آخر غيرك هو من فعلها لكان الآن لنا رد فعل آخر، لكن نحن نتطلع للأفضل معكم وإن كان هناك حقاً من يقلقكم بهذا الشكل فيسعدنا مد يد العون لكم، إن أردتم تدخلنا، تدخلنا وحينها نعدكم أنكم لن تسمعوا عنه خيراً آخر .

قالها شوكت وهو يبتسم فشعرت أن حينها كما لو كان يلمح لعجزهم هذا ضد رجل واحد، فتنهدت آن وهي ترسم ذات الابتسامة على وجهها وتقول:
-يسعدني هذا التعاون المتبادل بيننا مستر شوكت وتأكد بالفعل أنه عند الحاجة لمساعدتكم لن نتردد في طلب ذلك.

قالتها فنظر لها شوكت قبل أن يقاطع حديثهما حمدي قائلاً:

-ألا أقاطع حديثكما قليلاً، أجد أن رئيس مصر القادم يتحدث مع مسئولة الخارجية الأمريكية قديماً.

قالها حمدي ضاحكاً فابتسمت آن قائلة:

-ومن أخبرك هذا مستر حمدي، من الوارد أن يكون حلمي أكبر من هذا.

ارتفع حاجبا حمدي وهو يقول:

-رائع، رئيسة للولايات المتحدة.

-ويمكن أكبر من ذلك.

قالتها وبدت على وجه حمدي وشوكت علامات عدم الفهم، ولكن أن لم تعطِ لهما مجالاً للاستسفار وهي تتساءل:

-والآن بعد تلك الخطوات الكبيرة والانتصارات المتتالية للتيار الإسلامي يبدو أن الأمر قد أصبح قاب قوسين أو أدنى بالفعل وما هي إلا مسألة وقت فقط حتى يكون حكم مصر بالكامل لكم.
رد شوكت قائلاً:

-بالفعل، لكننا لن نترك مجالاً للصدفة، سنضغط على المجلس الحاكم الآن من خلال الشارع، سنزيد من موجات الاضطرابات والاعتصامات حتى يعجل بالانتخابات البرلمانية وحينها سيتم الإعلان عن تشكيل لجنة لخلق دستور جديد للبلاد، يضمن هذا الدستور الحكم التام لنا وتولي مقاليد الحكم بشكل كامل وحين نتأكد من أن هذا حدث، سندخل للمرحلة الثالثة ألا وهي ضغط الشارع أيضاً من أجل انتخابات رئاسية، سنضغط بالشارع، تلك لعبتنا التي نجيدها دائماً.

ارتفع حاجبا أن دليلاً على الإعجاب قبل أن يكمل حمدي:

-نعد لذلك جيداً من الآن، وشوكت سيكون رئيس مصر القادم، لقد جئنا للحكم ليس لثلاثين عاماً فقط بل ثمانون وأكثر، سنعيد الخلافة الإسلامية التي ستساعدوننا في إقامتها، ونعد خطة محكمة بما يخص الانتخابات الرئاسية.

قبل أن تتحدث أن ردًا على ما قاله حمدي، سمع الجميع صوت تصفيق مكتوم كما لو كان يأتي من قفازين وليس من يدين، صاحبه صوت قطعة أوبرالية، فنظر الجميع إلى الخلف حيث الصوت فوجد الجميع ظلاً يأتي من الخلف قبل أن يظهر للجميع شخص ذو وجه موشم بالجمجمة وهو يضحك ضحكة ساخرة وتنبعث بجانب صوت القطعة الأوبرالية وهو يقول:

-برافو ، برافو ... رائع مستر حمدي، رائع مستر شوكت حقا رائع، حقا ما تخططون له يكفل لكم الحكم ثمانمئة عام وليس ثمانين فقط.

صمت الجميع قبل أن يسأل شوكت أن بصوت هامس:

-هل هذا هو

التفت إليه أبادون وهو يقول:

-نعم يا سيادة الرئيس القادم إنه أنا أبادون، ما يسعدني حقاً أنني قد نلت من الشهرة ما استحق فعلاً على يدك أنت مسز آن.

نظر لآن باترسون فوجدها ترمقه بصمت دون أن تتحدث فقال أبادون:

-أوووووووه لم تلك النظرة، كنت أتوقع استقبلاً حافلاً منك أكثر من هذا مسز آن، لقد كنت أتطلع لمقابلتك حقاً منذ زمن بعيد، وها هو حلمي يتحقق الآن، لكن لا أعلم إن كان هذا يعد حلمًا لك أم كابوسًا.

حاول حمدي التدخل قائلاً:

-اسمع يا هذا، تلك المرة الأخيرة التي رأيتك فيها ما منعني من التدخل هو السيد جون حينها، لكن لن أسمح لك بخلق أزمة دبلوماسية نتيجة تلك اللوثة العقلية التي بك، ارحل من هنا قبل أن تواجهه بالفعل ما لا قبل لك به.

ابتسم أبادون حين سمع ذلك و قد بدأ بالميل مع موسيقى السيمفونية وهو يقطع بيده ويطلق صفيراً معها قبل أن يقول:

-السيد حمدي عاطف أيقونة التيار الإسلامي من وبخ مصر وحقر منها كثيراً بحديثه، يحامي للولايات المتحدة الآن، رائع رائع بالفعل.

بدا الغضب على وجه شوكت وهو يقول:

- انظر يا هذا، سأعطيك مهلة أخيرة فقط للخروج من هنا وإلا

-وإلا ماذا؟

تساءل أبادون رافعاً أحد حاجبيه ومتوقفاً بحركة سينمائية ويده بجانبه وهو يقول:

-وإلا ماذا؟

هنا سمع أبادون صوتاً يأتي من الأعلى يقول:

-وألا أنا سأكون هنا مستر أبادون.

قالها جيري وهو ينزل من أعلى قبل أن يجد أبادون من حوله خمسة من الحراس الملتئمين والمتشحين بالسواد يحيطون به وكلٍ منهم يرفع بندقيته الآلية في وجه أبادون الذي ابتسم ونظر من حوله قائلاً:

-يا لها من صحبة حقاً من قبل مستر جون ثم سيمون والآن مستر جيري دوانفيلد خبير ورئيس عمليات البلاك ووتر بمنطقة الشرق الأوسط، وأين، بمنزل السيد حمدي عاطف وبحضور مسز آن باترسون، واو، حقاً واو، يا له من استقبال حافل لا أستحقه حقاً.

اقترب منه جيري وهو لا يزال ينظر من خلال بندقيته وهو يقول:

-ها أنت من يفتعل كل تلك المشكلات والذي أسقط أحد أهم رجالي بمصر هنا، حقاً إنني لم أكن أتوقع وجودي بمصر من أجل مهمة صغيرة كتلك، لكن لنجعل الأمر يستحق حقاً.

قالها وهو يجهز بندقيته ويسحب خزانها فقال أبادون مشيراً بيده للتوقف ثم أشار إلى أذنيه قائلاً:

-مهلاً مهلاً مهلاً لنستمع قليلاً «وامنحهم الراحة الأبدية، يا رب، وربما ضوء دائم يلمع عليهم. أنت يا إلهي، وإنشاد الفن في سيون، وإليك يجب أن يتم النذر في القدس. اسمع صلاتي. منحهم الراحة الأبدية، الرب، وربما ضوء دائم يلمع عليهم».. ما رأيكم رائعة أليست كذلك.

ضحك جيري ضحكة قصيرة قبل أن يقول:

-قداس الموت رائعة موزرات التي أنهت حياة الكثير على يدك ولسخرية القدر ستكون هي آخر ما تسمع إليه الآن.

ابتسم أبادون غامزاً بعينه قائلاً:

-من يعلم ممن سيسخر القدر اليوم.

قالها وانطفأت الأنوار دفعة واحدة فتعالت الأصوات بالظلام وجيري يوجه أحدهم للذهاب لمركز الكهرباء بالمنزل فأسرع شوكت بالاتجاه إليها، أما جيري فقد توقف وهو يحاول النظر من حوله وهو يوجه رجاله بعدم إطلاق النار خشية إصابة أحد الموجودين بالخطأ وأسرع بتوجيههم بارتداء المنظار الليلي والذي أسرع يرتديه وبمجرد ارتدائه نظر للرجال يوجههم بالاتجاه بأنحاء المنزل للبحث عن أبادون دون إصدار جلبة.

تحرك الرجال بكل أرجاء المنزل فذهب أحدهم باتجاه المطبخ العمومي وهو يتحرك بهدوء وهو يدخل المطبخ، شعر حينها بهدوء مبالغ فيه قبل أن يرى نوراً أبيض أغشى عينيه نتيجة عدم استطاعته للرؤية بالمنظار الليلي قبل أن يتلقى طلقة صامته برأسه أسقطته على الفور.

أما بالخارج فكان جيري مع الباقين ينظر حوله وحينها سمع صوت آن باترسون وهي تلقي سبة قبل أن تقول:

-ها أنت هنا يا جيري هل هذا هو التحكم التام بالموقف، هل هذا هو ما أرسلتك العين لفعله.

بدا الغضب على جيري وهو يقول بصوت مسموع:

-ليس الآن يا آن ليس الآن.

تدخل حمد المنسي وهو يقول:

-المعذرة ما هي العين تلك التي تقصدينها سيده أن.

تجاهلت أن قوله وهي تقول:

-اللعنة عليك يا ابن الساقطة، أبادون يتحكم بزمام الأمور تمامًا، يتلاعب بك كما تلاعب بمن قبلك، لم أكن مقتنعة بهذا الفعل منذ البداية.

صرخ جيري بوجهها بالظلام وهو يقول:

-كلمة أخرى وسوف أضع حدًا لحديثك هذا أيتها العاهرة وحينها لن أهتم بالعين أو بأية شيء آخر .

قالها وحينها عادت الأضواء ومن حوله كانت المفاجأة

نظر الجميع لمن حولهم فكان رجال جيري بدائرة تغلقهم تمامًا والدماء تسيل من جثثهم الساقطة من حولهم وعاد شوكت وهو يقول:

-كان التلف ممتدًا باللوحة الكهربائية بالخارج، دُمرت تمامًا لم يكن أمامي سوى تشغيل المولد الاحتياطي. صمت شوكت حين رأى ما حدث وشاركه في صمته وهلعه الجميع أما آن فقد صرخت بشدة وهي تقول:

-اللعة ستنتهي كل شيء، ستدمر كل شيء.

قاطع الجميع رنين هاتف جيري الذي أخرجه وهو ينظر لشاشته ليجد اسم أحد رجاله الساقطين أمامه فضغط زر الإجابة ثم استمع إلى صوت مقطع صغير من سيمفونية قداس الموت قبل أن يسمع صوت أبادون يضحك ضحكة قصيرة ساخرة ويقول:

-ألم أقل لك أننا لن نعلم ممن سيسخر القدر اليوم.

بدا الغضب الجامح على صوت جيري وهو يقول:

-سأقتلك بيدي هاتين، أقسم لك أنني سأقتلك.

وجد أبادون يرد بهدوء على الطرف الآخر مختلطًا صوته بصوت قداس الموت وهو يقول:

-إذا لنهني حديثنا سيد كيري ونضع حدًا لخلافنا بالخارج إنني أنتظرك الآن.

أسرع جيري دون حديث ليخرج من المنزل ووجد أبادون بالساحة الخارجية وهو يقف بجانب سيارة السفارة الأمريكية مبتسمًا والسائق أسفل قدميه لينظر جيري لجثة السائق قبل أن ينظر لأبادون المبتسم بوشم الجمجمة وهو يشير بيده بالسلام قبل أن يستقل سيارة السفارة الأمريكية وينطلق بها وحينها ابتسم جيري لأول مرة وهو ينطلق خلفه بإحدى السيارات المتواجدة ليبدأ كلاهما المطاردة بمنطقة المقطم وأبادون يسير مسرعًا ومن خلفه جيري المبتسم منطلقًا بسيارته وهو يمسك جهازًا صغيرًا ويقول:

-لتعلم جيدًا أنه لا مجال لنا للصدفة لقد أوقعت بك بالفعل بالكيفية التي

أريدها.

قالها وهو يتجاوز كلاهما إحدى السيارات سريعًا، أما سيارة أبادون فبدأت بالهدوء نتيجة قربها من منحدر فضغط جييري حينها على زر بجهازه الخاص لتنفجر سيارة السفارة الأمريكية بالكامل وتشتعل بالكامل قبل أن تسير بضع خطوات مشتعلة لتتوقف تمامًا.

حينها أوقف جييري سيارته ونزل يركض باتجاه السيارة التي انفجرت مجددًا فأبعد جييري الانفجار عن عينيه بيده قبل أن يتجه للسيارة المشتعلة ليجد جثة أبادون بوجهه المشوهة وبذلته الزرقاء تشتعل بها النار وتتصاعد للسماء.

ابتسم جييري فأخيرًا حقق ما أراد منه، حقق ما عجز عنه رجال العين جميعهم، الآن فقط أنهى كابوس العين وما بقي للعين سوى الاهتمام بشئونها بالمنطقة فقط.

انفجرت السيارة مجددًا معلنة عن نهاية أسطورة لم يعلم عنها الكثير .

نهاية حقبة زمنية حاول من خلالها رجل واحد تحقيق العدل وإيقاف حلم العين ... نهاية أبادون.

١٥ يونيو ٢٠١١ - بالسفارة الأمريكية بالقاهرة

استقبلت آن باترسون جييري بوجه جاد وهي تقول:

-على الرغم من أنك أنهيت أحد أهم أمور العين لكني أخطرتهم بما قد فعلت وبوضعك لتلك القنابل بالسيارة الخاصة بي دون علمي، وهناك سيتصرف معك المسئولون بالشكل الذي يليق بالجرم الذي فعلته.

قابل جييري هذا بابتسامة شديدة وهو يقول:

-لا أرى جرمًا فيما فعلته، أحيانًا عملنا يحتم علينا الصمت وعدم معرفة الجميع بما قد خطط له.

بدا الإزعاج على وجه آن وهي تقول:

-لكني لست الجميع يا جيري.

ظلت ابتسامة جيري سارية وهو يقول:

-دعي هذا الأمر للمسئولين هم فقط من سيقرون أن ما فعلته جرم أم لا،
الآن عليك فقط يا آن الاستمتاع بهذا النصر والبدء بالمرحلة القادمة لحلم
العين وبالتأكيد حلم البلاك ووتر أيضاً.

لأول مرة ابتسمت آن ابتسامة صغيرة وهي تقول:

-ألن تنسوا أبداً حلمكم يا فرسان مالطا؟.

أجاب جيري:

-لن ننسى، فرسان مالطا تستحق الكثير والكثير، تستحق أن تكون في مصاف
الدول الكبرى وقريباً ستكون كذلك.

قالها وهو يضافها قبل أن تصافحه آن قائلة:

-على الرغم مما بيني وبينك، وعلى الرغم من الملاحظات حول طريقة
عملك، ألا أن هذا لا يمنع بأن أشهد بأنك قد قمت بعمل رائع يا جيري
وأتطلع للعمل معك مرة أخرى.

ابتسم جيري وهو يقول:

-بالتأكيد يا آن هدفنا واحد، وإن أردت شيئاً ما عليك سوى التواصل مع دفيد
بشأنني وسأكون بالقاهرة على الفور، والآن سأذهب لتركيا ومن خلال معبرها
إلى سوريا حتى أكمل ما بدأت.

أومأت آن برأسها مبتسمة:

-بالتوفيق ففي النهاية هدفنا واحد.

قالتها آن قبل أن يرحل جيري تاركاً إياها خلفه لتعيد النظر بالشاشات وتتابع
ما يحدث بمصر وسوريا وليبيا واليمن.

تبتسم وهي تنظر فالآن فقط اقترب الحلم

١٥ يونيو ٢٠١١ - بقبو أبادون

كانت آمال ترتدي ملابس تشبه ملابس أبادون وقد رسمت على وجهها وشماً كوشمه وهي تستمع لموسيقى سيمفونية قداس الموت وهي تتراقص، تتراقص بصمت تام على أنغام الموسيقى.

أما في الركن فقد جلس سالم يتابعها وهو يبكي دون أن يتحدث، وآمال تتراقص أمامه بملابس أبادون وكأنها في عالم آخر، ظل سالم ينظر إليها ودموعه تتساقط قبل أن يقوم ويقطع سريان موسيقى السيمفونية فنظرت له آمال بتعجب وقالت:

-لماذا يا سالم ألا تحب قداس الموت.

نظر لها سالم نظرة شفقة وهو يقول:

-يكفي يا آمال ما تفعلينه، يكفي، هذا لن يرضي أيمن لو كان حياً، كما لن يرضيه حتى لو كان متوفياً.

مالت آمال برأسها وهي تقول بحنان:

-أبادون، سأفعل أي شيء يرضيه، أبادون الذي لم يكن يستحق ما ناله طوال حياته أو ما ناله الآن، انظر يا سالم انظر.

قالتها وهي تمسك إحدى الصحف وتقول:

-انظر لخبر وفاته، انظر إليه وستعلم أنه لم ينل ما يستحقه بالفعل.

بدا على سالم عدم قدرته على التحمل وهو يقول:

-يكفي يا آمال، يكفي ما تفعلينه أرجوك.

أشارت له آمال بيدها قائلة:

-ليليث، ليليث من فضلك، آمال قد ماتت هي الأخرى.

وقبل أن يرد سالم، وجدت آمال هاتف أبادون الذي تركه خلفه قبل وفاته بتلك الليلة يرن فأمسكت به لتجد أحد الأرقام تظهر على الشاشة لتجيب

وهي تسمع الطرف الآخر يقول:

-السيدة آمال، معك عزت يونس أحد أصدقاء الراحل أيمن أبو اليزيد، البقاء لله وما حدث يُعدّ خسارةً لكلينا، لكن لا بد لنا من إكمال ما بدأه، تلك هي وصيته لي، سأواصل معك قريباً مرة أخرى انتظري مكالمة مني.
قالها قبل أن يغلق الهاتف، لينظر لها سالم متسائلاً:

-مَن؟

نظرت له آمال بجانب عينيها وهي تقول:

-لابد أننا سنبدأ في إكمال مهام أبادون قريباً.

قالتها وهي تتجه لإحدى الغرف، وتبعها سالم تاركين خلفهما إحدى الصحف على خبر صغير بأحد جوانبها وقد كتب:

«انتهى الأمر، قتل أحد القتلة المتسللين بعد صراع مع رجال الشرطة»

انتهى الخبر.

١٥ يونيو ٢٠١١ - مكتب اللواء صلاح الششتاوي:

جلس عزت محملاً بحزنه، لقد فقد صديقه للمرة الثانية، وبتلك المرة انتهى حقاً الأمر، انتهى أيمن صديقه منذ زمن بعيد، انتهى أبادون صديقه الجديد ومساعدته بأعمال العين.

نظر عزت لمكتب اللواء صلاح غير المتواجد به ليجد رقعة شطرنج وقد تحركت الأحجار من على الرقعة بحركات مدروسة ولكن لم تكتمل اللعبة نظر لها ملياً وهو يفكر، لا تختلف كثيراً عن الواقع، يتساقط العساكر ليبقى الملك بالخلف من كلتا الجهتين هو يعلم أن الأمر مجازي، الملك هنا هي الدول، والملك هناك هي العين فمن سينهي تلك المباراة لصالحه.

قاطع تفكيره اللواء صلاح الذي دخل دالفاً بحزن للمكتب قبل أن يضع يده على كتف عزت الجالس وهو يقول:

-أعلم حقًا بخسارتك تلك يا عزت وهي خسارة لنا نحن أيضًا، حتى ولو كان أيمن قد تعامل بخروج عن القانون لكن يكفي أنه كان عونًا لنا بحق وخسارة فادحة لنا الآن كما كان فقدانه كأيمن قبل أبادون خسارة فادحة لنا أيضًا.

بدا التأثير على وجه عزت وهو يقول:

-ما يحزنني أن هذا الشخص قد ضحى بكل ما يملك، عائلة ومال وبنفسه، من أجل تلك البلد دون أن ينال التقدير الذي يستحقه.

تنهد اللواء صلاح وهو يجلس على مقعده ويقول:

-انظر يا عزت بعض الرجال يظلون أبطالًا في الظل، رجال الظل كثيرون، نحن نتعامل بالظل، العين تتعامل بالظل، وأيمن اختار أن يكون بطلاً بالظل، أيمن البطل الذي تستحقه تلك البلاد، لكن ليس في النور للأسف وتأكد أن أيمن سينال مهما طال الوقت التقدير الذي يستحقه.

صمت عزت قبل أن يقول اللواء صلاح مستطردًا:

-أعلم يا عزت حجم خسارتك، لذلك أريد منك أن تبعد عن أجواء العمل ليومين فقط وأنتظر منك العودة، إن فقدنا أيمن فلا بد لنا من أن نقدر مجهوده بحق ونكمله.

أوماً عزت برأسه موافقًا وهو يقول:

-شاكر لك سيادة اللواء، أسمح لي بالإنصراف.

سمح له اللواء بالإنصراف قبل أن يجلس مفكرًا في حجم الخسائر التي تلقاها خلال الفترة الماضية من أحداث سياسية ومن خسارة أبادون قبل أن ينظر للرقعة التي أمامه فيمسك بإحدى قطعيها من الطرف الآخر ليحركها قائلاً:

-كش ملك، لكن لم تنته اللعبة بعد ...

قالها وهو ينظر للرقعة مرة أخرى.

إهداء خاص إلى أخوة وأخوات وليسوا مجرد أصدقاء

«منذر الفاخري - حسام مصطفى «أبو الكتب» - محمد منير - منة محمد
«تأملات كاتبة» - محمد عبد الحميد أبو عامر - بوبكر القديري - حسام محمد
«هلاوس» - أحمد شعبان - إبراهيم محمد حافظ «أبو الكتاتيب» - أسامة
أحمد عمارة- محمود محمد عيد- عمرو محمد كمال- إسلام محمد صبره-
ميدو بوك ستور- هيثم فرج- مروان كامل- شريف السيد- بكرى سلامة- محمد
رأفت- أسرة Brain Law Family - عبد الله محمدين- وائل حلاوة- شادي
بشارة- إبراهيم مصطفى «الكاتب الصغير»- عبد الرحمن سامح «الكاتب
الغامض»- ميدو الشناوي«الصديق الصغير»- شيماء غانم- نهى مشالي - أمينة
آدم- شيماء أحمد الحلاج- مالك راشد- هبة أحمد العشيري - منى الساعي-
مادو الجندي- عبد الرؤوف محمود- عبير التوم - أحمد عدوي- يوسف عميرة-
محمد كمال- أسامة عبد الله يوسف - ریحان مصطفى- عبد الرحمن بركة -
أحمد الزيني - أحمد عبد الستار- عبد الله الجمل- يسر غنيم- حاتم حسنين-
أشرف عبد الله- أحمد محمد الهادي- صلاح علي شاهين - كريمة أحمد- محمد
عويس- وليد كابو- شيماء عبد القيوم- برديس الجوهري - حسان السيد».

«لأصغر قاريء لم يتجاوز من العمل شهراً، سليم عماد سالم، أنتظر رأيك في
الظل بالمستقبل»

إهداء إليكم، دمتم نعمة وأكبر سند وداعم لي، اشكركم على وجودكم الدائم
معى، أدام الله المحبة والصدقة والأخوة بيننا ..

أحمد الزيني

إهداء ما قبل الطبع
شكركم على تواجدكم جانبى دائماً
أحمد يحيى الزينى
١٤/١١/١٧

إهداء خاص إلى أخوة وأخوات وليسوا مجرد أصدقاء

«سنة علي سليمان-أحمد رياض- أحمد محمد فؤاد- ياسر أحمد -أحمد ضيف -لقى منسي-أحمد فاروق عبد الستار -علياء محمد -عماد أحمد سلامة-مصطفى عبد المنعم - نانا بكري-أحمد عادل- ياسين عبد الله - شريف عاطف-عمر علاء الدين-شيماء الغول-محمد عماد الداودي-محمد مختار-محمد البركي -محمد علي -أحمد الرفاعي-روبي طارق-عمرو هشام- ياسين لكحيلة-سعد العزاوي-مصطفى حسين -سهيلة خميس-أحمد مجدي جلال -رمضان سعد-نسرین الحسيني -سكون بوك ستور-عبير راشد-هدير دودي -الساجد لله لله- ليدو أشرف - أحمد سلامة -حسام حسان- أحمد ممدوح- محمد مصطفى-محمد رضا-عمرو إبراهيم -محمد الشافعي- بورصة الكتب -أحمد محسن-محمد عبد النبي -سلمى محمد-ياسر محمد- هشام الهليلي -حسن أبو الزين-وائل نجم الدين-مرزوقة الحمري-سجى ياسر المداحة -آلاء البليسي-رحاب سيد-إبراهيم دياب-أحمد سليمان-طه الكباشي-فاطمة أنور-أحمد فهمي-كامل شتات-سعد محمد-أحمد حسين- أحمد محمد عبد الله-عبد الله الكوركتلي-أسامة جاد-ضياء فتحي موسى»

«إهداء خاص إلى القارئة الصغيرة كادي أحمد الزيني أصغر قارئة بعمر يومين فقط منتظر رأيك في الظل بالمستقبل»

إهداء إليكم، دمتم نعمة وأكبر سند وداعم لي، أشكركم على وجودكم الدائم معي، أدام الله المحبة والصدقة والأخوة بيننا ..

أحمد الزيني

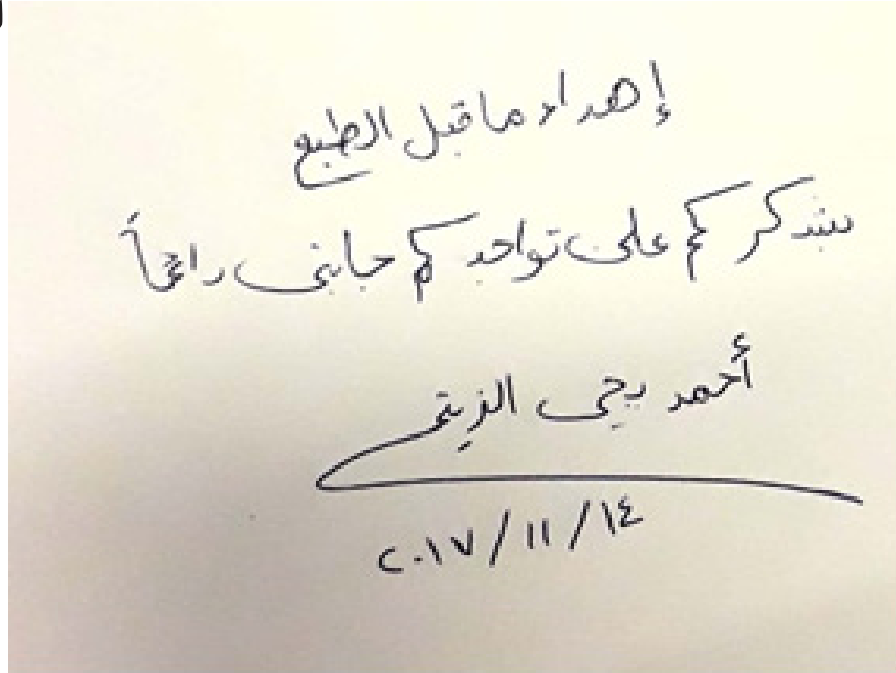
إهداء ما قبل الطبع
شكركم على تواجدكم جانبي دائماً
أحمد يحيى الزيني
١٤/١١/١٧

إهداء خاص إلى أخوة وأخوات وليسوا مجرد أصدقاء

«ملاك حرب - النور سالم طويل-إبراهيم أحمد-زكريا حسني عابد -إبراهيم اشرف إبراهيم-أميرة عبد العاطي-سيف الجوهرى-إسراء حسونة حسن - عمر شريف- بيفو اشرف-أمانى المصري -محمد عبده - عمر محمد-عماد سالم-محمود تمام-أحمد يحيىغنيم -الكاتب الشاب أحمد حاج «أبو بحر»- محمد سعيد «أبو سعيد»-محمد البركي-أحمد عبد العزيز-فادي عصام -مينا موريد-أسماء حسين-أحمد الجوارى -أحمد حنفي-محمد جمال فريج-أحمد محمود شرقاوي-حمادة بينجو-هاني البلقاسي-محمد سلام-أحمد أيمن إسماعيل- أحمد ممدوح أحمد-رضا محمد-محمود مدين-عمرو سامي - محمود عادل-ممدوح سعد الدين-أميرة العربي-محمود السعيد-مريم عرفة كامل-زينة عبد العزيز-أحمد القيم- أسماء الزرقاني-سعيد يوسف»قاريء جديد»-إيمان فرحات عبيد سالم-كريم جابر-هدى البحرأوي-شرين محمد إبراهيم-مصطفى يونس-ولاء مخلوف-شريف سالم»

إهداء إليكم، دمتم نعمة وأكبر سند وداعم لي، أشكركم على وجودكم الدائم معي، أدام الله المحبة والصدقة والأخوة بيننا ..

أحمد الزيني





لخدمات النشر والترجمة والتوزيع

info@ibda3-tp.com

dreidibrahim@gmail.com

ibda3bookstore@gmail.com